

عەرەبى مەزھەبى

مەيدان

إهداء خاص

إلى السنوات الصغاف التي مرّت عليّ كأصعب ما يكون . .

أشكركم فقد صنعتمولي . .

مقدمة

اليوم أعود إليكم بعمل جديد، ولكنه من نوع آخر، ففي القصة التي بين أيديكم سميت لإبراز بعض جوانب الشخصية الإنسانية بصفة عامة، والشخصية المصرية بصفة خاصة.

لقد كان التاريخ الفرعوني ولا يزال يستهويني جداً مما دفعني للبحث فيه والقراءة عنه حتى وجدت حقبة تاريخية دسمة، حاولت وضعها في قالب روائي، مُزج فيه التشويق والمغامرة بالإثارة، والحمد لله فقد ظهرت على هذا الشكل الذي أتمنى أن يرضيكم قبل أن يرضيني.

فتلك الرواية هي محاولة لاستحضار الماضي ليتقاطع مع الحاضر مظهرًا تلك الشخصية المصرية بكل متناقضاتها.. الشجاعة والجبن.. الحب والكراهية.. العنف والوداعة.. الإقدام والإحجام.. الرقي والتخلف.. العلم والجهل.. الثبل والحسنة..

هي محاولة للتعرف على أنفسنا.. أين كنا؟.. وأين أصبحنا؟.. وأين نتجه؟

فمن خلال شخصيات القصة التي بين أيدينا سنرى معًا تلك المتناقضات.. سنرى بطل القصة وما يحمله داخله من شغف وإصرار وعقل قد تفتح لينطلق به للأفاق حتى اللامعقول، وقلب لإنسان يحاول مواجهة نفسه ومخاوفه حتى يصل لهدفه في تحبّ، حتى ولو كان وحده.

سنرى فريقه الذي انقسم بين مؤيد ومصديق وغير مصديق. فمهم من توقف عقله عن إدراك أي شيء سوى الواقع، والواقع فقط. حيث لا مجال للخيال والحلم، ومنهم من لا يؤمن سوى بالماديات والوقائع. ومنهم من يقف في الوسط بين حرية العقل وانطلاقه لأفاني أبعد وبين جمود الحقائق والماديات. ومنهم تلك الشخصية البسيطة التي تحاول التأقلم مع كل ذلك دون أن تحاول فهم ما يدور حولها.

سنرى أن التاريخ ما زال يحمل بين طياته الكثير مما لم نعرفه بعد وما لن نعرفه أبداً، وأن الحقيقة قد تواد يوماً طمعاً في إخفائها، في الوقت الذي تثبت فيه وتضرب بجذورها في الأرض لتغير الأجيال القادمة بما لا نعرفه.. وربما لن نعرفه نحن ولكنه لن يغيب عنها في وقت ما.

لقد تطرقت القصة التي بين أيديكم لحقيقة تاريخية حيرت الباحثين على مدار العصور ألا وهي كتاب أو "برديات تحوت"، وهل هو حقيقة أم مجرد أسطورة تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، وما هي قصته مع أبناء رمسيس الثاني، وما هي قصة اللعنة، واعتمدت في ذلك على المراجع التاريخية في هذا الشأن والتي ستجودنها في نهاية تلك القصة الذي بين أيديكم، كما وضعت أصول تلك الكتب لمن أراد الاطلاع عليها على صبغي الأدبية في الفيسبوك والتي هي معونة باسمي كما ورد في آخر الرواية.

في تلك القصة سنغوص في أعماق النفس البشرية، سنعيش بعض من لحظات الخوف الذي هو جزء منها، ذلك الألم الكامن بين طيات ذلك الخوف الذي لا ينتهي..

سيتجسد ذلك الخوف في بدزميران..

وستشعر بهذا الألم في عقلك..

ولكنك ستحصل في النهاية على كزك المدفون، حينما تواجه الاثنين في أعماقك..

حينما يمتزج سحر الماضي بألق الحاضر..

حينما تتجسد الأسطورة لتلقي بظلالها على الحقيقة..

حينما يفوق الواقع العيال..

حينما يكون الألم هو وسيلة الوصول للحقيقة..

حينما تتجسد أعظم مخاوفك أمام عينيك لتعبر بك إلى عالم آخر..

عالم لن تراه أو تشعر به إلا حينما تعيش معنا تلك اللعنة..

لعنة ميدوم.. بدزميران..

وفي النهاية لا يسعي إلا أن أهدي تلك القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر في تشجيعي، والذين وقفوا بجاني في كل الأوقات، فهدوا لكم، ولكني أود أن أشاركهم لحظات النجاح..

استاذي الفاضل المستشار والأديب أشرف العشماوي..

د / إيمان الدواخلي..

أسرتي الكبيرة من دار ن..

صديقي محمد عصمت..

أختي الجميلة برديس عجد ومراجعتها النص مرات عديدة.

صديقي الرائعة والتي لولها ما ظهر العمل بهذا الشكل المتميز د/ميرفت صلاح..

الأديبة العزيزة والأمل السوري.. دينا نصري..

أصدقائي الغاليين.. نور مانجا أم توبا.. دعاء الحناوي.. غادة قناوي..

هند البنا.. رشا الشهاوي.. محمد محسن.. سمر الباز.. عجد أحمد إبراهيم..

د/حميم السيد.. غادة نجيب.. هيثم حمن.. رحمة أنور..

وجميع أعضاء جروب عصير الكتب

شكراً لدعمكم المستمر لبلأ ونهاراً..

وأخيراً وليس آخراً أستاذنا ومعلمنا والدنا الروحي.. حسان حسين

صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعاً هذا العمل المتواضع..

عمرو م. مرزوق

آه يا مصر..

لن يبقى من ديك شيء سوى لغو فارغ..

ولن يلقى تصديقاً حتى من أبنائك أنت نفسك..

لن يبقى شيء يروي عن حركتك إلا على شواهد القبور القديمة..

سيتعب الناس من الحياة..

ويكفون عن رؤية الكون كشيء جدير بالعجب المقدس..

ولسوف تصبح الروحانية التي هي أعظم بركات الله مهددة بالقناء..

وعبثاً تقيلاً يبرح احتقار الغير..

سيدمغ الصالح بالبلاهة..

وسيكرم القاسق كأنه حكيم..

وسينظر إلى الأحق كأنه شعاع..

وسيعتبر القاسد من أهل الخير..

وتصبح معرفة الروح الخالدة عرضة للسخرية والإنكار..

ولاتسع ولا تصدق كلمات يجمل وثناء تقه إلى السماء..

من كتاب تعوت

(حكمة الفراعنة المفقودة)

عصر الأسرة التاسعة عشر.. فترة ولاية رمسيس الثاني، تحديدًا في بداية عام ١٢٤٠ ق م.. في مدينة منف تحت ولاية الأمير "خا أم واس" ولي العهد وكاهن بتاح الأعظم.

(سأطوي لك صفحة الزمان لتمر أمامك وكأنها لحظة بين عينيك.. سترى ما تعجز عن تصديقه.. لتتكلم بلسان أبناء الآلهة.. لكني سأطمس على عقلك حتى لا تنوح بمر الكهنة المقدَّم).

دارت هذه الكلمات في عقل «خاي».. ذلك الصبي الذي لم يتعد السادسة عشر من العمر.. ولا زالت ترن في أذنيه، صبيبة إياه بألم هائل.. جعله يتأوه مرة أخرى.. قبل أن يهرع إليه أحدهم:

«خاي.. خاي.. اسليقظ يا ولدي.. أنت بهير؟

«أين أنا؟ لا أدري أي شيء.. من أنت؟

«أنا «حتوم خنب».. لا عليك يا ولدي فليشفك الإله الأعظم.. ما هي تلك الحالة تصيبك مرة أخرى.. لقد أفزعنا والدك عليك.. فلتجلس قليلاً حتى أخبره.. إنه في المعبد منذ أربع ليالٍ، انه لا يزال يتلو صلواته لشفائك، سيفرح أشد الفرح حين يعلم..

تركه «حتوم خنب» مهرولاً إلى الخارج. أما «خاي» فقام من جلسته ليجد نفسه وسط غرفة حجرية الجدران، وقد زُيّنت بالنقوش والرسوم الملونة بألوان بديعة بجوار سريره والذي كان مغطى بستائر مخملية ذات ألوان هادئة. وقد تصاعدت رائحة البخور من أحد أركان الغرفة..

دار «خاي» في أنحاء الغرفة محاولاً تذكّر أي شيء، ولكن هيات، فقط ذلك الصداق القاتل الذي يكتنف رأسه، وبعض الأفكار الموشوشة التي لا يدرك كتبها، فهو لا يتذكر حتى من هو أو حتى شكل والده.. فقط بعض الجمل القريبة والتي تزيد من حيرته، وما زالت تتردد في رأسه .

خرج إلى الشرفة ليجد أجمل منظر قد تقع عليه عيناه، فشرفته تطل على النيل مباشرة وقد انطلق ليضيق الأرض الخضراء على جانبيه مشجلاً لوحة جمالية فاتنة، وكان الفلاحون يعملون في الأراضي القريبة بكل جِدٍّ ونشاط.. فتتفلس ملء رئتيه بذلك الهواء المشبع برائحة الخضرة الطيبة..

- «خاي».. «خاي».. ولدي العجيب.

التفت «خاي» ليجد «حتوم خنب» الذي رآه عندما أفاق ومعه شخصان، أحدهما تبدو عليه المهابة يهرول نحوه ويضمه إليه بشدة مقبلاً إياه قائلاً:

- يا إلهي الأعظم الحمد لك على استجابتك دعائي وعودة عافية ولدي الوحيد.. ما بك يا «خاي».. ألا زلت لا تتذكرني يا ولدي؟

حاول «خاي» جاهداً أن يبينو طبيعياً، وقد أدرك من كلام الرجل أنه أبوه، فأردف قائلاً بصوت بدا واهناً:

- معذرة يا أبي.. لكني فعلاً لا أتذكر أي شيء أو حتى من أكون .

نظر إليه أبوه بعنان وهو يربت على كتفه قائلاً:

- لا عليك.. فهذا المرض يعود إليك كل فترة.. ولكنك ستتعافى يا ولدي لا تقلق..

- لن أقلق ما دمت إلى جانبي يا أبي.. ولكني أريد أن ألهو قليلاً خارج المنزل..

ضحك الرجال الثلاثة من براءة الصبي، وأردف أبوه ضاحكاً:

- ها أنت تبدأ في التذكر سريعاً..

والتفت إلى «حتوم خنب» قائلاً:

- يا «حتوم خنب» عليك بـ «خاي» فلنتخرج معه إلى خارج القصر ولا نتركه أبداً ولا نجعله يغيب عن ناظريك.. حتى يأمرك بالرجوع .

- أمرك يا سيدي.. تفضل يا «خاي»..

وأمسك بيده ليخرجاً من الغرفة ووالده لا يزال يتبعه بنظراته قائلاً في حمسة: «كم أخشى أن أفقدك يا ولدي العزيز كما فقدت والدك من قبل.. فانت كل ما لدي الآن في الحياة.. أنت ولدي الوحيد.. وأنت من ستراث كهنوتية المعبد.. فانا أوهلك لتأخذ مكاني بعدما أبدأ رحلي الأبدية».

نظر إليه «رام» بمساعدة قائلاً في إشفاق:

- لا تحف يا مولاي الميجل «تب رع».. سيشفى بحق الإله الأعظم، فهذه حالة طارئة سرعان ما ستزول.

- لا يا «رام».. لقد تكررت في الأسابيع الأخيرة كثيراً ولازلنا لا نجد أي تبرير لتكرار تلك الحالة على الرغم من عرضه على أمهر أطباء بلاط ولي العهد..

- يا سيدي لقد أخبرتك من قبل أنها تشبه تلك الأعراض الملغونة التي أصابت مولانا ابن ولي العهد الأمير خا..

قاطعه الكاهن «تب رع» وألد «خاي» بإشارة من يده:

- لا تجعلني أتذكر تلك السنوات القاسية، ووفاة ابن الأمير «خا أم واس». لا أريد تذكر هذه القصة مجدداً..

أوما «رام» برأسه في تهجيل:

- سمحاً وطاعة يا سيدي.. فلنقم بصلواتنا سريعاً.. فأنت تعلم أن ميعاد مجلس الكهنة اليوم في انتظار موكب «نفرو» الكاهن الأكبر وحامل كأس ولي العهد الأمير

«خا أم واس» ابن رمسيس الثاني ابن الإله الأعظم آتون..

تهب «تب رع» قائلاً:

- لا تذكرني بهذا الميعاد يا «رام».. لقد حدثني الكاهن الأكبر «نفرو» صباحاً، أن جلاله ولي العهد «خا أم واس» يطلب ذلك الكاهن العجوز الغريب اليوم.. والذي أتاه من أقصى أنحاء مصر كما يدعي، وذلك بعد مقابلة أول أمس.. لقد تركه ليستريح من رحلته ليبدأ إجاباته لمولانا الأمير.

- اتصديقه يا سيدي؟

- لم أحضر اللقاء الأول يا «رام»، فقد كان مسري بينهم كما علمت ولم يحضره سوى مولانا الأمير وابنه الأمير «أوزير» وكذلك الكاهن الأكبر «نفرو».. ولا يسعى إلا تصديقه.. فلا توجد لديه أي مصلحة في الكذب.. هو عجوز لدرجة أننا نخشى على حياته قبل أن يذلنا على المكان المنشود.. وأنت تعلم كم من الزمن مرَّ حتى ظهر هذا العجوز..

- إن مولانا الأمير يستقبله استقبال الملوك، ولا أدري أيغضب ذلك الفرعون الأعظم سليل الآلهة مولانا رمسيس الثاني؟

- وما يغضب مولانا رمسيس الثاني؟

- أنت تعلم يا سيدي أنه بعيد أشد البُعد عن تلك الأفكار.. هو بيتي وبشيد وبحارب في نفس الوقت ولا وقت لديه إلا لإنشاء مصر الحديثة، وأنت ترى ابنه الأمير «مرنبتاح» الأخ الأصغر لمولاي الأمير ولي العهد يدفعه لقتال «قبائل الليبو» المعتدية على الحدود..

- أعلم ذلك.. لكن أنت تعلم أن مولاي الأمير «خا أم واس» هو أكبر أبناء رمسيس الثاني وهو ولي العهد وله منزلة خاصة بين جميع أبنائه..

أنبع الكاهن «تب رع» قوله هذا بقباهة مستعداً للانصراف وقد التفت إلى مساعدته قائلاً:

- اسمع يا «رام».. ليس ذلك من شأننا.. سأذهب إلى المعبد لأكمل صلواتي حتى يعين ميعاد الاجتماع، وسوف أخبرك بما حدث..

* * *

- من أنا؟ ومن أنت يا «حتوم نخت»؟

ضحك «حتوم خنب» وهو يجيب «خاي» قائلاً:

- أنا «حتوم خنب» يا «خاي».. وليس نخت فلمت قوتاً حتى تطلق عليّ نخت التي لا تُطلق إلا على الأقوياء، أما أنا فعجوز كما ترى.. وأنت مولاي الصغير «خاي» ابن تب رع.. كاهن المعبد الجنائزي وكبير مساعدي كاهن بتاح الأكبر «نفرو» حارس المعبد وحامل كأس مولاي الأمير «خا أم واس»..

- ومن يكون هذا المواس؟

- هو مولاي الأمير حاكم منف وكاهن بتاح الأعظم وولي عهد الملك المعظم
رمسيس الثاني ابن سوتي الأول..

- نعم.. نعم.. رمسيس.. أعتقد أنني سمعت عنه..

- صه أيها الصبي!!.. هو مولانا الملك الأكبر المعظم لا تنطق اسمه هكذا.
- إذن من أنت؟ أخبرني أكثر..

- أنا معلمك العجوز يا «خاي».. من يعلمك جميع العلوم الحديثة من
لغة وأدب وثقافة ليتم تأهيلك لأخذ مكانة أبيك «تب رع» بعد رحلته
الأبدية..

- وكيف أنطق تلك اللغة الصعبة يا «حتوم خنب»؟

- أي لغة يا «خاي»؟ إنها لغتك يا ولدي!!.. أنت تعلم أن هناك عدة لغات
في مصر الفرعونية. ولقد علمتك اللغة الهيراطيقية كما أمرني والدك
فهي لغة رجال الدين فقط..

- والهيروغليفية؟ نعم أتذكر أن اسمها كذلك..

- الهيروغليفية هي لغتنا المقدسة، وهي تستخدم في النقش على الجدران
لتشيد مجد الآلهة. وسوف تتعلمها لاحقاً بمجرد ترسيمك ككاهن في
المعبد المقدس.. وهناك اللغة الديموطيقية التي سأقوم بتعليمك إياها
أيضاً.. فهي اللغة الدارجة في تعامل المصريين في حياتهم الخاصة..

- أنا لا أعي نصف كلماتك يا حتوم.. نفمي مندهش من أنني أتقن تلك
اللغة، كيف؟ لا أدري، ولكن لنترى..

قطع «خاي» كلامه فجأة وهو يشير بيده على صبي يقترب منهم قائلاً:

- انظر..!!.. من هذا الصبي الأقرع الذي يقترب منا في سرعة وبجواره عدة
حراس؟

- استدار «حتوم خنب»، وما إن وقعت عيناه إلى حيث أشار «خاي» حتى
خرّ ساجداً على ركبتيه على أرض الحديقة مستنذاً على كفيه بعد أن
جذب يد «خاي» ليعذو حذوه عندما اقترب الصبي من «خاي» مهلاً:

«خاي» صديقي العزيز.. حمداً للآلهة على نجاتك هذه المرة أيضاً.

انظر إليه «خاي» بحيرة متسانلاً:

من أنت؟

ضحك الصبي وهو يداعب «خاي» قائلاً:

- ها نحن نعيد الكرة مرة أخرى.. هيّا.. هيّا إلى قصر أبي، وسوف نتحدث
وللهو سوئاً كهادتنا..

انظر «خاي» متسانلاً إلى «حتوم خنب» الذي وقف قائلاً بهمس:

- هو مولاي الأمير «أوزير» يا «خاي» ابن مولاي الأمير «خا أم وام»..

- أيجب أن أذهب معه؟

- فلنذهب يا «خاي» هذا وقت كهوك وأعتقد أن ليس هناك أي دروس
اليوم سألقها عليك حتى تستعيد عافيتك، ولنذهب سوئاً ولنلتظر
والدك قبل ميعاده المحدد في هيو مولانا الأمير..

- أي ميعاد؟

ربت «حتوم خنب» على كتف «خاي» قائلاً:

- «خاي» أنت كثير الأسئلة.. فلنذهب في موكب الأمير «أوزير» وسوف
البحق بكم..

هتف به الأمير أوزير:

- هيّا هيّا يا «خاي».. لدي الكثير لأقصه عليك منذ فقدك للوعي قبل
عدة أيام.

* * *

في إحدى ليالي شتاء ديسمبر ٢٠١٣ بمدينة نيويورك وعلى قاعة الطريق.

كان "جيمس إدوارد" بهرول بعد أن هبط سريعًا من سيارته وهو في أشد حالات الفزع والرعب، ناظرًا إلى المخلوق الجالس على المقعد الخلفي، فقد كان لثني أسود اللون مغطى بالشعر دون أن يتبين حقيقة ملامحه.. مما جعله يترك السيارة في منتصف الشارع ليعدو بأقصى سرعة إلى بيته..

كانت يده ترتعشان وهو يفتح الباب الخارجي لمنزله بعد أن أخذ يبحث عن المفتاح الاحتياطي الذي اعتاد أن يضعه تحت سجادة المدخل حتى وجده وهو ينظر خلفه بمنتهى الرعب..

دلف إلى الداخل وهو يجري في جميع أنحاء المنزل ليتأكد من غلق كافة النوافذ، ثم تناول مسدسه من أحد أدراج مكتبه وجلس أمام الحاسوب الخاص به ليفتح بريده الإلكتروني على عنوان أحدهم ساطرًا عدة كلمات:

(ماثسون.. إنهم حقيقة.. أوقف جميع خطوات البحث عن البرديات.. وأبم الصفة مع المصري بخصوص القابوت بأي شكل.. لعنة الله على أنتوني.. نهايتي تبدو كنهاية زميلك.. لعنة الله على الكتاب وعلى تعوت.. فلتصلي من أجلي.. للهنة..).

توقفت كلماته عند هذا الحد بعد أن تمكن من ضغط زر إرسال.. وقد شعر في هذه اللحظة أن هناك كائنًا أسود اللون كان يجلس أعلى المكتبة الخشبية يحدق إليه بعين بيضاء..

لناول جيمس مسدسه وهو في قمة الفزع، ولكن بدلًا من أن يوجهه إلى الكائن وجد أن يده لا تظهر ناحية الكائن بل تقترب من رأسه وهو يصرخ ويحاول أن يقاوم يده ولكن..

ودوي انفجار شديد في رأس جيمس..

* * *

انطلقت سبارة الإسعاف بسرعة هائلة في ذلك الوقت من يوم الأربعاء الثاني من فبراير لعام ٢٠١١.. كانت دقائق الساعة تشير إلى العادية عشر في بد السائق الذي كان متوترًا بشكل ملحوظ. وهو ينظر تارة إلى الطريق الذي يخلو من المارة بسبب حظر التجوال والذي كان قد بدأ في السريان.. ويشتمل نظرة داخل كابينة السيارة والتي يوجد بها ثلاث رجال أشداء وبجوارهم رجل غريب الشكل في الستين من عمره يرتدي عباءة سوداء قائمة. وبجوار طفل مستلقي بشكل يوحي أنه في غيبوبة تامة. وقد أخرج الرجل من بين طيات ملابسه زجاجة صغيرة تحتوي على سائل أحمر اللون ليستقي الطفل بضع رشقات منها ويضعها ثالية في جيبه ليطلق بخور غريب الرائحة في السيارة. ويتمتم ببعض الطالسم والرجال من حوله بهمهمون معه في تضرع..

وبجوار السائق جلس رجل يبدو من ملامحه وهيلته أنه أجنبي عن البلاد.. كان ينظر للسائق في برود ولا يميز وجهه سوى ندبة غائرة تمتد من حاجبيه حتى أسفل عينه. وكان هو الآخر ينظر إلى الخلف في مرآة السيارة ليلمح عربة كبيرة تلعبهم عن بُعد.. وقد امتدت يده لتتصمس حقيبته في هدوء وهو ينظر إلى السائق مرة أخرى والذي انشغل بذلك بالدخل السفري الذي يقع بين وديان الجبل..

كان هرم "مهدوم" يلوح في الأفق في هذه النقطة التي تعهد عن القاهرة حوالي مائة كيلو متر. وبدلاً من الاتجاه نحو الهرم مباشرة. اتجه السائق

ووما وظل يسير لمدة خمس عشرة دقيقة وبدأ في تخفيض سرعته متجنباً نحو منزل من تلك المنازل التي ولدت بجوار الجبل إثر إشارة ثلاث مرات من بطارية أحدهم.. ليصل إلى المنزل المتشود ثم يتوقف أمامه بهدوء. ويحذر أن وقفت السيارة خرج رجلان من المنزل ليصتاها باب الإسعاف الهلبي ويحملان الطفل الممدد يتبعهم العجوز. والآخر يحمل حقيبة بها أشياء أثرت اشمزاز الأجنبي.. وقد هبط السائق يحمل مصباحاً كهربائياً لهضي الطريق أمامهم.

ثان «ديفيد» هو آخر من نزل من السيارة وكأنه يتأكد أن تلك العربة الزرقاء لا زالت تتبعه عن قرب هذه المرة.. ولكن دون أن يشعر بها رفاقه

دعس الجميع إلى المنزل وجلسوا مستندين إلى الحائط بعد أن وضعوا الطفل على منضدة خشبية. وكان العجوز في ذلك الوقت بدور حول المنضدة التي عليها الطفل ذو السبعة أعوام. وأمامها كانت حفرة كبيرة في الأرض وبجوارها أدوات للعفر..

ترك العجوز الطفل وأخذ جعبته ليخرج منها غراباً مقيداً من أرجله وبدأ في نزع ريشه ووضعها داخل ميفجرة لتتصاعد معها رائحة كريهة ويعطيه لأحد مساعديه انتظاراً لمصيره المعتوم..

وقد بدأ العجوز يرسم مربع كبير الشكل في حبة معينة من أرضية الغرفة. وأخذ في رش بعض من الملح الخشن على الخطوط المرسومة. ثم أخذ في كتابة أرقام كثيرة ورموز داخل المربع. وقد أخرج من جعبته أربعة أحجار في حجم قبضة اليد ليدلضها على رؤوس المربع..

وبدا في المهمة وقد مدّ يده لياخذ الغراب من مساعده. حيث قام بذبحه بسكين حاد ليريق دمه على الأربع أركان. وقد بدأ في الارتعاد مردداً: "برقان.. ميطلرون.. ميمون.. أبانوخ.."

وظل العجوز يهتف في كل طرف من أطراف المربع: "برقان.. ميطلرون.. ميمون.. أبانوخ.."

ارتعد الرجال من حوئه ومع تصاعد الأبخرة بقصوة بدأ العجوز في الدوران حول نفسه بطريقة مخيفة..

أشعر بدن «ديفيد» من تلك الطقوس، فخرج ليتنفس بعض من الهواء النقي وقد ازدادت بيرة العجوز وهو يتمتم بشكل مخيف: "برقان.. ميطلرون.. ميمون.. أبانوخ.. برقان.. ميطلرون.. ميمون.. أبانوخ.."

وعندما حانت اللحظة المناسبة، اقترب العجوز من الطفل في بطنه ليجذب رأسه إلى طرف المنضدة ليعلمها مائلة باتجاه المربع المرسوم في الأرض. وبكل برود يقرب السكين من رقبة الطفل لينحره بكل هدوء.. ويتركه للسيل دماؤه على الأرضية. وقد بدأ في التضرع والصراخ وجثا على ركبتيه أخذاً وضع التوسل والتهيب. بعد أن أخذ يرسم علامات يدم الطفل على المربع الموجود.. "طيك طيك.. كمطم مازر.. طيك طيك.. كمطم مازر.."

وبعد فترة من الصراخ والتضرع والعيول. أعطى لهم العجوز الإشارة بيده العفر حول المربع المرسوم فبدأ الرجال في العمل حتى ظهر لهم أخيراً ما كانوا يبحثون عنه.. فقد ظهر لهم حجر كبير على شكل مربع.

دماؤوا جميعاً حتى أزاحوه ليظهر من تحته الغرفة أو المقبرة المنتظرة والتي تصل إلى غرفة العفر عن طريق سلم حجري.

وكان «ديفيد» قد اكتشف المقبرة منذ فترة كبيرة، ولكن كان لابد من انتظار الإذن لفك الرصد. الذي لم يكن سوى الطلاس والتعاويد ودم الطفل. وذلك على حسب التقاليد المتبعة في بعض الأماكن..

أما سائق الإسعاف فقد كان يراقب من بعيد كل تلك الطقوس. وعندما ظهر السلم الحجري أمسك بمصباح كهربائي واقترب من المقبرة ليديي المصباح ويقترب برأسه ليطل إلى أسفل حيث المقبرة ويشق ويرفع رأسه سريعاً قائلاً في فرح:

«التابوت..»

أخذ منه العجوز المصباح وأطل برأسه ليرفعها بعد دقيقة وقد بدت عليه الفرحة الضديدة عندما لمح شيئاً ما في ركن الغرفة.

خرج أحد العمال إلى خارج المنزل سريعاً ليبحث عن الخواجة هاتفاً:

«يا خواجة ديفيد.. يا خواجة ديفيد.. البشارة..»

بركض «ديفيد» مسرعاً إلى الداخل ليهضم بمنظر الطفل الذي بدا منهوذاً من رقبته وقد سال دمه على الأرض.. فينظر باشمزاز للجميع الذين بدوا وكأنهم لم يكتروا لوجوده معهم في الغرفة، ويهتف في العجوز بعصبية:

«لماذا هذه المهمة يا شيخ حسن؟ لقد وجدنا مسبقاً التابوت منذ ثلاثة أيام فما ذنب الطفل في كل ذلك؟»

فبرد عليه سائق الإسعاف جهوء:

- يا خواجه هذه طقوس لا بد من القيام بها حتى نستخرج الآثار دون مشاكل.. نحن نعلم أن لكل أثر من آثار القراعنة حراس من الجن نطلق عليهم الرصاد يقومون بحراسها ليل نهار ولابد من أخذ الإذن منهم قبل القيام بأي عمل لاستخراج ما هو مدفون، لقد توارثنا هذه الطقوس منذ عشرات السنين..

نظر إليه «ديفيد» بأشماز قائلاً:

- لا أفهم مما تقول .. أنه فقط صورة من صور التخلف.. المهم أنكم قد أدبتم ما أردته ولكم مكافآتكم السخية.. ولكن بعد نقل محتويات المقبرة سريعاً قبل بزوغ النهار..

التفت «ديفيد» إلى حيث المقبرة، ولكنه لاحظ اختفاء المعجوز فالتفت إلى السائق مرة أخرى متسائلاً:

- ولكن أين ذهب الشيخ حسن؟

- إنه في الغرفة السفلية، كان عليه أن يكمل ما بدأه هنا ويلقي بقية الطلائع في المقبرة، وإلا فلن نقدر على الدخول فيها أو التزول حتى على أولى درجات السلم.

- في الأسفل...!!!!!! ألن تنتهي أبداً من تلك الصغاريف؟

قالها وهو يتزل للمقبرة وقد انتابه شعور باللضوة والانهيار، فقد كانت المقبرة بعالمها الأصلية لم تمتد إليها يد بعد.. فامتدت يده لتحسس

التابوت.. ما هو حلمه الذي بدأه منذ عدة سنوات وقد أصبح حقيقة
لن يدري..

استغرق «ديفيد» في تفكيره حتى إنه لم يشعر بالشيخ حسن الذي كان في رأس الفرقة يجلس القرقفصاء مستنداً إلى حائط المقبرة وهو لا يزال يطلق البهور ويتمتع بظك التعاويذ..

ظل «ديفيد» يدور حول التابوت الأثري والذي تراصبت بجواره العديد من الصناديق والجرات الممتلئة بالآثار الفرعونية والتي لم يعرها أي اهتمام، بل تناول الصباح من أمام المعجوز واقترب من التابوت، والذي كان بطول حوالي مترين وعرضه قرابة النصف متر والمصنوع من الخشب الأبنوس الثمين والمكسو برقائق من الذهب، وأخذ يقرأ الكتابات الموجودة على التابوت وقد انتابته سعادة غامرة..

في هذا الوقت انتبه المعجوز لديفيد والتفت ناحيته وهو لا يزال يدور بسعادة حول التابوت وهتف به غاضباً:

- اسمع يا خواجه.. القراعنة لديهم حراس ولابد من احترام قدسهم، فلا تفكر حتى فيما تنوي القيام به.. فأنا أدرك جيداً ما تفكر فيه.

ضحك «ديفيد» في سخرية وهو ينظر باستهزاء للمعجوز الذي ترك مكانه أخيراً وأخذ مبعثرته ليصعد على السلم الحجري متمتعاً بكلمات بدا كأنها لبث الرعب في القلوب..

أما سائق الإسعاف فقد كان لا يزال متابعاً للموقف من أعلى فقد مد يده إلى المعجوز ليعاونه على الصعود وهمس له بعدة كلمات اضطرب المعجوز على إثرها..

وبدا «ديفيد» في النداء على الرجال الذين هبطوا جميعًا إلى المقبرة لينصتوا إلى أوامر «ديفيد» وهو يبين لهم خطوات النقل.. فبدأوا ينقل الأشياء الضخيمة من الصندوقين الخشبيين الموجودين وبعض الجرات إلى عربة الإسعاف التي ما زالت تنتظر في الخارج.

استمر الرجال في ذلك حتى لم يتبقى سوى النابوت، والذي بذل الجميع جهدًا حارقًا حتى لا يتأذى النابوت والمومياء بداخله. إلى أن تم رفعه أخيرًا داخل عربة الإسعاف..

وما إن انتهى الرجال من نقل محتويات المقبرة حتى التفت الجميع حول «ديفيد» انتظارًا لأوامره، والذي تناول حقيبته من داخل سيارة الإسعاف قائلاً لهم بلا مهالة:

- لقد أدبتم ما عليكم وقد حان وقت مكافأتكم التي كنت قد وعدتكم بها.

انفجرت أسارير الرجال حينما أتى على ذكر المكافأة، لكن «ديفيد» بدا كمن تذكر شيئًا ما وهو يلتفت حوله قائلاً:

- ولكن أين الشيخ حسن؟

فنهت أحدهم:

- إنه في الداخل يا غواجة لم يستطع مساعدتنا في رفع الحمولة، إذا كنت تريد سآذهب لإحضاره.. واعتقد أن السائق أيضًا معه.

- لا.. دعهم الآن سآذهب إليهم لاحقًا.. فلتهملوني دقيقة فقط.

وترجم قوله بأن فتح حقيبته وتناول منها مصدرًا كاتمًا للصوت ليسقط الخمسة رجال صرعى في أقل من عشر ثواني.. بعدها أطلق أنوار مصابيح

سعد به بإشارة متفق عليها وما لبث أن برر من بين المدول أربعة رجال في سواد أسوداء اتجه أحدهم لمسيارة الإسعاف ليجلس على مقعد القيادة.. سطرًا أوامر «ديفيد» بالتحرك، والذي هتف ببقية الرجال الثلاثة.

المصو على المعجور المخرف والمسانق.. فما زال داخل المنزل وتخلصوا بسرعة من الجثث، وأمعوا أي أثر لنا..

بعد عشرين دقيقة تمامًا كانت السيارة الزرقاء الكبيرة والتي تحمل رقمًا دبلوماسيًا تهب الطريق إلى القاهرة، وخلفها سيارة الإسعاف وبها «ديفيد» بعد أن طمر الجميع بالغبية تاركًا في ذلك المنزل مجزرة تم ارتكابها من أجل ذلك النابوت الذي يختلف عن جميع التوابيت الذي رآها في حياته..

كانت عملية ناجحة بكل المقاييس إلا من شيء واحد.. فعندما دخل رجاله المنزل لم يجدوا أي أثر للمعجوز أو المسائق رغم بحثهم في كل أرجائه.. وقد كان هذا الاختفاء الغامض ما يفلق ديفيد..

أو مستر «جيمس إدوارد» العالم بالآثار المصرية.

* * *

بعد هذه الواقعة بعدة شهور وتحديدًا في منتصف يوليو ٢٠١١ في العاصمة الإنجليزية، كان «جيمس إدوارد» يجلس أمام «انتوني شاقال» الذي استشاط غضبًا وهو يقبل نظره في تلك البردية والتي غُلِّفت بورق من البلاستيك الشفاف ثم يلقها داخل حقيبة جسدية، صارخًا في جيمس:

- ما أنت إلا قفاعة يا جيمس.. مجرد قفاعة.. كيف تفسر هذا الفشل الذريع؟

انكمش جيمس أكثر في مقعده وحاول أن يتماسك محاولاً تهدئته ولكن كلماته خرجت متحسرة رغماً عنه:

- سيد أنتوني.. لم أقترب خطأ.. فالمقبرة التي وجدناها هي لذلك الكاهن المجهول، وقد نقلنا محتويات المقبرة بالكامل لمكان سري بالقاهرة تمهيداً لمسرها.

قاطعه أنتوني وقد لقد صبره:

- أي غباء تقفوه به يا جيمس؟ هناك آلاف من التوابيت التي لا زالت مدفونة في مختلف أنحاء مصر.. إننا نبحث عن تلك المقبرة منذ أكثر من خمس سنوات من أجل الحصول على ذلك الكتاب.. وأنا لا زلت أتعمل فشلك مرة بعد أخرى.. وهذه المرة بدلاً من أن تعثر لي على تلك البرديات والتي تشكل كتاب تحوت، تعثر على جميع محتويات المقبرة بما فيها هذه البردية الملونة ومومياء الكاهن الذي يبدو أنه كان من الكهنة المتصلين بالجن حتى تصليها تلك اللعنة..

كل تلك السنوات وأنا أتعمل متابع معامراتك الفاشلة مقابل مومياء لكاهن من كهنة الجن؟ كل هذه النفقات ثمناً لفشلك أنها الهي؟

- سيدي، لا أظن أنك تؤمن بهذه الخزعيلات.. فأنا أؤكد لك أن هذه هي كل محتويات المقبرة وأنه لا وجود لمثل هذا الكتاب، وأن قصة اللعبة هذه لا أساس لها من الصحة.. فلماذا تصورت أنه كاهن من كهنة الجن.. سيدي لا وجود للجن و..

هذه.. سولي بإشارة من يده وهو يتناول سيجاراً من على مكتبه ويشعله.
عاش على كرسيه أمام جيمس لأول مرة منذ بداية اللقاء وتحدث
.. وهو يمشي دخان سيجارته بكل برود:

.. هي جيداً أنها الأحق وتعلم، ولا تظن أنه يكونك من علماء
المصريين أنك تستطيع مجادلتي..

.. صحت سنوات عمري في البحث عن الآثار المصرية والتعرف على
الآلهة واساليبهم وأفكارهم وتقدمهم العلمي في كافة المجالات، حتى
وغضب في يدي برؤية تشير فعلاً إلى حقيقة وجود كتاب تحوت.. والذي
حفظه كاهن من كهنة المعبد المقدس والذي كان على اتصال بالجن،
بعد أن عهد إليه ابن رمسيس الثاني "مرنبتاح" بأن يحرق الكتاب بعد أن
أخذ من خطورته في المسحر والشعوذة فاحتفظ به لنفسه، ليوصي
.. منه معه عند موته.

ولكن يا سيدي كل هذا مجرد خرافات وأساطير قديمة، فلا وجود
للهة كانوا متصلين بالجن، حتى كتاب تحوت هذا فقد اختلف العلماء
في دهمية وجوده، وإن كان يظهر من وقت لآخر بعض الدجالين الذين
يعنون معرفتهم وأطلاعهم على الكتاب....

.. أول أنتوني نفماً آخر من السيجار قائلاً:

اسمعي جيداً أيها الغبي ولا تقاطعني.. فبحكم خبرتك كعالم آثار فلا بد
من تعلم المارق بين كاهن المعبد وكاهن المعبد الجبانزي وكاهن المقابر
فكل كاهن اختصاصه، ومن بين هؤلاء الكهنة من كان مختصاً بعالم
اللامرنيات، وهو ما كان يعتبر همزة الوصل، وليس معنى هذا أن كل من

كان متصلاً بعالم الجن في الكهنة كان قديرًا في معاملته معهم. فقد كان مهم القوى والحاكم على تلك العشائر ومنهم من كان ضعيفًا يسيطر عليه ذلك المخلوق ومنهم من كان على صلة بين العالمين وتلك الطائفة من الكهنة كانوا يعدون أقوى كهنة في الدولة المصرية القديمة.

توقف فجأة عن الحديث ليطلق سيجارته ويشعل أخرى وهو يستدرك

- أما الجن فقد كان منهم من كان يلتمس بالمالح الإيمانية العالية ومنهم من كان شديد الكفر وشديد العنف. فكان اتصال الكهنة مع تلك الطائفة من الجن يستلزم منهم أوقاتًا طويلة جدًا حتى يتم الاتصال بهم. وتلك الطائفة هي نوع من أنواع الجن الراق الذي كان ينقسم بالقوة والتقدم الفني والعضاري القوي. ولا يتصل بها إلا من وصل لدرجة عالية من الإيمان والزهد.

وقد كان اتصال الكهنة بالجن لحماية توابيت الفراعنة وأثارهم. لذلك كان لابد من إجراء طقوس معينة لفتح المقابر واستخراج كنوزها ومعرفة أسرارها. وهو ما حدث معك عند فتح تلك المقبرة..

وليس معنى هذا أنه بتلك الطقوس التي اتبعتها في فتح المقبرة أنكم قد أمنتهم شرها وغضب من يعرّسها من الجن. بل قد تكونوا قد فتحتم باب لعنة لا أحد يعرف متى وكيف ستنتهي. وهو ما حذرته منه منذ البداية. ولكنكم لم تستمع إليّ. والدليل على ذلك موت اثنين من مساعدك بتلك الطريقة البشعة.

مهدي.. أعرف كل ما قلته بالفعل ولكني غير مقتنع بتلك الغرافات. فموت مساعدتي كان حادثًا عرضيًا. ولا أعتقد أنك تظن أن صاحب تلك المومياء كان متصلاً بالجن وأنه قادم على حمايتها.

استمع إليّ جيدًا يا جيمس فلا أعرف كيف درست علم المصريات دون أن يدرك أهمية الدور الذي لعبه السحر في الحياة الأخيرة عند المصريين القدماء..

حتى إذا سلمنا بما تقول فما هي البردية الملعونة التي كنت تبحث عنها والتي وحدناها بداخل الثابوت والتي لم تكن تعذوي سوى على بعض الماوند واللعنات والويلات لمن يقترب من مومياء ذلك الكاهن.

هذه أنتوني في نفاذ صبره قائلًا:

وهذه البردية الملعونة التي جلبها ستجلب علينا شرورًا كثيرة لا علاقة لي بها. ما يعني هو إحضار ما اتفقا عليه. وهو تلك المجموعة من برديات نعوت. والتي أشارت إليها تلك البردية والتي وضعت في مقبرة ذلك الكاهن. حيث قالت (ولا تمشوا بسوء ما دون هنا بكلمات من قم الآلهة). وهذا هو ما أنفقت مالي من أجله أيها المأفون وليس ذلك الثابوت ولا تلك البردية الملعونة.

توقف أنتوني فجأة عن الكلام بشكل يوحي بأنه تذكر شيئًا ما فجأة. مما جعله يستدرك:

- هل أنت متأكد أنك بعثت جيدًا في المقبرة؟

نعم يا سيدي. وقمت بنقل جميع الصناديق والجرات ولم يكن هناك أي أثر لأي شيء آخر.

- فإين ذهبت تلك البرديات، أها الغبي؟

- فلنهدأ يا سيد أنتوني.. أعتقد أن هناك في الأمر خطأ ما.

- خطأ ما.. لا، جيمس.. أغرب عن وجهي وخذ تلك البردية الملعونة معك. لكن لصبيحة أخيرة أعد تلك البردية إلى مكانها وابتعد عن ذلك التابوت الملعون.

قام جيمس ليضع ورقة البردي المفلقة التي عثر عليها في ذلك التابوت داخل حقيبته. وقد ابتسم بسفوية وهو يلقي نظرة أخيرة على أنتوني الذي وقف يتطلع في شرود من نافذة مكتبه. وقد همّ جيمس بالانصراف حين استوقفه أنتوني الذي وقف لينفذ دخان سيجارته في شرود:

- جيمس.. أين ذهب ذلك الشيخ الذي قام بفتح المقبرة..

- أعتقد أنه عاد لقريته بعد أن اختفى بعد فتح المقبرة هو ومساعداه.

- عد إلى مصر وابحث عنه فربما يكون لديه الإجابة عما نريد..

انصرف جيمس وقد ترك أنتوني الذي عاد لشروده وحيره متمتعا في حلق:

- اللعنة على تهوت وكتاب تهوت.. كيف أصبحت أسيرا لهذا الكتاب.. فليرحمني إله السماوات..

غادر جيمس المبنى الذي يقع به مكتب أنتوني.. واستقل سيارته في طريقه لمنزله وهو يحدث نفسه:

تبّا لهذا العجوز الغرّف.. خمس سنوات وقد أصابني بالجنون بعديته المستمر عن النجى والأرواح الفرعونية والأساطير التي لا يروجها إلا

الجهلة خمس سنوات وأنا أجوب الصعراء الفاحلة من أجل البحث عما يريده ذلك المأفون وهو منعم في مكتبه المكيف.. خمس سنوات وأنا أعاني من الأساليب المصرية البدائية المتخلفة في التنقيب.. سلمت من معرفته وأوامره التي لا تنتهي.. ولكي أنتظر فقط حتى أصل إلى هذا الكتاب الذي يعوي أسرار السحر الأسود. والذي سوف يفتّر كل شيء سأمك كل شيء بامتلاكي لهذا الكتاب، والذي يظن ذلك العجوز المخرف أنني لا أؤمن به..

ولكن أين ذهبت البرديات؟ أي يي، امتدت إلها قبلي.. سأجن بالفاكيد.

صحك بسفوية مريرة وهو يواصل طريقه لمنزله والذي بدا له ممقداً إلى ما لا نهاية.

* * *

وقلت «مى بدران» الطيبية بمصلحة الطب الشرعي وهي تستمع إلى عمها الطبيب ومدير المصلحة السابق وهو ينظر في عدة صور لجنة قامت بتشريعها مؤخراً.. والذي خلع نظارته وابتسم مغاضباً إياها:

- كما أخبرتك يا مى.. هذا الموضوع في منتهى الغرابة، لم أكن أظن أنى سأرى هذه الجثث مرة أخرى في حياتي.

- إذن كما أخبرتي هاتفياً لقد رأيت مثل هذه الحالة من قبل؟ مى وأين وكيف؟ هذه أول مرة في حياتي أرى جثة بهذا الشكل والتي تبدو أنها منذ عشرات السنين.

- فعلاً يا ابنتي.. رأيتهم قبل ذلك.. منذ وقت قريب.. فقد كان ذلك آخر عمل لي في المصلحة.. وتقريباً قبل إحتالي للمعاش بأسبوع حيث تم انتدائي لتشرح جثتين في مستشفى بني سويف العام، وذلك بعد فشل الأطباء في معرفة السبب فكان لابد من انتداب لجنة من القاهرة برئاسة لمعرفة السبب الأصلي، وعلمت أن هاتين الجثتين تم العثور عليهما في أحد البيوت الريفية بنفس هذا الشكل المعط، وعند وصولي إلى المستشفى كانت الدمشة هي كل ما وجدته هناك حيث لا سبب واضح لتلك الظاهرة أبداً.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

مد مشاهدتي للجثتين كانت هينتهما تماماً مثل هذه الجثة التي قمى «بتشريعها، وأندشت جداً وقتها لأنهما من الخارج كانتا محققتين تماماً، وكان هناك من قام بشفط الأجهزة الداخلية، والتي لم يكن لها أي أثر..

تماماً يا عمي.. هذا ما حدث معي، فعند معايتي للجنة كانت سليمة من الخارج تماماً، ولا يوجد أي أثر خارجي للوفاة، فاستشرت كل من بالمصلحة من أطباء حتى د/ عادل كبير الأطباء، فلم أجد أي إجابة شافية لي. ولم أجد سبباً علمياً مقبولاً لحدوث الوفاة، وهذا ما جعلني كتب في تقريري النهائي أن الوفاة قد نتجت عن هبوط حاد في عضلة القلب كنتيجة لمرض مفاجئ أو دبة أو أي أثر أدى إلى ذلك، وعندما التحيت بك لأسألك وعلمت منك أنك سبق ورأيت مثل هذه الحالة من قبل، سعدت جداً، وجدت إليك على الفور لعلني أجد لديك تفسيراً لهذه الحالة.

لمد أخبرتك أنى رأيت مثل حالتك تلك ولم أقل لك إنى فسرتى إلى الآن، لأنى عندما قمت بتشرح الجثتين من الداخل وجدت أن الأجهزة الداخلية معظمها منهكة بصورة كبيرة، كما لو كان هناك من ضغط عليها بشدة، لدرجة أنى وجدت بعض الأجهزة منفجرة داخل الجسم مثل الطحال مثلاً.

هذا هو ما حدث معي بالفعل، وهو أمر في غاية الغرابة، مما جعلني أعود للمراجع الطبية والأبحاث العلمية الحديثة فلم أجد شيئاً مشابهاً، ولكن عند رؤيتي لتلك الجثة من أول وهلة لا أعرف لماذا تذكرت موميوات الفراغة.. ربما لأن الحالة التي وجدتها عليها تذكرني بطريقة التحنيط عند الفراغة، والتي كانت تتم عن طريق شفط الأجهزة

الداخلية للجسم عن طريق الأنف، وهو ما يحدث تقريبًا نفس هذه الأعراض الخارجية.. ولذلك كانت تحفظ المومياءات لآلاف السنين .

- فعلاً.. وهذا ما أثار حيرتي أكثر.. هالجتان اللتان قمت بتسريحهما كانت إحداهما لأحد الأشخاص المشهورين بالتنقيب عن الآثار في تلك المنطقة ويبدو أنه توصل إلى شيء ما عن طريق الصدفة فحدث لهم ما لا نستطيع التكهن به .

- لا أدري بعد يا عمي.. أيضاً أشعر أن هناك شيئاً ما خارج عن المألوف في هذه القصة .

كانت مئى في منتهى السعادة الآن وقد أحسنت أن في الأمر مغامرة ما.. كل ما عليها فقط أن تبلغ فريقها جاسر وعايد وأدم.. وتنتظر .

جاسر من أشد المهتمين بالظواهر الخارقة للطبيعة والخارجة عن المألوف وهو شغوف بالبحث دائماً عن الغموض والإثارة وقد ساعده على ذلك احترافه للكتابة عن تلك الظواهر العبر مألوفة ومحاولته لتفسيرها وحلها. وهو ما جعله يفتتح موقعاً خاصاً بذلك على الإنترنت، وهو موقع ناح يجذب إليه كل من يهتم بذلك المجال .

أما ماجد.. فبالرغم من أنه شقيق جاسر الأصغر وخطيب مئى، إلا أنه ويحكم دراسته وعمله كمعيد في إحدى الكليات العملية واحتكاكه بالعمل في مضمار الأدلة الجنائية وأدوات الجريمة في مصلحة الطب الشرعي كخبير كيميائي، إلا أنه على نقىض جاسر فهو لا يؤمن بالغيبات ولا يؤمن بكل ما هو خارق، فهو يؤمن دائماً أنه إذا كان الجلم لم يتطرق إلى موضوع ما ونسبه إلى الماورائيات.. فعليه هو وكل من يهتم

بالماديات أن يقوم بتفسيره بخطوات علمية حتى يصل إلى الحقيقة المحررة. وهو ما جعله ينكر بشدة تأثير أي من العوالم الأخرى على محريات الأحداث في عالمنا هذا، كما ينكر أي تفسير غير علمي لا يستوعبه عقله..

أما أدم فهو آخر فرد في الفريق، فهو شخصية طيبة ودودة يتمتع بالذكاء الفطري، بالرغم من أن تعليمه قد توقف عند المرحلة المتوسطة، والتي اكتفى بها لتدبير الكافيه الخاص به والذي ورثه عن والده والذي يجتمع فيه أفراد الفريق. ويعتبره الجميع أختاً لهم لإخلاصه وحبه الشديد لجاسر صديق الطفولة.. ودائماً ما يحتاجونه في المهام التي تتطلب جهداً..

بعد عدة أيام من لقاء مئى وعمها.. كان راشد العمال ضابط أمن الدولة السابق ونائب مدير الأدلة الجنائية بالمديرية وصديق جاسر منذ الطفولة.. يهتمي كوني زجاجاً من البن الفامق كما اعتادوا أن يقدمونه له يومئذ في ذلك الكافيه الذي يمتلكه أدم.. وأخذ يتطلع بلا مبالاة في تلك الصور التي قدمها له جاسر منذ دقائق.. وتناول رشفة أخرى ليزيد من حلق جاسر الذي يجلس أمامه في انتظاره أن يتكلم:

- مئى هي من قامت بإعطائك هذه الصور اليس كذلك؟

- راشد.. لا تجعلني أقعد صبري من فضلك.. لقد أخبرتك بذلك هاتفياً وأخبرتني أنه ربما يكون لديك بعض المعلومات التي قد تساعدنا.. سؤال

إليك للمرة الثانية. هل لديك ما تعرفه عن هذه العثث أو عن الشكل الذي وجدت عليه؟

ابتسم راشد في برود:

- سبحان الله.. أنت دائمًا يا جاسر ما تحدثني وكأنك أنت الصابط الذي يستجوبي وأنا الذي من المفترض أن أبوح لك بكل ما تريده من إجابات عن أغلب القضايا التي تهتم بعلمها..

قاطعه جاسر متأففاً:

- بالله عليك يا راشد.. فلنتناهي عملك قليلاً هذه المرة ولتؤخر تلك المقدمة التي تقصها علي كل مرة. وكأنها الافتتاحية المقدسة لديك أعرف أن لك فضلاً كبيراً في إمدادنا بالمعلومات التي نحتاجها في كل ما يضادقنا من قضايا غامضة. ولا أحتاج أن تذكرني بهذا كلما احتجت إليك. والآن هيا أخبرني بما أريد ولا تثر فصولي أكثر من ذلك..

ضحك راشد باستفزاز. وتناول رشفة أخرى من القهوة قائلاً:

- فلتبدأ قليلاً يا جاسر احتس قليلاً من القهوة. إنها في منتهى الروعة.. أتعلم أن في هذا الفن..

قاطعه جاسر في حلق وهو يهيم قائماً:

- يا إلهي..

ولكن راشد استوقفه ضاحكاً:

- أعلم أني لن أتخلص منك.. إنها صداقة الطفولة هي من تجعلني أحملك حتى الآن..

اشدد.. لا تمنع أنك أيضاً تلجأ إلي أحياناً. أتذكر حينما لجأت إلي في وقت من الأوقات لمساعدتك في ما حدث لك في أعقاب الثورة مباشرة ولولا ..

قاطعه راشد مبتسماً:

لمت بحاجة لأن تذكرني بذلك. وإن كنت أعتقد أنك لن تسكت حتى نعلم الجميع..

اسمع يا صديقي العزيز. لقد بدأت تلك القصة أيام الثورة. وتحدثنا في قرية من قرى بني سويف. فقد كانت هناك بعثة أجنبية تعمل في سرية من أجل الوصول إلى كشف أثري ما. وكان يقوم بمساعدتهم اثنان من المصريين. أحدهما كان مسؤولاً للاتصال فقط بينهما وبين أحد قاطني القرى التي يستعملانهم في البحث عن الآثار لطيرتهما الطويلة في ذلك..

وبالفعل تم الاتصال بين أحدهما وبين البعثة. وتم التوصل بطريقة ما إل الكشف الأثري. لكن من الواضح أن شيئاً ما قد حدث. قد يكون اختلاف في توزيع الغنيمة مثلاً.. لا أحد يدري. وتم القضاء على أفراد فريق العمل من تلك القرية..

وعلم أهل القرية بعد عدة أيام من حدوث الواقعة. عندما اكتشف بعض الأهالي رائحة كريهة تليعث من أحد المنازل. وعندما دخلوا وجدوا تلك الجثث وتعرفوا عليهم. فقد كانوا مجموعة من العمال الذين يساعدون البعثات الأثرية في التبعث عن الكنوز المدفونة عن طريق السحر والشعوذة. ووجدوا معهم جثة لطفل تم نحره من رقبتهم..

ولأن الوضع الأمني وقتها لم يكن على ما يرام تم إبلاغ المستشعر، والتي تحفظت عليهم في الثلاثة لعين انتداب لجنة من الطب الشرعي. وأب. نتذكر أن الوضع الأمني كان منازاً في تلك الأيام ولم تكن هناك أي تحقيقات، ولكن بعد التحقيقات الأولية تبين أن تلك المجموعة تعمل تحت إمرة شيخ من شيوخ المشعوذة يُطلق عليه حمدن كرم الله

- تمام.. ولكن ما علاقة كل ما نقوله بجثثنا تلك؟

- الصبر يا صديقي.. لقد تم حفظ القضية لعدم التوصل للماعل، ولكن بعد عدة شهور تم العثور في نفس القرية على جثتين لشخصين تم قتلهم بصورة بشعة احتار الطب الشرعي في تفسيرها..

- وما علاقة ذلك بالموضوع؟

- لقد كانت إحداها للشيخ حمدن كرم الله والأخرى لشخص قاهري لا يوجد لديه أي سجل في البحث عن الآثار.. وليس مسجلاً عندنا في السجلات كشخص خطر.. مجرد شخص عادي يعمل في إحدى شركات السياحة في الأقصر ويعمل مرشداً سياحياً هناك واسمه عبد الفتاح التوفيقي..

- الأمر غريب بالفعل.. وهل توصلتم لشيء يربط تلك الجريمة بسابقتها؟

- لم نتوصل لشيء من ذلك، والغريب هو موقف أهل القرية وأقوالهم في التحقيقات.. فقد رفض الجميع الحديث عن تلك الجريمة، وأجمعوا على أن هناك لعنة ما تم تحريكها من قِبل الشيخ حمدن، وأنه قد قام بعمل شنيع لم يُغفر له وحاول الجميع التهرب حتى من الكلام في التحقيقات.. كل ما كان لديهم "اسألوا الشيخ إلهامي".

ولأن الضابط المكلف بتلك القضية لم يكن على استعداد لتصديق مثل هذه الحرافات، فكان عليه أن يبحث عن الشيخ إلهامي هذا، فالتقيا بالنسبة له لم تكن سوى جريمة قتل، وكان هدفه معرفة الفاعل وليس الدمر مثل تلك الحرافات.

الشيخ إلهامي...!!، ومن الشيخ إلهامي هذا أيضاً؟

هو معمر القرية، أو تستطيع القول إنه من أكثر الشخصيات التي يحظى بالاحترام والتبجيل، والتي يلجأون إليها في الأمور والظواهر الغريبة، وقد كان الشيخ حمدن يعمل لدى الشيخ إلهامي وأخذ على يديه المهذ والعلم وسر الرصد، ولكن لأن توجهات الشيخ حمدن كانت ناحية الشر والمشعوذة والتعدي على حرمات الفراعنة كما قالوا، تم لفظه من قبل الشيخ إلهامي، وذلك منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا..

- وهل أخذتم أقواله؟

- أقوال من؟

- الشيخ إلهامي يا راشد.

لقد بعثنا في القرية كلها ولكننا لم نتوصل إليه ولم يدلنا عليه أحد.. وكأنه سراب أو شخصية من وحى خيال أهل القرية الذين لم يكن لديهم سوى تردد عدة كلمات غير مفهومة.. إنها لعنة.. لعنة الله على الشيخ حمدن.. هو من أيقظ اللغاب.. هو من أتى بالمجهول.. وأشياء كثيرة لا تدل إلا على جهل مطبق..

- وماذا بعد؟

- لم يكن لدينا أي دليل على اتهام أحدهم، مما أدى إلى أن قيدت القضية ضد مجهول، ولكن..

- لكن ماذا؟

- في هذه الأثناء بدأت بعض الظواهر الغريبة في الحدوث. أصوات نحيب وصراخ في جوف الليل في المنازل المغلقة.. حدوث حرائق مجهولة السبب في أكثر من مكان ولا تستطيع فرق الإطفاء إخمادها، وإن استطاعت لا تثبت أن تشتعل مرة أخرى.. كثرة الحيوانات النافقة بشكل ملمت للنظر.. ولم تكن لتلك الظواهر أي تفسير في القرية..

وبعد فترة تم العثور على جثثك المنشودة والتي كانت تخص شخص عُثر عليه بنفس الصورة التي وجد بها الشيخ حسن وصديقه.. نفس الشكل والطريقة البشعة..

وعند التحقيق مع زوجة صاحب الجثة قالت إنها كانت في زيارة عدة أيام لأهلها، وعند رجوعها إلى البيت فوجئت بجثة زوجها وهو على تلك الحالة البشعة.. وذكرت أن زوجها كان يعمل لدى بعثة أمريكية للتحقيق عن الآثار في بني سويف، وكان دائم الترحال والسفر معهم، وعند عودته آخر مرة اكتشفت أنه يخفي تابوتًا فرعونيًا في مكان ما، بعد أن سمعته يتحدث مع صديق له اسمه أحمد أبو الليل ويبلغه فيه أنه لن يستطيع الاحتفاظ بالتابوت أكثر من ذلك، وأنه فقط ينتظر الخواجة يعي بوعده ويأخذ منه هذا التابوت الملحم، وكان هذا الحديث قبل وفاته بقرابة الشهر..

- ومن صاحب هذه الجثة يا راشد؟

الجنة لشخص يدعى مجدي معاذ المصري، والذي تبين أنه كان يعمل من البعثة الأجنبية التي كان يعمل لصالحها الشيخ حسن، ويبدو أن يحتبط بالكثير من الأسرار لذلك كان محط ثقة البعثة تمسها خصوصاً منه، بل على العكس جعلوه يحتفظ بالتابوت الفرعوني لهبريه وقت لاحق.. وبذلك يتضح الغيظ الذي يربط الجرائم

بجاسر فأنثا:

مسند الجريمة التي وقعت في القاهرة وراح مصيبتها مجدي معاذ، مع أنه الضل لتي كان صغيها الشيخ حسن وصديقه، وتلك المديحة التي مكثت بعد الانتهاء من التفتيش على التابوت، وتبدو حلقة الوصل لثلاث الجرائم هي الشيخ حسن.

المعسر ولكن مجدي كان الشخصية الأولى والذي يبدو أنه كان على اتصال مباشر بالبعثة، فقد كان مسئول الاتصال الذي أخبرتك عنه. واشترك معهم بالتخطيط فقط، وهناك شخصية أخرى تاسد تمثل حلقة الوصل بين مجدي والشيخ حسن.

- من هو ذلك الشخص؟

أه أحمد أبو الليل.. مساعد الشيخ حسن وقريبه، وهو من كان مجدي تحدث إليه هاتمًا كما ورد في أقوال زوجة مجدي..

- من هو؟ ألم تستجوبوه؟

- لم يكن هذا ممكنًا..

- لماذا؟ هل مات هو الآخر؟

لم يمض ولكن حالته الصحية لم تكن تسمح لنا بهذا، فبعد وفاة مجدى أصيب بلوثة عينية جعلته يرى ويسمع هلاوس بصرية وسمعية ولم نستطع ان نحصل منه على معلومه مفيدة تخص الحادث وعلاقته به. فتم تحويله لمستشفى الأمراض العقلية . وعلى العموم لقد أحضرت لك مائة كاملاً بصورة من التحقيقات التي تمت في الثلاث جرائم والتي مستحاجة حتماً

فإنها راشد وهو يمد يده لجاسر باللف والذي تناوله جاسر في بشوة ليقلب فيه، وتد اسند على كرميه بعد أن تناول كوب الماء الذي كان أمام راشد وأيقضه قائلاً:

- أنا الآن في منتهى السعادة.. شكراً لك يا راشد.

وشبكك أكثر بعموض قائلاً لراشد:

- والى اطلب لي فيجان من البن الغامق الذي تشربه.. ولتبدأ حديثنا منذ البداية.. وتحكي جهودك على كافة التفاصيل..

بعد هذا اللقاء بيومين كان حاسر قد صدر له تصريح بزيارة أحمد أبو النيل. بعد أن ألح على راشد بذلك، وهو في منتهى السعادة لشعوره بأنه بدأ في الإمساك بطرف الخيط الذي سيوصله لحل اللغز.

وبعد نصف ساعة من إعطائه التصريح كان في طريقه إلى مستشفى الأمراض العقلية. وكان عليه مقابلة مدير المستشفى وإطلاعه على تصريح الزيارة. بعد أن كان قد تم مع الزيارات عن أحمد. رغم أنها كانت دون فائدة. فلم يأت أي شخص فعلاً لزيارته منذ أن تم إحضاره للمستشفى.

وقد أخبره الطبيب المختص أن حالة أحمد غير مستقرة أبداً، فأحياناً يحدث كشخصي سابقاً. وفي معظم الأوقات يعاني من هلاوس حادة ولا يستطيع أحد أن يفهم كلمة مما يقول..

وسى الرغم من أن حالته في ذلك الوقت كانت هادئة، إلا أن جاسر لم يستطع استخلاص أي معلومات ذات فائدة منه. فكل ما حاول معرفته منه لم يحصل عليه، لم يستطع أن يعرف منه سوى أنه ينتمي لإحدى فرى بي سوف وأنه يعمل في التنقيب عن الآثار. وكانت إجابته في حدود ماسمح به حالته العقلية. لكن عندما حاول جاسر سؤاله عن مجدى وطميعه علاقته به، انتابته حالة من الهلع مما جعلته يعرج ويلصق ظهره بالحدار وهو يصرخ قائلاً:

كان خائفاً مما سيحدث.. كان خائفاً من تلك النهاية..

نقصيد مجدى.. مما كان خائفاً؟ ولماذا؟

كان خائفاً منه.. لقد رأيته.. هو أيضاً راه..

واحد ينظر برعب إلى خارج النافذة المعاصرة بسياج حديدي وكأنه خائف من أن يسمعه أحد ما في شهاب المجهول.

فالتقرب منه جاسر في حذر معاولاً طمأنته:

اهدأ يا أحمد. وحاول أن تشرح لي حتى أستطيع مساعدتك.. من المقصود بهذا الكلام؟ وما الذي رأيتموه وسبب لكم الرعب إلى هذا الحد؟

أمسك أحمد رأسه بشدة وهو يتمتم وكأنه يتحدث إلى نفسه:

- إنه هو.. إنني أراه.. نعم هو هنا.. هو قالها سأتي إليك.. انتظرنى..

وعاد ليشرذ بنظراته خارج نافذة غرفته قائلاً:

- ولكن مجدي مات..

اقترب منه جاسر في حذر قائلاً:

- ما الذي تراه يا أحمد؟ بالله عليك أريد أن أفهم كلمة مما تقول من هو؟
ما اسمه؟ أنت تبدو في حاجة للمساعدة.. ولا أستطيع أن أفعل لك أي
شيء حتى أفهم.. أو حتى أحاول أن أفهم ما تقصده.

اقترب أحمد منه هامساً في رعب وكأنه يخاف أن يسمعه أحد:

- تصوت.. هذا هو.. لعنة بدون اسم.. لعنة من الصندوق.. لعنة الله على
الصندوق الملعون.. هذا الزمن.. هذا عقابي..

- (تصوت)!!..

قالها جاسر مندهشاً متذكراً أنه سمع هذا الاسم في وقت ما.. والتفت إلى
أحمد ليسأله:

- عقاب؟ إمن؟ وهل ما أصاب مجدي كان نوعاً من العقاب؟ من إذن
تخلص منه بهذه الطريقة البشعة؟

- لقد قتل حسن بنفس الطريقة.. والآخر.. أنا أراهم في رأسي أيضاً.

- تقصد حسن قريبك والشخص الآخر الذي كان معه؟ ماذا ترى يا
أحمد؟ تكلم.. تذكر.. أخبرني بجملة مفيدة.. حاول من فضلك..

- خالي حسن.. والأسود.. لقد أتاه.. هو من فعلها..

- يا ربي.. من الذي جاء؟ ومن الأسود هذا؟

ابكمش أحمد في رعب وقد جلس القرفصاء في زاوية الغرفة.. فتنهد جاسر
محاولاً تغيير الموضوع حتى يبدأ أحمد فقال له:

- دعنا نترك هذا الموضوع حالياً.. هل تذكر موضوع التابوت؟

لظر إليه أحمد يلع أكثر صرخاً:

- التابوت.. ذلك الملعون.. ملعون.. لقد قتل مجدي.. وسيأتي إليّ.. رأسي
يكاد ينفجر..

من يا أحمد؟ ماذا تعرف عن ذلك التابوت؟ وما هي حكايته؟

أمسك أحمد برأسه بشدة متألم وهو يهتف:

- ساموت.. أيضاً.. هذا هو العقاب الذي أستعفه.. الشيخ إلهامي حذرنا
من تلك اللعنة منذ بداية الأمر..!!!!!! اه..

- من الشيخ إلهامي؟

- سيدنا.. هو فقط من لديه المهيد.. هذا هو عقابي..

وبدا في التلعثم وبدأت عيناه في الشرود وكأنه ينظر للأشياء..

- هو يقترب من رأسي..

قالها وقد بدأ في الالتصاق أكثر بالعائط ووضع يديه مستنداً إليه..
وأمسك رأسه قائلاً:

- أنا هنا..

وبدا يصدم رأسه بالعائط في عنف. وقد اقترب جاسر منه محاولاً إيقافه على قدر المستطاع حتى أحلسه أخيراً على المنصدة المعدنية وقد هدأ قليلاً، ولكن بعد برهة وجده جاسر وقد بدأت رقبته تتلوى بشكل غريب.. شاخصاً بنظراته في سقف الحجرة وهو يضح ببديه، وكأنه يبعد شيئاً ما مجهولاً عن وجهه..

وفجأة تغفّر الحال في الغرفة بصورة لم يكن ليتخيلها جاسر.. فلم ينتبه إلى نفسه، إلا عندما استل أحمد شيئاً كان في ملابسه، بعد أن أحفاه في غفلة من حراسه، وحاصره.. وفتحاً نوقع جاسر نهايته القريبة فلم يكن يفصله عن أحمد إلا أقل من متر..

حاول جاسر أن يصرخ أو يستدعي الحراس لكن لدھشته الشديدة لم يقو حتى على النداء.. وكان هناك من يعلم على صدره ويطلق على انماسه فأخذ يتنفس بصعوبة..

واشدت دھشته عندما وجد أحمد يمسك السكين بكل قوة.. ولكن من حافظها وليس المقبض.. ضاغطاً عليها بقوة دون أن يشعر وكأنه فقد الإحساس فجأة..

ولكن الغريب ما حدث لجاسر الذي بدأ يشعر بيده هي التي تكاد تنمزي بالأم رهيبة فيها، وكأنه هو من يمسك بالسكين وليس أحمد، وهو ما جعله يصرخ بشدة وهو يرى الدماء التي تسيل من كف أحمد وهو لا تزال شاخصاً ببصره..

وكلما كان جاسر يصرخ أكثر طلباً للمساعدة، كان أحمد يضغط أكثر فأكثر، حتى شقت السكين ما بين إبهامه وسبابته بالكامل..

ما لبث أن دخل الحجرة، الحارس المكلف بحراسة أحمد، وتبعه أحد الصياد وعدة ممرضين.. وقد أمسك الحارس أحمد وأخذ السكين مسبوكة من يده، واقتاده هو والممرضين إلى غرفة مجاورة، وقام الطبيب بإعطائه حقنة من محلول شفاف اللون..

حاول جاسر أن يتمالك أعصابه وهو يعدل من هدأته، حينما سمع صوت الطبيب وهو يسأله بقلق:

هل أنت بخير؟

حاول جاسر التماسك وهو يرفع رأسه ليجيب الطبيب:

أنا بخير، ولكن ماذا سيحدث له الآن.

وفيها تذكر جاسر أنه يعرف هذا الطبيب، والذي لم يكن سوى إسماعيل صديقه في المرحلة الثانوية، والذي دعاه لاحتساء القهوة في مكتبه منذ كرين أيامهم الأولى..

كان جاسر يملأ من تلك اللقاءات، ولكن حالة أحمد وفضوله الذي يكاد يغله جعبه يبتسم في وجه الطبيب كلما ذكره بذكرى «سيفينة» من ذكريات لدراسة.. وما لبث أن قاطعه جاسر وقد غلبه فضوله قائلاً:

ما هي حالته بالضبط يا دكتور إسماعيل؟

هل هو قريبك يا جاسر؟

لا ولكنه شاهد في قضية معينة.

قضية؟ أعتقد أنك خريج كلية آداب يا جاسر.

- نعم.. ولكن الأمر هام جدًا فهو يتعلق بسرقة اثار. وأنا مكلف بشكل غير رسمي من بعض الجهات التي...

- اثار؟ .. عامة غير مسموح بأي حديث خاص مع أي مريض إلا لأمله فقط. وهذا المريض لديه كمية من الأمراض النفسية والتي يندر أن أراها على أحدهم.

- ما طبيعة حالته تعديديًا يا إسلام؟

- هو دائمًا ما يشعر أن هناك من يفاغله ويحتل رأسه ويسيطر على أفعاله لدرجة أنه يحاول إيذاء نفسه. وهو ما رأيته يعينيك منذ قليل من محاولته قطع يده. وهذا النوع من المرضى يكون دائمًا عُرضة للانتحار عندما تسنح له أي فرصة. ولا أدري من أين أتى بهذا السكين رغم تعليماتي بهجه تحت المراقبة دائمًا..

- وما رأيك فيما يقوله.. هل كل كلامه دائمًا وهم؟

- إلى حد ما يا جاسر.. إلى حد ما.. فكما رأيت أنت اليوم من الفادر أن تجده يتحدث بعجلة واحدة مفيدة، معظم كلامه إن لم يكن كله عبارة عن أوهام وهلاوس.. وهذه الأوهام والهلاوس تسيطر على تفكيره لدرجة محاولته لإيذاء نفسه كما حدث معه اليوم.

- من من الممكن أن يكون ذلك نتيجة مرض وراثي مثلًا أو أي حادث عارض؟

- لا أدري بموصوع المرض الوراثي هذا وإن كنت أرجح أن ما يمر به ناتج عن ضغط عصبي أو صدمة عصبية شديدة، ربما أدت به إلى هذه الحالة.. لذلك فانا دائمًا ما أبقيه تحت تأثير المهدئات، فمثل هذه

الحالات غالبًا ما يكون لديها رغبة عارمة في التخلص من حياتها. وربما بصورة متكررة.

- بعد حاولت التحدث معه في عدة أمور دون أي جدوى.

- اعتقد أنك تهدر وقتك. فالمريض في تلك الحالة تكون كلماته غير موروثة تمامًا وأفكاره مشوشة. وهذا من تأثير حالته المرضية. وكذلك تأثير الأدوية والمهدئات.

- أنتقد أن هناك ولو بصيص من الأمل في تحسن حالته؟

- إن شاء الله.. أتمنى أن تكرر زيارتك له من وقت لآخر، فالعلاقات الانسانية لها دور هام في حالته. وهو منذ دخوله إلى المصحة لم يقم بزيارته أحد موالد..

- اسلام.. الأمر أهم مما تتخيل، ومن فضلك اعتبرها كنوع من الخدمة الشخصية، فهذا المريض هو شاهد على أحداث جريمة بشعة.. كل ما أرحوه منك أن تخبرني إذا حدث تطور في حالته أو حدث شيء جديد.. أي شيء حتى ولو كنت تراه نافيًا.

- لا تقلق يا جاسر فنحن أصدقاء.. وعلى الرغم من أن هذا الأمر غريب إلى حد ما، ولكنني سأعلمك إذا جدي في الأمر شيء..

- ودع إسلام جاسر بعد أن تبادل أرقام الهواتف ليبلغه إذا حدث ما يستدعي إخباره به .. أما جاسر فقد امتلأت رأسه بأفكار كثيرة وهو في طريقه لمفاداة المستشفى، فقد زرع إسلام بذرة شك في كل ما قاله أحمد.. فعلى الرغم من هلاوسه إلا أنه كان يمتنى أن يخرج بأي شيء مفيد..

- انقطعت أفكاره عند مروره من أمام غرفة أحمد، فدفعه الفضول لدخول لرؤية أحمد الذي كان تحت تأثير المهدئ، فاقتراب منه بهدوء

ليرى وجهه وقد تحول إلى ملامح توسل مرعبة، وكأنه يرى شياطين
الجهنم معه في الغرفة، ووجدته يهيم إليه في تصرع:

- أرجوك ساعدني!!.. لست مجنوناً.. أنا هنا في كابوس.. أنا لم أصدق ما
سمعت.. لم أصدق حتى رأيته.. نعم رأيته.. إنه تحوت.. أصعب من أي
شي قد تراه في كوابيسك..

شهر جاسر بقشعريرة غريبة تفتح جسمه عند سماعه لكلمات أحمد
وتذكر ما حدث ليده والتي لا زال يشعر بالأم السكين بها.. مما جعله
يسأله والفضول يكاد يقتله:

- تحوت؟ وما هو تحوت؟

نظر إليه أحمد في هلع وهو يقاوم مفعول المهدي قائلا:

- عتابي عند الهاسمين.. نعم مصيري عند شجرة الهاسمين.

حاول جاسر أن يسأله عما يفصده، ولكن أحمد كان قد دخل في تأثير
المنوم.. مما زاده حيرة فوق حيرته.. فخرج سريفاً من المستشفى وجسده
ما زال يرتعش، حتى وصل إلى سيارته، متمسكاً عن جدوى مقابلته لأحمد
فهو لم يخرج من اللغاء سوى بأفكار وكلمات مبعثرة مما جعله في شك
هل يصدق ما قاله أحمد؟ أم يصدق ما قاله الطبيب بأن ذلك قد يكون
تأثير المرض أو حتى تأثير المهدئات.. وحتى هذه التي توله من تأثير ما قام
به أحمد هل لها أي تفسير؟

زادت حيرة جاسر أكثر فأكثر وهو يقود سيارته في طريق العودة، وتتمنى
وقتها أن توفيق مني وماجد في مهمتهما للإسكندرية..

* * *

ذكر في صم القادر وابحث عن الصانع الذي أودع جمال صورة الخالق..

ومن ذا الذي أدار حذقة عينيك؟

ومن ذا الذي فتح أنفك وفك وأذنيك؟

ومن ذا الذي مدّ أرسطوك وربطها ببعضها؟

ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسا لحمك بالجلد؟

ومن ذا الذي شكّل قلبك وجوف رثيتك؟

ومن ذا الذي جعل جمالك طهراً، وأخفى قبح أمعائك؟

كم من الصنائع صُنعت، وكم من الأعمال أُبدعت لتجسيد المخلوق الإنساني؟

ولا القائل ولا التصاور تحدث من تلقاء ذاتها دون عمل ناحت أو

رسم..

لأن يكون لهذا العمل المتعالي من خالق؟

تحوت..

الذعة الملكية في بلاط صاحب الجلالة الأمير «خا أم واس» حاكم منف
وولي عهد رئيس الثاني.

* * *

في مساء ذلك اليوم كانت القاعة الملكية تتلألأ كأبيض ما تكون، وكان
الأمير «خا أم واس» حاكم مدينة منف وولي عهد أبيه الملك رمسيس
الثاني يجلس في كرسي العرش بكامل حلقه الملكية، وعلى رأسه تاج الحكم
في منف وكذلك قلادته الذهبية، بينما كان وزيره الأول «حور» يجلس
بالجانب منه على يمينه أما حامل كأسه المقدسة الحكيم «نفرو» الكاهن
الأكبر يجلس على مقربة من حور..

وكان خلفه أربعة مقاعد تراصت بهوار بعضها كان يجلس عليها من
اليمين لليسار أربعة من كبار مساعدي الكاهن «نفرو» على «حسب
نسبهم». فكان أولهم الكاهن «امني نحت» وبعجواره «تب رع» وبعجواره كان
يجلس «واخموس». وفي المقعد الأخير كان هناك الكاهن الأصغر
«سوئي»، ومن خلفهم كان هناك عدد من صغار الكهنة..

أما على يسار ولي العهد جلس الأمير الصغير «أورير» وخلفه كان
الممرض أن يجلس «خاي»، ولكنه لم يهبط إلى تلك اللحظة بعد أن كان
غسبها يدق ناقط يلهو مع «أورير» في حديقة القصر، وكان مقعده خلف
الأمير الصغير الذي ظل يلتفت يمينًا ويسارًا يبحث عن صديقه «خاي».
وكان مجلسه هذا جليقًا للعادات الملكية في حضرة الأمير وولي عهد
رمسيس الثاني الأمير «خا أم واس» حاكم مدينة منف..

أما الناحية اليسرى وأمام مقاعد الكهنة كانت هناك عدة مقاعد اصطفت عليها رجال البلاط الملكي.. وفي مواجهة الأمير «خا أم واس».. جلس رجل عجوز أبهى الشعر كثيفه يدعى «كاجمي»، يرتدي ملابس فضفاضة وقد حفرت تجاعيد الزمن على وجهه أثار عميقة لتعطيه أكبر من سنه الحقيقي ليهنو وكأنه أتى من آخر الزمان..

وقف الأمير «خا أم واس».. قائلاً بصوته الجهوي:

- قبل أن نبدأ الجلسة الثانية علينا أن نثلو صلواتنا للإله أتون ليمد يديه الكريمتين إلينا في هذه اللحظات.

وما لبث أن وقف جميع من بالفاقة الملكية حينما بدأ «خا أم واس» يردد في صوت قوي:

- يا أتون..

يردد الجميع من وراءه:

- يا أتون الهي

- أنت يا أتون الهي الذي كنت في أزلية العباد..

يا من تبرز بجمالك في أفق السماء..

كنت تملأ البلاد بجمالك..

أنت خلقت السماوات العلى لتشرق فيها..

ولتشاهد كل ما صنعت..

مضيقاً أنت في صورتك أنت أتون الهي..

أنت تخلق ملايين من الصور وحدك وينفمك..

من مدن وقرى وحقول وأنهار..

وجميع العيون تراك تجاهها..

لأنك أتون.. شمس النهار فوق الأرض..

وحسماً تعيب..

فإن جميع الناس الذين سويت وجوههم..

لكي لا ترى بفمك بعد وحيداً..

بعشاهم النعاس حتى لا يرى واحداً منهم ما قد خفيته..

ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي..

يا أتون الهي.

يهمس الجميع بالكلمة الأخيرة ثم يدعهم إلى الجلوس ناظرًا إلى العصور قائلاً.

هلتكمل عظمتك يا مرشدي..

أتون هو الأول.. والكون هو الثاني. والإنسان هو الثالث..

أتون واحد.. والكون واحد.. كذلك الإنسان مثله مثل الكون الواحد خلق من أجزاء مختلفات.. لقد صنع الصانع الإنسان ليشاركه الحكم ودأب على الإنسان هذا العهد الكامل، صار مصدراً للنظام في العالم، وقد يعرف الإنسان ذاته فيعرف الكون بالوعي بأنه صورة أتون وصورة الكون، ويختلف عن غيره من المخلوقات الحية الأخرى من حيث أنه بمنبت عقلاً..

- كل الحق لك يا مرشدي..

- وبمشيئة أتون صار الإنسان مزيجاً من خلود الربوبية وفناء المخلوقات
هو أكبر من أن يكون مجرد إنسان فاني، وأعظم من أن يكون مجرد كائن
خالد.. الإنسان أعجوبة تستحق التشريف والتبجيل فله صفات الملائكة
كما لو كان واحداً منهم، وقد عرف الملائكة لأنه علم أنه نشأ من نفس
الأصل..

- يا لها من كلمات خالدة تستحق التأمل يا مرشدي..

- إنها كلمات مرشدنا تعوت كاتب الآلهة..

- أرني طبيعة الواقع ولتباركني بمعرفته يا مرشدي..

- اعلم يا مولاي الأمير أنه يجب ألا تفتخر بما حصلت عليه من النعم
فتتكبر.. ولا تتجبر.. ولكي فلنجعل أمرك شورياً بين الجميع شاوِر الرجل
الغير متعلم كالنمل.. ليس هناك حدٌ للمعرفة.. ولا رجل يبلغ إلى نهاية
العلم بحكمته.. وأن القول الحكيم نادر.. أنت تريد أن تعلمه يا مولاي
الأمير.. هو يدور من حولك ..هو النور.. كلمة أتون فكرة خالقة وقوة
سامية لانهاية تغذي وتخضب جميع الأشياء وتخلق كل شيء..

لقد أطلعك على أقل الأمور فماذا تنتظر؟ كتب تعوت الحكمة الإلهية
من فم الآلهة.. الحكمة التي فهمتها بعروف مصرية لتنقشها على حجارة
قدس الأقداس.. فاجعل نفسك مرشداً روحياً لأولئك الذين يستحقون
المعرفة فينقذ أتون على يدك الإنسان..

مدِين أنت بالحمد للأب الواحد.. الذي أفاض علينا نظرة علوية.
وأدعوك أن تصلي لأتُون بخشية وتبجيل متوسلاً ألا تضل طريق تلك

المعرفة التي أبدعها العظيم تعوت حتي يرسل النور لأولئك الذين مازالوا
في ظلام..

هو كذلك يا مرشدي.. هو كذلك.. أبحث عن تلك التعاليم من القدم..
لقد سمعت في كتبنا المقدسة عن تعاليم حكيمنا وكاتب الآلهة المعظمة
تعوت.. لقد بعثت في مصر كلها.. لقد ناديت في الأسواق والعوانيت وكل
أنحاء مصر وبعثت رجالي في شتى أنحاء الأرض أبحث عن أي دليل.. حتى
وجدناك يا مرشدي.. يا من ستأخذ بأيدينا للبحث عن كتاب تعوت
المقدس.. كتاب الحكمة المفقود منذ عدة قرون..

يا مولاي.. أنت لديك الحكمة.. أنت والفرعون العظيم رمسيس الثاني
ابن الإله الأعظم.. كل ما لدي هي أقاويل تناقلها أعضاء المعبد المقدس
منذ مئات من السنين.. وهذا ما ساقصه عليك من خير توارثته عن
جميع أهالي المقدسين..

هذا كل ما أريده.. أن أضع يدي على تلك الحكمة المفقودة..

سأخبرك بكل ما لدي يا مولاي.. وعن مكان الحكمة ولتعمل أوزارها إلى
الأبد إن أسأت استخدامها.. فللكتاب حراس لا يقف أمامهم حراسك..
ولبمارك الرب إن استطعت إثارة طريق الظلام لكل من يحتاجه..
فلنكمل يا مرشدي.. أنا أعدك بعق أجدادي الآلهة..

قبل أن أكمل يا مولاي.. هل تلقى في جميع العصور لأن ما سأخبرك به
هي أسرار تتعلق بالأمير نفر كا بتاح.. أحد أجدادنا منذ مئات السنين؟
ونعلق بالمكان المقدس الموجود به كتابنا المفقود..
بالطبع يا مرشدي.. أتق في جميع من بالبلاط الملكي.

في هذه اللحظة دخل «خاي» من باب سرى خلف كرسي الأمير «خا أم
واس» ليجلس خلف «أوزير» الذي أنثيه إليه وبدأ في الهمس في أذنه
معتذراً لكونه ضلّ طريقه في القصر وانتظر حتى يدلّه أحد الخدم.. ولم
يلحظ أي أحد هذا الصبي عند دخوله وجلسه بجوار الأمير الصغير إلا

لده «تب رح» لذي كان قلظاً من تأخر ابنه وسرّ عندما رآه يدخل سريعاً معتذراً له بعينه.. أما الشخص الآخر فكان المعجوز الذي بمجرد رؤيته لـ «خاي»، انتفض وزاد من برق عينيه.. وزادت ضغطة قبضته على العصا التي يستند إليها.. مما جعل الأمير ينتبه لتوتره المفاجئ ويمسّله:

- ماذا بك يا مرشدي؟ لماذا تمسكت؟ فلتكمل.. لقد أخبرتك.. أمير منف وحاكمها يثق في جميع الحضور..
- نعم نعم يا مولاي.. ولكن هل تسمح لي بكلمة في أذنك؟

هنا انتفض الكاهن «نفرو» قائلاً:

- أنها المعجوز لقد أخبرك مولاي الأمير بنقته بكل من يوجد في البلاط.. ولتعلم أنه لا يجوز لك الاقتراب من أبناء الآلهة.. إن كان لديك ما تخبرنا به عن الكتاب المفقود فلتخبرنا جميعاً.. في هذا اليوم.. والان..
- مولاي الكاهن «نفرو» إن ما كنت سأقوله لا يمت بصلة إلى الكتاب المفقود.. ولكني كنت سأخبره عن شخصي ما في هذا البلاط لا يلتقي إليها.. ولا يجب أن يكون حاضراً في البلاط..

اندهش الأمير «خا أم واس» من كلمة المعجوز الأخيرة قائلاً:

- ماذا تقصد بلا ينتمي إليها يا مرشدي؟

- يا مولاي.. أود فقط الانفراد بك..

ردّ الوزير الأول «حور» لأول مرة منذ بداية الجلسة قائلاً بهدوء:

- أنها المعجوز إن كان لديك أي شك في أحدنا فلتخبر مولاي الأمير حالا وعلى الفور عن الشخص الغير مرغوب فيه لحضور هذا الجمع.. أت-
أن هناك خائناً بهننا؟

أما لم أقل خائن.. قلت فقط إنه لا ينتمي إلى هذا المكان..

بدأ «خا أم واس» في التلحّل قائلاً:

مرشدي.. أنت تهتم أحد رعاياي المقربين بأنه لا ينتمي إليها.. فإن كان لديك اتهام فلنقم بتوجيهه.. ولتري ما عقوبة من يخون فرعون مع العلم أني أثق في رجالتي ثقة لا حدود لها..

يا مولاي.. لم أقصد أي خيانة بينكم.. بل الأمر يتعلق بشيء آخر.. حسناً يا مولاي.. إن السر الذي سأخبرك به لا يجب أن يستمع إليه أحد الجين..

ارجع الأمير بشدة وهتف قائلاً:

حسن؟ ماذا تقول يا مرشدي؟

وقف الكاهن «نفرو» مهوّزاً من كلمة المعجوز الأخيرة قائلاً باندعاش:

حسن؟!! أمناك جن وسطنا أنها المعجوز؟

نعم يا كاهن المعبد المقدس.. نعم يا مولاي الأمير «خا أم واس».. لن انفذه بأي كلمة هنا طالما ظل هذا الصبي هنا.. نعم يا سيدي فهذا الصبي ليس..

فناطحه «خا أم واس» قائلاً برعب قاتل:

اللجنة.. هل سيتكرر الأمر مرة أخرى؟ أي صبي يا مرشدي؟ وليس ماذا؟

مدّ المعجوز يده مشيراً إلى «خاي» الذي أصبح لونه في شحوب الأموات قائلاً:

هذا الصبي يا سيدي ليس.. ليس بشرّاً على الإطلاق..

عندما كان جاسر في مقابلة مع أحمد في المصحة النفسية كانت مـ
وماجد في بيت زوجة مجدي صاحب الجنة الغامضة عند أهلها في
الإسكندرية.

كان اللقاء فاتراً في بدايته.. وبعد تقديم واجب العزاء تظاهر ماجد ومـ
بأنهما مراسلان صحفيان لجريدة يومية وأرادا عمل لقاء مع زوجة
مجدي بخصوص جريمة القتل والتي راح ضحيتها زوجها.

كانت فائزة زوجة مجدي تتحدث في عصبية وتوتر حينما ابتدراها ماجد
قائلاً:

- يا مدام فائزة أفهم من حديثك أنك كنت في زيارة لأهلك في الإسكندرية
لمدة أسبوع، وعند عودتك وجدت المرحوم على هذا الشكل..؟

- لقد أخبرتك هذه النقطة لأكثر من مرة.. لقد كنت أول من اكتشف
الجنة.. لم أكن أتخيل أن هذا قد يحدث له، فلا أعتقد أن هناك من
يعادي مجدي.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. الله يرحمه.

- ولكن جاء في تقرير المباحث أن المرحوم كان يتعاون مع بعض أثار
أجنبية.

- نعم، ولم أنكر هذا في التحقيقات وقلت كل ما أعرفه في هذا الشأن..
نعم كان مجدي يكسب رزقه بهذه الطريقة، فقد كان لديه صديق
خواجة وكانا دائماً ما يسافران إلى الصعيد سوياً، وكان بينهما عمل
مشترك في التفتيش عن الآثار منذ فترة طويلة.

- ألا تعلمي اسمه أو من أي بلد كان؟

لـ لم يكن لدي علم هو من أي بلد، ولكن كان اسمه «ديفيد» وكان
من العربيه بطلاقة، وكثيراً ما كنت أقابله في بيتنا في القاهرة حيث
قد أتى لمجدي عدة مرات.. والمرحوم كان يمدح فيه كثيراً ويقول عنه
«شديد الصفاء».

لـ أيتها مـ بفصول.

مـ يسأل عليك «ديفيد» هذا بعد وفاة زوجك؟

لـ لم يسأل، أو ربما سأل، لا أعرف، فقد اتقلت لبيت أهلي في
الإسكندرية بعد الوفاة.

لـ كان مجدي يحكي لك عن علاقات العمل بينه وبين الخواجة، فهل
لم لك شيئاً عن ثابوت فرعونى؟

مـ نعم فائزة في تساؤل:

التابوت؟

لـ صدرك ماجد موضعاً:

لـ تابوت صندوق.. شيء من هذا القبيل يا مدام فائزة..

مـ نعم.. لقد اكتشفا هذا التابوت سوياً في الصعيد منذ فترة كبيرة..
وقد الثورة تقريباً.. لا أتذكر الوقت تحديداً، ولكن ما فهمت من مجدي
أن هناك عدداً من البلطجية حاولوا سرقة الكشف الأثرى وقاموا
بإطلاق النيران علي البعثة..

لـ لكن أليس هذا التابوت أو الصندوق هو ملك الدولة يا مدام فائزة..
ولماذا يقوم زوجك بمساعدة الخواجة في سرقة آثار الدولة؟

« نعم، ولكن كل ما أعرفه به كان فقط حليلة وحيل في تلك المهمة. بعد اكتشاف التابوت حصر أحمد هنا وقام بالعراك مع مجدي بل وحاول ضربه. وسمعت مجدي وقتها يقسم له أنه لا يدري ما كان يتوهمه الخواجة.. وبعد فترة تصالحا بعد أن بدأ العمل بينهما « أخرى.

« نعم؟ هل عادا بعد هذه الواقعة للتقريب مرة أخرى؟

« ولكن ما قيمته بعد فترة أن أحمد كان يبدو أن لديه شيئاً ما بهم « الخواجة جداً، وبدأت المفاوضات ما بين أحمد من جهة ومن الجهة أخرى مجدي والخواجة، حتى وافق أحمد أخيراً على تسليم ما كان يملكه به إلى مجدي. مقابل المبلغ الذي تم الاتفاق عليه. وهذا كان قبل هذه شهر أو أكثر..

« لا تعلم بالضبط ما طبيعة هذا الشيء؟ وهل قام أحمد بتسليمه مجدي قبل وفاته أم لا؟

« لا أدري.. كل ما أتذكره أن مجدي أتى في يوم ومعهُ حقيبة صغيرة وبها « بريديات فرعونية، وكان يرتعد بصورة لم أعهدها من قبل، ولكنه قال لي إنه الآن أصبح في يده كنوز الأرض..

« كنوز الأرض..!!

« نعم ولكن بعد ذلك بدأ مجدي في التغير بصورة غير طبيعية.. فقد أصبح عصبياً كما لم يكن من قبل، وكذلك كل تصرفاته تغيرت أكثر.. ودم بشدة على ما فعله، وقال لي إنهم أخطأوا خطأ عمرهم.

« وأحمد؟

« لا لا لا.. هذه البعثة أيضاً تتبع الدولة يا أستاذ ماجد. لقد سألتني هذه النقطة. لأنهما عندما وجدوا الصندوق أو التابوت الخواجة أمر مجدي بأن يحفيه في أي مكان سرى لا يعلمه إلا مجدي فقط حتى فقد تستقر الأمور الأمنية في البلد. ثم يقوم بتسليمه إلى المتحف مرة أخرى تدخلت مني في الحوار قائلة:

« واه، قهرت البلد، ولكن زوجك أخفى التابوت تمامًا..

« لا أدري السبب.. ولكن مجدي أخفى التابوت لفترة كبيرة. وعندما ند في الصبح منه أخبر الخواجة أن عليه أن يتصرف بسرعة.

« ولماذا بدأ في الضجر منه؟

« كان يقول إنه مخاو، أو أن هناك شيئاً ما في التابوت أو الصندوق الملعون، لا أدري، ولكن كان يشتكي دائماً لأحمد بعد أن تصالحا.. حتى فاض به الكيل وأخبر الخواجة أن عليه أن يأخذ التابوت.

« مهلاً.. مهلاً يا مدام فائزة.. من أحمد هذا؟

« أحمد هو أحد أصدقاء مجدي، وكانت مهمته أن يأتي بقريب له يعمل في مجال التنقيب عن الآثار في الصعيد، كما كان مجدي أحياناً يملكه به مستلزمات رجال، أو أحد هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بطقوس معينة في استخراج الآثار، لا أدري ما هي تلك الطقوس فقد كان مجدي يثير خوفاً دائماً بها.

« وأحمد.. هل كان يعلم مكان التابوت؟

في هذا الوقت احتض أحمد ثامنا، ولكي سمعت مجدي عندما كان يعادته هاتفاً كان يصرخ له أن الخواجة لم يرسل له بقية المال.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

انصلت لمجدي بحجة كثيرة، وطلب منه الحصول في أقرب فرصة لأحد الأمثلة بحسين بن علي المبلغ، لأن الممرقت قد كثرت، وهو يخشى أن يصرخ أحدهم بصرخة الندوات، وهذا الحديث كان قبل الوفاة بأشهرين، وكما يشعر أن الخواجة يتهرب منه لمسلم ما، أما أنا وفي هذا الوقت اضطررت إلى المسير للإسكندرية نظراً لمرض والدتي، ولا أعلم ما الذي حدث في هذا الموضوع..

سألها متى في اهتمام:

- هل أرسل أحدكم ليأخذ التابوت؟

- لا أعلم..

- ولا تعلمين أين أخفاه المرحوم؟

- والله لا أدري. قلت لك أكثر من مرة. الوحيد الذي كان يعلم كل أمرار مجدي هو أحمد فقط.

نظر إليها ماجد متسائلاً:

- وهل أحمد هذا من القاهرة؟

- لا من بني سويف من بلده أسمها طما. وكانت مهمته فقط في أن له قريباً يأخذ إذنًا من الأمياد..

طارت إلها متى في دهشة قاتلة:

إدس من أسباد.. !!

نعم أسباد.. هذه الوسيلة كما أخبرتكما. وكان مجدي يقول لي إن الخواجة مستاء جداً من تلك الطرق لاستخراج الكثر.. وعلى الرغم من أن الخواجة كان لديه أجهزة حديثة قامت باكتشاف الأثر والمصدق. إلا أنه لا يد من استخراجها عن طريق شيخ، وعندما أتاه الإذن تم استخراج التابوت.

اخذلت متى قاتلة:

لقد اتعيناك يا مدام فايضة، ولكن سؤال أخير.. ألا يوجد في حديث أحمد والمرحوم شيء ما لفت انتباهك في الفترة الأخيرة؟

لا أركز في حديثهما دائماً يا أستاذة متى، ولكن في الفترة الأخيرة كانا دائماً بذكران شخصاً ما أسمه تعتو.. نعم.. لا أتذكر..

تعتو؟

لا.. لا.. تعتوت.. هو تعتوت.. نعم تعتوت فكان مجدي دائماً يسبّه، وعندما أسأله كان يصرخ بوجهي ألا أتفوه بذلك الاسم ثانية..

ردد ماجد متدهشاً:

تعتوت..!!!!

استأذن الاثنان بعد هذه الجملة. وودعهما قايضة إلى باب المنزل. وما إن خرج.. حتى دخلت سريعاً إلى عرقها لتخرج جواً قديماً وتفسحه وتتصل برقم تحفظه عن ظهر قلب. وما إن أجابها الطوف الآخر حتى بادرت قائلة:

- نحن في ورطة.. انتظر فقط واسمعي جيداً.. لا تقاطعي واسمع.. أعلم أنك أخبرتي ألا أهاثفك إلا في الأمور الهامة فقط.. لقد أتى الآن لي شاب وفتاة تطاهرا بأنهما صحفيان. ويبدو أنهما يعلمان الكثير. لذلك اضطررت لمخاراتهما حتى أهم ما يدور.. نعم.. نعم.. لا تقلق.. لم يشعر بأي شيء.. ولم أخبرهما طبعاً.. نعم.. الاتفاق كما هو.. في القريب - الحمد لله لقد أزلت القلق من قلبي.. تمام.. سأخبره هاتفياً هو الآخر الآن..

* * *

بعد هذه الأحداث ببومين كان جاسر مجتمعاً مع أفراد فريقه لمحاولة كشف غموض كل الأحداث الماضية. وبعد أن فصل كل منهم ما جرى من مقابلة أحمد وزوجة مجدي، اعتدل جاسر قائلاً:

- أعتقد أن المونوديع يسير في اتجاه أن ما حدث هو نوع من اللعنة..

انفجر ماجد ضاحكاً:

- لا تقل أنها لعنة فراعنة يا جاسر إن كل شيء لابد وأن يكون له مسبب. وعلينا أن نحاول الوصول إلى هذا المسبب بالتحليل العلمي السليم لا أن ننسبه إلى ظاهرة خارقة، لمجرد عجزنا عن تفسير الأمر من أول وهلة، والذي يجعلنا نمنسب ذلك إلى الغيبيات. وبالتالي نريد الخوارق.

ب متى بجديفة قائلة:

لا يا ماجد فلتسمع لي.. هذه بالفعل أول مرة بحياتي أرى هذه الحالة، أجبرتها الداخلية المهترئة. وكأن عربة ما قد طعنتها حتى دون أن تكسر عجلة فيها. هذا الشيء لا يوجد له أي تفسير في كتب الطب. حتى عندما سألت عمي كما أخبركم لم أجد لديه أي تفسير. وبالتالي إضطرت إلى أن أكتب في التقرير النهائي أن مسبب الوفاة قد يكون نتيجة الهبوط الحاد في الدورة الدموية.. وهذا ما يجعلني أكاد أفقد عقلي أكثر..

اعتدل ماجد وقد استعاد جديته المعهودة قائلاً في إصرار:

لابد من وجود المسبب.. قد يكون نوع من الفيروسات التي لم نكتشف بعد أو..

قاطعه جاسر قائلاً:

حتى لو وافقتك أنه نوع من الفيروسات يا ماجد.. هل هذا الفيروس ذاته هو من مسبب لوثة عقلية لأحمد في المستشفَى؟

رد ماجد قائلاً:

لا تأخذوا الموضوع بشكل شخصي.. لماذا تربطون الأحداث ببعضه المراجعة فقط؟ تلك الفرضيات التي حاول الغرب أن يفسر بها العديد من الأحداث الغامضة التي تصيبهم بالرعب دون مسبب.. لاتنموا أن العلماء بعد تدوال هذه الظاهرة وتحليلها منطقياً اكتشفوا أن هناك نوعاً من الفيروسات أو البكتريا تعيش في الفوايت القديمة والمومياءات، قودع من البكتريا الغاملة منذ آلاف السنين، وتنقل بالتالي إلى من يقوم بمنح التابوت.. ويصاحب ذلك أعراض التهاب في العين أو أي ظواهر

غريبة، ولا تنسوا أن اللورد هوارد كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون عاش حتى مات عن عمر يناهز التسعين عامًا، أليس من باب أولى أن تقتله اللعنة بعد اكتشاف جثة الملك الشاب؟ طالما أن الأمر له تفسير وله حقيقة ملموسة نصل إليها بعد التدقيق فمستحيل أن أصدى الماورائيات تلك أو حتى أعترف بها..

مضى آدم رأسه ساخطًا وهو يقول:

- ياربي..!!، عن ماذا تتحدثون بالله عليكم؟ أي لعنة تتحدثون عنها؟ هذا ما كان ينقصنا هو الآخر.. من فضلكم أخفوا صور تلك الجثث الملقاة على المنضدة وكأنكم تبهامون بها.. إذا مضى أي شخص فقد يطرأ أننا قد قتلنا شخصًا ما.. أو ربما يأتي قريته إلى المقهى والمقهى لا ينقصه أي من جنى هو الآخر..

نظر إليه جاسر قائلا في حماس:

- أحسنت يا آدم.. المشكلة فعلاً في اللبس..

نظر إليه آدم مندهشًا:

- أي لُبس؟

التفتت منى إلى جاسر قائلة:

- لا يا جاسر، لُبس معني أنني وافقتك على أن هناك لعنة ما أنني قد وافقتك على أن نربط ما حدث كنوع من أنواع المس الشيطاني أو خرافة المس بشكل عام، بالإضافة إلى أنه على مدار التاريخ الفرعوني لم يكن هناك أي أحداث حقيقية قد قامت بالربط بين الاثنين..

نظر إليها حاسر قائلا:

أعدا هورانيك؟

منب آدم في الجمع:

من؟!!، يبدو أنكم تصرون على إصابتنا جميعًا باللبس إن شاء الله، طالما أنكم لن تبدلوا هذا الحديث..

أراح جاسر في مقعده وقد عقد حاجبيه مفكرًا:

لست المشكلة في المن نفسه.. ألم يلتفت انتباهكم الكلمات التي رواها لي أحمد في لقائه؟

والله ماجد قائلا:

نعم ما ذكره أحمد وفايزة عن حنعتوت.. ولكن من حنعتوت؟

أحابه جاسر:

لا بدعي حنعتوت.. اسمه تحوت..

منب آدم مندهشًا:

من تتح هو الآخر.. يا جماعة.. لماذا لا تجهيرون؟

سماهلت منى قول آدم وهي تقول بهتمام:

لو فعلاً الموضوع كان يتعلق بتحوت.. إذن الأمر أخطر مما نظنون، لقد قرأت الكثير عن التاريخ الفرعوني، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا من استشارة شخص متخصص..

رد جاسر وقد عاد إليه حماسه.

- جميل جدًا.. فليبحث عن أسفد متخصص في التاريخ الفرعوني لنحاول
أن نجمع معلومات أكثر عن الموضوع.

رد آدم وقد إنتقلت إليه حماسة جاسر:

- إذا كان الأمر كذلك فليس هناك أفضل من دكتور نجيب.. فقد كان
عميد كلية الآثار. وأعتقد أن تخصصه له علاقة بالموضوع الذي تسألون
عنه، وهو بالتأكيد من سيخبرنا بسيرة هذا الملك الفرعوني..

أجابته ملى بتوتر ملحوظ:

- ليس ملك.. ليه كان ملكًا.. إنه كتاب ملعون..

* * *

«أنت في ظلام الأعماق مياهاً صاخبة لا شكل لها..

هدت إليها نسمة ذات قوة ربانية..

«لست كلمة آتون على المياه الصاخبة لتجعلها حيل بجميع الأشكال..

«حدث العناصر الأربعة بانساق الكلبة..

«المحدث لتكون جميع الأحياء..

«مهر النار جلي كأبراج النجوم».

«ملائكة السموات السبع تدور في أفلاكها..

إلى الأبد..

تحوت..

مرى كبير الكهنة «نفرو» من جلسته مع «خاي» وتركه ليخرج إلى أبيه
«رع» الموجود خارج غرفته، والذي كان مرعوبًا بشدة على مصير ابنه
«بول». فلو أقر قتلًا كبير الكهنة بوجود من ما من الجن لولده
«دي» لكان عليه أن يتركه ليحيى مع الكهنة المتصلين بالجن في صحراء
«بف ونعيدًا عنه. ولكن «نفرو» العجوز خرج وجلس على أقرب كرسي
أله قائلًا في تردد:

لا أعلم يا «تب رع» بحق الآلهة.. لا أعلم. ولكن هو ليس ممسوسًا من
أحد بأي صورة..

بهذه «تب رع» في ارتياح قائلًا:

إذن نحمد الإله يا «نفرو» المعظم..

«سندرك» «نفرو» كبير الكهنة قائلًا:

الأمر ليس بهذه البساطة يا «تب رع».. هناك شيء ما في ولدك لا يروق

لـ

قال «تب رع» في قلق:

لقد أحيرتك يا سيدي منذ فترة عن تلك الحالة المرضية التي أصبحت
تتناه ويغشي عليه ليظل في غيبوبة عدة أيام ثم يفيق بعد ذلك ناسيًا
أب هو أو أي معلومات عنه، ثم ما يلبث بعد فترة أن يتذكر كل شيء.

هز كبير الكهنة رأسه في حيرة:

ليس هذا ما يقلقني.. ما يقلقني بالفعل أن ولدك هناك شيئًا ما في
طفراته وأسلطته.. كنت أشعر أحيانًا أن هناك سرًا غامضًا به، والأدهى

أنه هو نفسه لا يعرفه. أو بالمعنى الأدق لا يستطيع البوح به. وكان هناك من يحس أنفاسه.. سألني سؤالاً عجباً وبمجرد أن هممت في الرد عليه حتى انقابه صداع وسكت وقام بتغيير الموضوع..

سأله «تب رع» في قلق:

.. ما هو ذلك السؤال يا «نفرو» المعظم؟

.. لقد سألني هل رمسيس كان عادلاً؟

.. رمسيس.. أي رمسيس؟ أيقصد الفرعون الأعظم رمسيس الثاني مثل الآلهة ومثل من معبر الحديثة؟

هل كبير الكهنة رأسه قائلًا:

.. لا أعلم. ولكنه سأل هذا السؤال ثم نساه مرة أخرى.. لا يا «تب رع» ولذلك هناك شيء ما يتنابه لا أعلمه.. ولكن سأبحث في الأمر في القريب العاجل..

هتف «تب رع» متوسلاً:

.. مولاي «نفرو».. بحق الآلهة لا تصدر قرارك بترحيل ولدي إلى معبد ميدوم المقدس حيث كهنة الجن. فأتألم ليس لدي أثناء غيره. وأنت تعلم أنني أود تعليمه ليصبح كاهن المعبد الجنائزي من قعدي.

.. أعلم ذلك يا «تب رع».. لا تقلق لن يرحل أبداً إلا بعد التأكد من موضوع الجن هذا.. هو ليس ممسوساً.. أنت تترك أن هذا الموضوع شديد الحساسية بالنسبة لمولاي «خا أم واس». وتعلم سر نظرة الرعب القاتلة التي انقابه بمجرد إشارة العجوز إلى أحد الصبيين. وانهاهه بأنه ممسوس من الجن..

وم «تب رع» برأسه قائلًا:

هم يا «نفرو» المعظم فقد ظن أن العجوز يشير ناحية ولده أوزير. مركز قصة ابنه الأول المرحوم سي أوزير. الذي مات بعد أن واجه ساحر العنشي. وبعد ذلك اتضح أن ابنه كان ممسوساً من أحد كهنة عهد تحوت المقدس..

هم يا «تب رع» ومنذ وقتها وهو يصير على البحث عن تلك التعاليم مقدسة ومعرفة السر الأعظم في الكون والتحكم في المسحر. فهو الآن حارب أن ينال ابنه «أوزير» أي من هو الآخر. لا تمن أن «أوزير» هو «نبي» مولانا الأمير «خا أم واس» الذي سيصبح حاكم مصر بعد رحلة به إلى الدار الآخرة منطلقاً إلى أبائه وأجداده.

هم يا «نفرو» المعظم..

لذلك أرجو منك أن تبعد ذلك حالياً عن مجلس البلاط حتى نطمئن على حالته العقلية والصحية، فأنت ترى العجوز يصير على عدم البوح بأي شيء طالما ولدك في العضور..

أمرك يا «نفرو» المعظم، سأتركه مع «حقوم حنب» ولن أدعه يغيب عن باطرية

سار الكاهن الأكبر فإذا بالأمير «أوزير» يقترب منهم فالتفت «نفرو» إلى «تب رع» قائلًا:

فلتصمت الآن.. ما هو مولاي «أوزير» يقترب منا، ولا تخبره عن حالة ولدك العقلية. مؤكداً يا «نفرو» المعظم..

اقترب «أوزير» من «نفرو» قائلاً في خوف:

- لماذا تأخرت يا «نفرو» المعظم؟ وكيف حال خاي؟ ولماذا العجلة في الكشف عليه؟ وهل وجدت ما يقوله ذلك العجوز حقاً؟

ضحك كبير الكهنة «نفرو» قائلاً:

- لا تخف يا أوزير.. صديقك معافي ولا يوجد به أي جن..

هتف «أوزير» باستنكار:

- أخاف.. أخاف يا «مرو» المعظم.. أنا مليون الآلهة وحفيد رمسيس الثاني أخاف؟! لا بالطبع.. جلست فقط أطمئن على صديقي الوحيد..

هز كبير الكهنة رأسه قائلاً:

انت يا بالطبع شجاع يا مولاي أوزير.. صديقك في الغرفة العلوية تستطيع أن تذهب معه وتلهوأن قليلاً حتى ينتهي الاجتماع مع ذلك العجوز.. ألا يزال الاجتماع مستمراً يا مولاي؟

- نعم يا «نفرو» المعظم.. ذلك العجوز لا يتوقف عن الصلوات والتعمنة بمجرد مغادرتكم البلاط الملكي حتى صباق صدر أبي وأمره أن يدخل في الموضوع مباشرة.. فانسحبت في هدوء لأطمئن على «خاي».

- هو بخير يا مولاي.. ولكن أنت تعلم موضوع تسميته المستمر وسوف نجد علاجاً في القريب العاجل..

اقترب «أوزير» من «نفرو» قائلاً في قلق:

اسدقني القول يا «مرو» المعظم ما موضوع الجن ذلك؟ ولماذا يستأب
لدي القلق كلما ذكره أحد بذلك الموضوع؟ وما علاقة ذلك بأخي
أموي؟

الصبر يا مولاي أوزير.. الصبر.. ستعلم كل شيء في حينه، أما الآن يا
مولاي فتستطيع الانصمام إلى صديقك حتى ننهي الحديث مع ذلك
العجوز.

ثم التفت إلى «تب رع» قائلاً:

تب رع حد يدي إلى مجلس البلاط لنسمع ما يقوله العجوز.

ذهب «أوزير» لللاطمئنات على صديقه «خاي» في حين قام «تب رع»
بإحدى يديه «نفرو» ليدخل معاً إلى مجلس البلاط حيث كان العجوز
يجلس أمام الأمير «حاحام وام». وقد بدأ التعمب يتسلل إليه بعد ساعتين
من الحوار المتواصل مع الأمير. اقترب «نفرو» من الأمير هاميشاً إليه
بصبع كلمات تهد بهدماً في ارتياح وأشار بيده إلى العجوز ليسترسل مرة
خرى فبدأ يتحدث ويشير بيديه قائلاً:

فسمع يا مولاي أن كتاب الحكيم تحوت خطه بنفسه فهو يعوي أسرار
الكون نفسه. فقد دونه من فم الآلهة وطقوسها وكلماتها المقدسة
الأبدية. ففي الكفاح بصان متلازمان، من قرأ أحدهما فإنه يمتلك سحر
الأرض وسحر السماء وسحر الجبال وسحر الماء ويمتلك قوة الآلهة.. لن
يسببه شيء على سطح الأرض والسماء.. ويصبح بإمكانه معرفة لغة الطير
في السماء والزواحف في الأرض.. أما من قرأ النص الثاني فإنه سيرى وجه
الشمس علانية وفي أوقات ذروتها ويستطيع المطر إليها بكل قوة. ويرى

وجه القمر ويرى جميع الكائنات الإلهية كما كانت في الزمن الأول.. وأن أعلم يا مولاي أنك على شغف يعلمو المسحر والغيبيات..

اعتدل الأمير «خا أم واس» في جلسته وهو يشير إلى العجوز:

- فلندلي يا مرشدي على تعاليم أتون المقدسة.. دلي على المسر الخفي في روح أتون الخلد.. دلي أكثر على تعاليم تحوت المسرة دلي على إلهنا العظيم الأوجد أتون..

أجابه العجوز في هدوء وهو يسرح بنظره لأعلى وكأنه يتأمل في لا شيء..

- كي تعرف أتون عليك أن تتمثل به فالضبية فقط يعرف شبيهه بالحق.. اهدر عالم المادة.. وتخيّل نفسك متمسقا بلا نهاية.. ارتفع عن الزمن إلى الأبدية.. وأن أنه لا شيء يستحيل عليك..

تخيّل أنك خالد وعالم بكل العلوم المقدسة التي تليق من هم الآلهة وأمسك خطرات كل كائن حي.. صم نفسك فوق كل ما يعلو وتعت كل الأعماق.. وتبين في ذلك كل المتناقضات من حر وقر.. من صلاية وسيولة.. واعتقد أنك في كل مكان في نفس الوقت.. على الأرض.. وفي البحر.. وفي السماء..

تخيّل نفسك حينئذ في الرحم وأيضاً شاباً وشيخاً وجثة ميت.. وفي عالم ما وراء القبر وتأكد أن كل شيء يتعايش مع كل شيء في العقل.. كل الأزمنة وكل الأمكنة.. كل الأشياء بكل الأشكال وبكل الأحجام.. عندئذ ستعرف أتون..

والآن اعذرني يا مولاي هانا رجل عجوز وقد أرهقني الحديث وبلغ بي التعب مبلغه.. فهل يأذن لي مولاي باستكمال الحديث في الغد..

«الأمير يريد سماع المزيد من العجوز ولكنه أوما برأسه بالموافقة
فلا

بالطبع يا مرشدي.. فلتنتهي جلسته اليوم ولنجتمع غداً بعد أداء
سوانا المقدسة في البلاط الملكي.

سبت الجلصة عند ذلك الحد، وقام الأمير مغادراً القاعة وقد وقف
الجميع له باحترام. أما العجوز فقد أتى إليه اثنان من الخدم ليساعداه
على الذهاب إلى الجناح الملكي المخصص له في قصر الأمير «خا أم واس».

جلس الجميع أمام دكتور نجيب البير الأستاذ السابق بكلية الآثار.
والذي كان آدم قد استقبله بترحاب هذه المرة، بعد أن عرض عليه الأمر
مسد يومين. مما أثار اندماشه من رغبة آدم في معرفة تاريخ تحوت. أما
جاسر فقد استقبله بود يكاد يكون مبالغاً فيه..

ودون أن يسانه العجوز عن سبب اهتمامهم بهذا الموضوع أخيرة ماجد
أن الأمر يخص أحد الاكتشافات التي وُجدت في إحدى البرديات القديمة.
وهو يقوم بعمل بحث عنها، ولذلك كان من دواعي فخره مقابلة عالم آثار
مثل د نجيب ليستعين بعلمه وخبرته في ذلك البحث..

نظر إليه العجوز بتشكك وابتسم بسخرية في أول الأمر.. لكنه اعتدل
على كرسيه وعدل من وضع نظارته كأنه سيلقي محاضرة في كليته، مما
جعلته يشعر في قرارة نفسه بأنه لازال لديه القسرة والقوة على إقراغ ما في
عقله من معلومات:

- في البداية بلغني أنكم تهتمون بتحوت، ولديكم الكثير من الاستفسارات عن ماهيته.. لذلك سأحاول إعادتكم ما استطعت..

إن تحوت هو إله الحكمة عند الفراعنة.. أحد أرباب ثاموس الأشمونيين ويعتبر من أهم الآلهة المصرية القديمة.. ويُصور برأس أبو منجل.

نظر إليه آدم مقاطعًا:

- إله؟! ما بك يا دكتور؟ لا إله إلا الله.

نظر إليه جاسر حانقًا:

- آدم.. من فضلك لاتقاطع الحديث، فلكتمل يا دكتور ألبير، نحن في غاية الأسف.

- اعتبر قدماء المصريين أن الإله تحوت هو الذي علمهم الكتابة والحساب، وله دور أساسي في محكمة الموتى، ويؤتي بالميت بعد البحث لإجراء عملية وزن قلبه أمام ريشة الحق ماعت، ويقوم تحوت بتسجيل نتيجة الميزان.. إذا كان قلب الميت أثقل من ريشة الحق فيكون من المخطئين العاصين، وقتها يلقي بقلبه إلى وحي مفترس تغلي فيلتهمه، وتكون هذه هي النهاية الأبدية للميت، أما إذا كان القلب أخف من ريشة الحق.. فمعنى ذلك أن الميت كان صالحًا في الدنيا فيدخل الجنة يعيش فيها مع زوجته وأحبابه.. بعد أن يستقبله أوزيريس الإله العظيم..

قاطعه آدم مرة أخرى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما هذا الهراء يا دكتور.. سأترككم فلدي أعمال علي أن أنهيها.. سأقوم بتحضير القهوة لكم، وسأكل أي شيء لأني

اشعر بالجوع، بدلًا من جلستي تلك التي لا أجي منها سوى بعض سينات.

بسم ماجد قائلًا:

يا أخي والله إننا لا نأخذ سينات إلا بعد أن عرفناك، فلتذهب لتأكل ودعنا نقيم الموضوع من بدايته..

لم التمت إلى دكتور نجيب قائلًا:

كس يا دكتور من فضلك ففص نستفيد من غزارة علمك.

كمل الدكتور حديثه من حيث توقف وكان أحدًا لم يقاطعه:

ويقال أيضًا في النصوص المصرية القديمة إن تحوت قد كشف للمصريين علوم الفلك، والعمارة، والهندسة، والطب والسحر والإلهيات، وكان معبودًا في العصور القديمة، وقد تغلبه القدماء على أنه سجل لحوليات الآلهة والملوك، وإله للسحر واعتبر الكتاب الذي وضع فيه خبرته رمزهم والعامي لهم ومرجعًا للسحر في كل العصور، وقد تحول تحوت إلى هيرمس عبد اليونانيين في عصور لاحقة.. وهو رمز لخدمة القاهرة الآن.

قالت منى في إهتمام:

تمام هذا هو ما نريد سماعه منك تحديدًا يا دكتور ألبير عن كتاب تحوت أو كتاب اللغات أو يردية تحوت.. ما حكايته بالتحديد؟

على مر العصور يا ابنتي كانت هناك سلطات ومقاتلون وحُكام متحمسون دائمًا لتدمير الكتب ومؤلفيها في بعض الأحيان، ولكن كان

هناك أيضًا ما يسمى بكتب اللعنات وكانت تستعق الحرق.. السؤال ما الذي كانت تحفه هذه الكتب وما كانت فحواها؟

- هذا صحيح يا دكتور.

- يعتبر كتاب تحوت واحدًا من أكثر الكتب المصرية القديمة غموضًا. ويعتقد أن تحوت امتلك معرفة كبيرة تمنحه امتلاك السلطة على العالم. وعبادة تحوت في مدينة هرميوبوليس كانت مرتبطة بالعالم السفلي وبملوها الفموض الكامل.. وبصاف أول ذكر لكتاب تحوت في ورق بردي تورينو.. حيث وصف المؤامرة ضد الفرعون لاستخدام السحر. مع العلم أن كل أعضاء المؤامرة تم إعدامهم وتم حرق الكتاب الملعون، والذي كان يدرس السحر وتعاويذه..

- إذن فقد تم حرق الكتاب؟

- بعد مرور بعض الوقت ظهر الكتاب مرة ثانية مع ابن رمسيس الثاني "مرينتاح"، ومن المعتقدات المشهورة في إحدى البرديات أن هذا الكتاب فيه نصًا ملاً يسمح للنظر على الشمس مباشرة، وأن الكتاب يمنع السيطرة على البحار والأرض والنجوم ويكشف أسرار لغة الحيوانات وأنه يسمح بإحياء الموتى والتأثير على الناس عن بعد.. لذلك اعتبر ابن رمسيس الثاني أن هذا الكتاب هو خطير للغاية فحرقه..

- وهل تم حرقه أم نجا للمرة الثانية؟

- في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد تقريبًا ظهر الكتاب مرة أخرى وقد لقي اهتمامًا كبيرًا ولحقا من هرميس مؤسس علم الكيمياء، ففي ذلك الزمان كان كل ساحر في الإسكندرية يدعي بأنه يمتلك كتاب تحوت أو أحد

برديات منه، ولكن كانت نهاية هذا التفاخو الموت الحتمي نتيجة أحداث الفيضانية.

أدس فقد نجا الكتاب بعد كل هذه الأحداث؟

أكمل الدكتور ألبير وكان أحدًا لم يقطعه

في القرن الخامس عشر ظهرت أسطورة حول جماعة سرية عملت على نشر ملخص كتاب تحوت على شكل بطاقات أخذت اسم بطاقات التارو. فاطعنه متى قائلا:

بالفعل فأنا أعرف هذه البطاقات جيدًا وأسمع عنها، ولكني لم أربطها أبدًا بالفراغة أو قصة تحوت هذه..

بالعكس كانت العلاقة وطيدة يا دكتور.. أما عن نجاة الكتاب فهناك ما ذكره تحديدًا العالم الفرنسي أنطوان كور في كتاباته، والتي أكد فيها أن هذه المعرفة المنصوص عليها في الكتاب المصري القديم نجت من حادثة حرق مكتبة الإسكندرية، وفي كتاب تاريخ السحر عام ١٨٧٦ للكاتبة بوليا كرسستينا والتي عملت أمينة مكتبة مديرية التعليم العام عند نابليون الثالث قالت إن أسرار علوم الحصار المصرية الرئيسية وما يحتويه كتاب تحوت موجودة في بطاقات التارو، وهذا ما يؤكد على وجود علاقة وطيدة بين بطاقات التارو وكتاب تحوت.

ردد ماجد باندشاهش:

بطاقات تارو وكتاب لعنات..!!، الموضوع يبدو أنه كبير لدرجة لم تكن سجلها منذ بداية القصة

رفقه جاسر بنظرة أسكتته، والدكتور الورير أكمل:

- كل كتب القرن التاسع عشر والقرن العشرين مليئة بقصص المسحرة والمشعوذين وأصحاب برديات تهوت، لكن لم يجرؤ أحد على الاعتراف بأنه يمتلك المعارف السرية أو نبصص الكتاب لأن التاريخ أثبت بأن كل من اطّلع على تعاليم كتاب تهوت لم يمّت مهنة طبيعية.

نظر الجميع برؤية بعد الجملة الأخيرة، وبدأت الأحداث تترايط في ذهن جاسر الذي ابتدر العالم قائلاً:

- ألا يوجد أي أثر حاليًا يشير إلى هذا الكتاب؟

- مكتبة الإسكندرية حاليًا تحتفظ ببعض ورقات متناثرة لنسخة البردي الأولى من كتاب تهوت، لكن بعض الباحثين تملؤهم الحيرة عما إذا كانت هذه الورقات أصلية ترجع للكتاب ذاته، أم أن تلك مجرد اجتهادات قديمة شغصية من بعض الكهنة الفراعنة.. فهذا الكتاب كان سبب بحث بعثات كثير في مصر بداية من القرن الماضي إلى الآن.. حلم السيطرة على العالم.. حلم القوة والسعر والشعوذة والتحكم في المخلوقات.. وكل معاولهم ضاعت هباء..

نظر الدكتور في ساعته وقد ظهرت عليه علامات الإجهاد:

- أعذروني لقد أجهدت، وحان موعد دوالي ويجب عليّ أن أذهب لارتاح قليلاً.

رد جاسر بامتئان:

- بالطبع يا دكتور فقد أفدتنا أكثر ما تتغيل.

العفو يا بني.. وعلى العموم.. لست متذكراً تمامًا ما هي القصة الأصلية لهذا الكتاب الملعون، وأستطيع إن مررت عليّ في أي وقت أن أعطيك مجموعة من الكتب والدوريات المتخصصة في هذه الحقبة ولكن أرحوكم أن توقفوا البحث ولا تفتحوا هذا الموضوع أبدًا وأرجو أن يظل اهتمامكم بالكتاب ذاته على الورق ولا تتعدوه ولا أن تعوضوا فيه.. وأود قول نصيحة صغيرة.. لا تستبين بهذا الموضوع، ودع الثابت في مكانه أيًا كان، وليس لك شأن بالمومياءات والأثار والبرديات.. فكل من قام بالبحث عن ذلك الكتاب الملعون مات بطريقة بشعة، يا بني دع الماضي مدفون.. وصدقني لن يستطيع كائنًا من كان أن يصل إلى مكان الكتاب أو حتى بردية منه.. كل المحاولات باءت بالفشل..

اندھش الجميع من كلام العالم الأثري، مما دعى ماجد إلى القول:

لماذا قلت ذلك يا دكتور؟

بابي.. أعرف القصة من أول البحث التي اكتشفتوها في بنى سويف حتى تلك الجنة التي كانت لذلك الشخص والذي كان حلقة الوصل مع البعثة والذي لم تتعرف الدكتورة منى على سبب وفاته.. فلقد أخبرني آدم بكل شيء..

واقترب أكثر من جاسر والتمعت عيناه قائلاً وهو يهيم في أذنه:

- تهوت أصعب من أي شيء قد تراه في كوابيسك يا بني..

أصاب جاسر الفزع من الجملة الأخيرة وحاول أن يمسك العجزوز من تلايبيه، ولكنه تمالك نفسه قائلاً باندھاش:

- لماذا قلت لي هذه الجملة بالذات، فلقد سمعتها حرقاً من أحد ضحايا التابوت، حتى تلك النظرة، هل لك أن تفسر لي لماذا فعلت ذلك؟

* * *

هذا - إنه ذلك الكاهن المجهول الذي أبعث عنه منذ ثلاث سنوات كاملة.. هذا هو كل ما احتوته المقبرة الملعونة.. ولكن أين الكتاب.. وأين تلك البرديات؟

١٠٠ احرقك هاتقيًا يا سيدي يبدو أننا متصل إلى شيء هام في القريب

هنا سيدي.. هو فعلا أصبح مجنوناً تماماً، فأنا أتابع أخباره دائماً من
عن العنبر المقيم فيه، عن طريق أحد المرضين، ومنه علمت أن عقبه
طبيعي بالمرءة وتلقاه حالات هياج وشفاؤه غير مأمول فيه ولا أمل
في استخلاص أي معلومات منه، ولكني أوصيت المرض بإعطائه
مادة الأيوناركون، عسى أن يخبرنا بأي معلومات قد
يملكها.

من من علمت أين تلك البرديات الملعونة أو أي شيء؟

لا سيدي مجرد خطيبته ولم تقوَ على المكوث معه إلا خمس دقائق
... اعم ما دار بينهما حرقًا .

مرل أحمد تحت المراقبة، ولتدعهم يبعثون وليكونوا تحت
... منك أنت ورجالك في القاهرة بالكامل.. هربا يتوصلوا إلى ما عجزنا
... كشاقه.. ولتأخذ حثرك ولتتخلص من أي شخص يقترب منك..
... في حذر يا إيزاك

وهو كذلك يا سيدي.. كل تلك الأوامر أبلغتها لرجالي في القاهرة وفي
غرب العاجل سأخبرك بنفسي
... والأمر الآخر؟

لقد كنت على صواب يا سيدي.. لقد وقعت زوجته فعلاً في الفخ..
... فتمت بالاتصال بأحد مساعدي مائسون، والذي عرض عليها المساعدة
... من قس

لقد توقعت ذلك من تلك المرأة.. أخبرني، هل تعرفك شخصيًا يا إيزاك؟
... لا يا سيدي حتى مقابلتي مع زوجها كانت تتم خارج المنزل..

أد قللتذهب لمقابلتها بنفسك، حتى ننهي من ذلك الموضوع.. ولك
مطلق الحرية في كل الوسائل حتى تحصل على البرديات دون أن تدفع
... من بسًا واحدًا. يكفي ما سرقه هذا النص زوجها دون مقبل.. إلا من
... سوت ومومياء ليس لهم لدى أي أهمية. تلك العائلة التي أصابها الطمع
... أن تنال جنبها في مرة أخرى.. أنفهم يا إيزاك؟ كن على حذر.

* * *

- يا إله السماوات..!! إذن هل أتيت إلى هنا مجرد التفوه بأشياء قلتها ل
عشرات المرات هاتفتًا.. ما الجديد لديك أيها اليهودي؟

- أمان هامان يا سيدي.. أولهما أن هناك من يبحث عنا.. هناك من يبحث
الملفات في الشرطة.. هناك من...

قاطعه جيمس في قلق قائلاً:

- مهلاً.. مهلاً.. أنقصد أن الشرطة من تفعل ذلك؟

- لا يا سيدي.. هناك أشخاص انتحلوا صفة رسمية وذهبوا إلى مقابلة
زوجة مجدي وقد أخبرني بذلك هاتفتًا.. وهؤلاء بدأوا في التحري عن
المقبرة، بل وذهب أحدهم إلى المستشفى لمقابلة المجنون دون جدوى..

- ومن هؤلاء؟ وكيف توصلت إليهم؟

- عن طريق الهاتف يا سيدي.. فقد أعطى أحدهم لها رقمه وعن طريق
الرقم علمت من هو وعنوانه.. وعلمت أن له أخًا أيضًا بهتم جدا
الموضوع، وهو من ذهب لمقابلة أحمد في المستشفى.. وأسمه مدون في
مجلات الزيارة هناك..

- من أخبرك بهذه الزيارة؟

- ذلك العامل في المشفى يا سيدي.. فقد زاره وحاول أن يستخلص منه أي
حديث دون فائدة، وفي نفس الوقت كان قد أرسل أخاه إلى زوجة مجدي
أطرق جيمس مفكرًا وهو يقول:

- إن الأمر أشبه بالدائرة التي تقمع شيئًا فشيئًا.. هل زاره أحدًا آخر؟

بعد ذلك بعده أيام كان على فريق جاسر أن يختار أحدهم للذهاب إلى طما للبحث عن الشيخ العجوز. وقد وقع اختيارهم على آدم، ذلك لأن أصوله ترجع إلى إحدى القرى المجاورة لطما، فكان عليه أن يبحث لإيجاد الشيخ إلهامي، لمعرفة أحداث القصة من بدايتها، لكن بناءً على جميع محاولاته بالفشل، على الرغم من محاولة آدم لأكثر من مرة استقطاب أحد معارفه من بلدته الأصلية للبحث عن العجوز. إلا أنه لم يفلح طوال الأربعة أيام التي قضاهما متفلاً بين طما وبين بيته الريفي إلى أن يتوصل لذلك العجوز..

ولكنه لاحظ أن هناك أحداث غريبة تدور من حوله في تلك البلدة، فقبل عودته إلى القاهرة بيوم واحد لاحظ أن هناك عربتين إطفاء متواجدين بصفة مستمرة بجوار مسجد القرية الموجود على الطريق الزراعي الغاربي، الذي يربط بين طما وبين باقي قرى محافظة بني سويف..

وأثناء عودته إلى القاهرة دار بينه وبين أحد القرويين حديث عادي تغلله بالطبع السؤال عن الشيخ إلهامي، ولكن حديث القروي كان مقتضباً كأغلب أهل الريف عندما يشعرون أن في الأمر شيئاً ما.. حيث أردف القروي قائلاً:

- يا أستاذ آدم.. لا أعرف مكانه في هذا الوقت.. أقسم لك، لقد سألتني هذا السؤال لأكثر من أربعة مرات حتى الآن.

رد آدم قائلاً في بساطة:

- مازال الطريق طويلاً يا عم سيد، وأنا هنا فقط لأبحث عن الشيخ العجوز ولكني لم أوفق على الرغم من بعثي المضي عنه.

سأفدي إن هناك من يقوم بالمهمة التي جئت من أجلها غير هذا الشيخ، مستعد أن أذهب بك إلى من هم أفضل من الشيخ إلهامي.

وما دراك ما الذي أريده.

كل من يأتي إلى قريتنا ويبحث عن الشيخ إلهامي، يكون ذلك لمسبب واحد هو فك الرصد.

سيد؟ أي رصد يا عم سيد، لا أدري عما تتحدث.

الرصد - الحارس الخاص بالفراعين، لا بد من الشيخ إلهامي أو أي شيخ حر لمسطيع فك الرصد على حارس المقبرة لكي تستطيع أن تحصل على ما تريد، وإلا فسوف يؤذيك.

عم سيد.. بالله عليك لا تحدثني عن تلك الأشياء.. فانا لا أريده في أي رصد، ولا أصدق أن هناك من يستطيع أن يؤذي أو يأتي بأي ظاهرة مازفة عن المألوف.. كل ما أريده هو تسليمه أمانة أرسلها إلى أحد أقربائه في القاهرة، مجرد علبه دواء خاص به، ولكي لم أفلح.

علبة دواء؟! لقد ظننتك أحد المهتمين بالآثار أو التنقيب عنها، بلدتنا وبعض البلاد المجاورة تطفو على بحر من الآثار، ولكن لكي نصعد إلى الكثر عليك بفك الرصد.

ها أنت تعود مرة أخرى إلى ما لا أفهمه ولا أريد أن أفهمه أو حتى أسدده، توقف عن ذكر هذه الأشياء يا عم سيد.

أنت لا تصدقني ولا تصدق أن حارس المقبرة يستطيع الإتيان بأكثر من ذلك، إن سأقول لك شيئاً، لعلك لاحظت وجود عربت الإطفاء التي

توجد بصورة مستمرة بجوار الطريق.. ولكنك لا تعلم أنها تنقف هناك بسبب تلك الظاهرة غريبة والتي بدأت في الحدوث منذ قرابة الشهرين فالجرائق تشتعل فجأة في بيوت القرية. وبدون سبب مفهوم. وعلى الرغم من أن المطافئ تقوم بعملها إلا أنها لا تستطيع إخماد الحرائق فيمجرد إطفائها لا تلبث أن تشتعل مرة أخرى. ولأكثر من مرة. حتى يئس رجال الإطفاء وطلبوا المعون من المحافظة. والتي أصدرت لهم امرًا بالمكوث والتمركز في هذا المكان.

- وماذا في ذلك؟

- لا تقول إنك لم تفهم.. وهل سمعت أيضًا عن تلك الطيور المجنحة؟

- طيور مجنحة؟! أنت تهذي بالطبع يا عم سيد. أو تتعمد إخافي.

- ولماذا أقعد ذلك؟! إذا لم تصدقني فارجع مرة أخرى إلى البلدة واسأل أي طفل عن ذلك. فمن المعلوم أن الجرائق حين تنشب فجأة فهناك العديد من الأرواح الشريرة التي تدور في البلدة. ولا تأتي هذه الأرواح إلا إذا تم سرقة كنز دون إذن حارسه فيأتي غضبانًا على صورة طائر مجنح ينفث النار من فمه.. وذلك بالإضافة إلى الحيوانات التي يمسها الجحش وتعيش في المقابر الملعونة. فقد عادت للظهور مرة أخرى ولا يجرؤ أشجع أهل القرية على الاقتراب من تلك البقعة..

- لا بد أنك تشاهد الكثير من الأفلام الأجنبية يا عم سيد.. طائر مجنح ينفث النار. ونار تقوم بدون سبب وتنطفئ بدون سبب. وحيوانات مسمومة تجلس في المقابر.. يبدو أنني قد أخطأت بالحديث معك يا عم سيد.

«يرك» آدم لينذهب ليجلس في كرسي في نهاية الأتوبيس متظاهرًا بالشجاعة ولكن من داخله كان يفكر بتلك الأساطير القروية.. وعلى الرغم من أنها أساطير بالمسبة له. إلا أنه كان متأكدًا أن في الأمر شيئًا ما.
وشدنا مخيفًا..

في مساء ذلك اليوم كان الكل مجتمعًا كعادته في المقهى الخاص بآدم والذي بدأ خائبا مما حدث خلال اليوم السابق. وهدأ أن قص عليهم ما حدث منذ وطأت قدماه أرض طما حيث لم يوفق أبدًا في العثور على الشيخ العجوز..

ذهب ماجد في توتر:

أعتقد أن الموضوع يبدأ يفرج من أيدينا بمجرد الحديث عن الرصد حتى بمجرد الحديث عن ظاهرة الرصد. أعتقد أننا الآن سندخل في متاهة.
ردت مني قائلة:

صحيح لسنا نملك معلومات كافية عن موضوع الرصد هذا. ولكني أعتقد أنه منتشر في القرى أكثر كظاهرة بدون معنى.

اعتدل جاسر قائلاً:

الرصد يطلق على حارس الكثر. وهي ليست ظاهرة بدون معنى بل لها جذور تضرب بجذورها في القدم يا مني.

- يا آدم لقد أصبحت أمهر منا في الحديث عن معتقدات قريتك. ولكن بالإضافة إلى ذلك فالغادم وكما يشاع في الأساطير قد يطلب أشياء محزنة وصعبة من شيعته مقابل أن يرشد عن مكان الكنز. وذلك عن عكس الغادم الذي يكون على طهارة، فمنذ سنوات ذبح طفل عرب الأقصر وخطف آخر شرق المدينة لذبحه وتقديم دمه قرباناً لفك رعب فرعوني يحرس كنزاً نتيجة الاستعانة بشيخ يستعين بغادم من العالم السفلي.

وهناك مدارس وشيوخ يرفضون ذلك ويعتبرونه جريمة لا تفتقر، ودور الغادم هو فك ما يسمى بالرصد وصرف أي حرام على الكنز. فبعض الكنوز يسخر لها النجان خدائاً لهواستها.

هز ما جد رأسه غاضباً.

- لازلت غير مقتنع يا جاسر.. فكل تلك الأساطير قد نسيها الدول المستمرة لمجرد إشاعة الذعر بين الغرب من حضارتنا المصرية وريثها بشكل من أشكال اللعنة.

واقفه جاسر بإيماءة من رأسه قائلاً:

- اتفق معك، ولكن ليس كل ما يقال هراء، كما ليست كل أسطورة حقيقة، ولكننا نسعى لمعرفة الحقيقة فقط.

* * *

حلال الزمن تنظم الحياة وتستمر..

١. الرس كل شيء في الكون بدورة التحولات التي يضبطها ملائكة

٢. اليهودون أبداً إلى مواضعهم في دورانهم السرمدي..

٣. الحاضر من الماضي، ويثبت المستقبل من الحاضر..

٤. عد جميع الأشياء بهذه الدجومة..

٥. كالدائرة..

٦. عمل فطرها حتى إنك لا تستطيع تحديد أولها من آخرها، حيث تنبع كل شيء ما سبقها وتنتهي ما تلحقها إلى الأبد لكون..

٧. الحاضر لا يستمر، إن هناك فهماً أعمق، حيث ينسلخ الماضي لكون أذاً، والمستقبل لم يولد بعد إلا لحظة واحدة؟

٨. كيف يمكن القول بوجوده إذا لم يكن لها؟

تحوته.

«الأمير» «خا أم وام» يسير في حديقة قصره صباح اليوم التالي
بحواره الوزير حور. وكان لا يزالان يتحدثان عن العجوز «كاجم»
الذي أتى من غياهب الظلام بعد بعضٍ لأكثر من خمس سنوات عن أي
شخص لديه أي معلومات عن سر الكتاب المفقود لتعويته..

بها «حور» إن ما أبحث عنه ليس لـ «خا أم وام» فقط بل لنا جميعًا
أريد أن أتحكم في السر الأعظم في الحياة ذاتها.. في الخير والشر.. في
النشر أنت ترى أننا على شفا حروب في كل مكان. فوالدي قام بهجمات
كثيرة على أرض الشام حتى أعاد لنا أرض كنعان وكذلك حملاتنا منذ
مدة سنوات في الجنوب. أما أخي الأصغر «مرنبتاح» فلا يزال يتصدى
لنلك الهجمات البربرية التي تأتي من قبائل اللبب. وأعتقد أننا منغوض
حربنا هناك في القريب العاجل لولا مشاغل والدي. وأنا لست رجل حرب
بها «حور».. فانا أكره إراقة الدماء كما ترى ولا أحب أن يتصارع شخصان
على أرض أو بحر ماء أو أي شيء.. إن إزهاق الروح هو من أكبر المحرمات
بها وزير العزیز.

بها مولاي الكل يعلم عنك إيمانك الشديد واهتمامك بإقامة كافة
الشعائر والاحتفال بالأعياد. وكذلك شغفك الدائم بمختلف العلوم
وخاصة المسعر وكذلك اهتمامك بأثار أجدادك العظام ويترميم ما تهدم
مها واهتمامك بالمعابد المقدسة.. ونعلم أنك لا تميل إلى الحروب بصفة
عامة..

أه يا «حور» لو تمكنت من هذا الكتاب لتضيت على الشر. ولألت
الكون خيرًا وحبًا.. ولأقمت حضارة يشهد لها العالم.. حضارة أساسها
العلم ومدادها الحب والملاص.

- ولكنني أخاف عليك يا مولاي من الدخول في تجربة غير مأمونه
العواقب.

- لن نفكر شيئاً يا حور.. من بدري فقد يدلنا المعجوز على المكان
الموجود به الكتاب منذ قرون عديدة.

تهبذ الوزير قائلاً:

- فلنأمل ذلك يا مولاي.

- نعم يا حور.. فلنأمل ذلك.. والآن هبنا بنا فقد اقترب الموعد والجميع في
انتظارنا الآن..

تتمثل الأمير الصغير «أوزير» وهو يجيب صديقه «خاي» قائلاً:

- يا «داي» ألا تشيع من إلقاء الأسئلة؟ لقد سألتني أكثر من مائة سؤال
وكانك لا تعلم كيف، تاكل أو تشرب أو تسير أو حتى مكان بيتك..

- يا «أوزير» قلت لك اني لا أتذكر أي شيء، بالرغم من أن الكاهن
«نفرو» أخبرني أني سأسترد عافيتي في غضون عدة أيام.

ضحك الأمير الصغير مداعباً صديقه:

- فلنأمل ذلك لأنني قد بدأت في الضجر منك.. والآن بماذا سنلهو يا
صديقي العزيز؟

بدا الاهتمام على وجه «خاي» الذي تجاهل سؤال صديقه وكأنه لم
يسمعه وهو يسأله:

- قل لي ألم يمن ميعاد اجتماع المعجوز مع والدك الأمير بعد؟

نعم.. نعم.. لقد تمثيت فلانيد أن أحضر الاجتماع أنا الآخر..

وأنا أيضاً أريد حضوره.. ولكنه ذلك المعجوز الذي منعي من الحضور
مادعاهاته تلك؟

أتريد فعلاً الحضور لتسمع من الكتاب المفقود يا «خاي»؟
بالطبع أريد، ولكن كيف لي أن أحضر؟

صاح الأمير الصغير «أوزير» في حماس:

إذن فلنأت معي.. فأنا أعرف سرداب من عرفني له فتحة في آخر الممر
تطل مباشرة على الهيئ الملكي. ومن هناك تستطيع أن ترى وتسمع
المعجوز وما يدور داخل الهيئ دون أن يراك أحد، سنذهب معاً لذلك
السرداب، لكن إياك أن يصدر منك أي صوت وإلا كانت عاقبتنا وخيمة..
بالطبع.. لماذا نلنظر إذن؟ هبنا بنا..

- إذن يا مرشدي هو لي مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» منذ عدة قرون؟

- نعم يا مولاي فالكتاب محفوظ في مكانه المقدس داخل المقبرة بعد ما
حدث له على يد الأمير..

نظر «حور» إلى «خا أم واس» قائلاً للمعجوز:

- وأين تقع مقبرة الأمير أيها المعجوز «كاجمني»؟

- إنها هناك أيها الوزير الأول عند تلك التلة التي تقع بأطراف مدينة
سمعت.. بجوار أجدادنا العظام..

أشار الأمير للمعجوز متمسكاً:

- أتعرف المكان تحديداً أيها العجوز «كاجمني»؟

أجاب العجوز يتردد:

- الأمر ليس بالصعوبة يا مولاي ولكن...

يبدو ذلك لك... من تقوم به ليس حياة لأحد! لك بقدر ما هو نصرة
للمعصومين منكم... في القضاة على الشر. ولقد أقسمت لك بـ
«كاجمني» سأتحرر صوب الغير دائماً ولنحس عليّ لعنات الآلهة
المقدسة، ولهنات تحوت العظيم إذا نكبت بعهدي لك..

تهب العجوز بارتياح قائلاً:

بعد يا مولاي ما أريد سماعه منك حتى لا تحل بي اللعنة بعدما
سأكتبك على ذلك السر. الآن اطمأن فبي أن الكتاب سيذهب لأنه
أمانة نسعى لتحقيق الغير والاملام.

- وألآن ما هي قصة الأمير «نفر كا بتاح» يا مرشدي؟

اعتدل العجوز «كاجمني» في جلسته وشره بصبره بعيداً وهو يقول:

- هو الأمير ولي العهد لأحد ملوك العظام منذ قرون يا مولاي أعجز عن
تذكرها أو حتى تذكر اسمه بالكامل فقد بلغ بي الكبر مبلغه ولم تعد
الذاكرة كما كانت، ولكن أجدادي وأبائي قد توارثوا قصة ذلك الأمير
المولع بالسحر..

فقد كان يريد الكتاب بشي الطرق وترك ملكه وقصره ليهيم في البلاد
باحثاً بنفسه عن السر المفقود من البرديات المقدسة لحكمنا تحوت،
سر كلمات الآلهة. وطال بحثه حتى أصبح لا يقوى على التحول في
البلاد..

وفي يوم من الأيام وبعد عودته لتصوره أنه حكيم.. مثلما أتيتك يا مولاي..
كانت ليلة ممطرة ولم يرد اسم الحكيم في أي بردية من البرديات يا
مولاي. ولا يعلم أكان طيباً أم خفيها؟ هل بالفعل كان كامناً؟ وإذا كان
كذلك فمن أي طائفة هو؟ لا أحد يعلم عنه شيئاً.

ما قصد بطائفة يا مرشدي؟

يا مولاي إن الكاهن في ذلك الوقت كان يطلق على رجل الدين «حال
أخري» لذا كان لزام علينا أن نمرق بين كاهن المعبد وكاهن «المعبود»
أخري وكاهن المقابر وغيرهم.. فكل كاهن من هؤلاء على حدة..
«حاول أن أفهمك يا مرشدي.. أكمل فكلنا أذان صاغية».

من بين هؤلاء الكهنة يا مولاي من كان مختصاً «عالم العينيات» وهو ما
كان يفتر همزة الوصل بين عالمنا وعالم الحان. وليس كل متصل بعالم
الجن في الكهنة كان قديراً في معامته معهم. فكان مهم الضعيف الذي
كان يسيطر عليه ذلك المخلوق ومنهم القوي والحاكم على تلك العنصر.
وتلك الطائفة من الكهنة هم من أقوى كهنة مصر..

اعتدل الكاهن «نقرو» قائلاً بوقار:

- كلنا ندرك هذا الحديث أيها العجوز ونعلم أنه لا ينتمي لتلك الطائفة
سوى من بلغ من الإيمان والزهدة درجة عالية، ولذلك كان اتصال الكهنة
بنا نحن لحماية آثارهم وعلومهم..

استدرك الأمير قائلاً بلهفة وبفجأة صير:

- أكمل يا مرشدي.. ماذا حدث بعد أن وصل هذا الكاهن المجهول إلى
الأمير «نفر كا بتاح» معلناً بالتأكيد أنه يعلم سر الكتاب المخفي؟

نظر الكاهن «نقرو» بشك، للعجوز قائلاً:

«يا أم واس، كيف لك أن تكون أنت نفس الكاهن.. نفس الملائكات.. وإن كنت أخشى..

صاحت العجوز قائلاً:

«يا أم واس، لست حمياً أو متحليلاً بالعر يا صورة

نظر إليهم الأمير بضيق قائلاً:

«يا أم واس، يا مرشدي ولتكنم ولا تقاطعه كاهنا الأعظم حتى لا يرفقه بالعديث

استأنف العجوز رويته قائلاً:

«يا أم واس، في الكاهن المجبول وخير الأمير «نمر كا فتاح» بالمكان المحدر
يا أم واس به كتب تحوت المهدس. وكان الكتاب يقع في حريرة في أعالي
مصر..

تمتم الأمير بتعجب:

«أعالي مصر؟

«نعم كانت الجزيرة في النيل بالقرب من الجنوب وقام بتحديد الوصف بدقة. وكان على الكاهن أن يذهب معهم في تلك الرحلة النبيلة لإرشاد الأمير إلى تلك الجزيرة. حيث تشابه الجزر في ذلك المكان.. وكان عليه أن يقوم بأداء صلوات وطقوس خاصة ليسهل له الحصول على الكتاب..

وماذا بعد يا مرشدي.. هل قام الأمير «نفر كا فتاح» بالرحلة؟

في موعدها المحدد يا مولاي، وبعد اكتمال البدر تماماً كد أخيره الكاهن المجبول.. وعلى الرغم من حدوث بعض المشاكل في «النفس الملكي في هذه الأثناء ورغبة والده الملك في عودته للقصر لكي يساعده في إدارة شئون البلاد.

قال الوزير «حور» في دهشة:

«وكيف أصبر الأمير على القيام بالرحلة رغم علمه بتلك المشاكل؟

استدرك العجوز قائلاً:

«على الرغم من أن الأمير كانت دوافعه غير دوافع مولاي الأمير «خا أم واس». ورغم أن الكاهن المجبول قام بتعذيبه ببطورة فحشته، كما حذره أنه إذا استعمل البرديات في الشر. فإن لعنات الآلهة ستصيبه ولكنه لم يلتفت إلى كل تلك التحذيرات.. وبدأ الرحلة في الوقت المحدد واستمر في الإبحار نحو أعالي النيل حتى وصل بعد عدة أيام إلى المكان المقصود والذي حده له الكاهن بإشارات معينة ثابتة دله عليها..

وهل وجد الكتاب في المكان الذي حده له الكاهن؟

«عندما وصل الأمير أخيراً بعاشيته إلى تلك الجزيرة وضرب له معسكر في الأنحاء. وبدأت رحلة البحث داخل الكهف الموجود الذي وصفه له الكاهن..

قاطعه الأمير «خا أم واس» في دهشة:

«كيف!!!

«نعم يا مولاي الأمير.. لقد كان الكتاب مدفوناً في الكهف الوحيد الموجود في تلك الجزيرة حسب وصف الكاهن الذي حذرهم من أن يكون هناك

حراس للكتاب من العج. مما جعل الكهنة المرافقين للأمير يرتعدون من دخولهم الكهنة.. على الرغم من أنهم ظلوا يومًا كاملًا يقتلون صلواتهم ويفيمون الطقوس والشعائر المقدسة لزوال أي لعنة قد تصيبهم.. حتى الكاهن المجبول شركهم تلك الصلوات مع قيامه بصلوات وطقوس خاصة..

قاطع العجوز دخول أحد الحراس إلى بهو البلاط مصرعًا، وما إن اقترب من العرش حتى خرَّ ساجدًا وهو يهتف:

«مولاي الأمير «خا أم واس».. إن ركب مولاي الأمير «مرينتاح» ابن سيد الالهة رمسيس الثاني على مشارف القصر..

نهض الأمير «خا أم واس» هاتفاً:

«ماذا؟ أخي؟ مرحي.. مرحي.. قلبته هذه الجلسة يا مرشدي لوصل ركب أخي في زيارة مفاجئة لنا.. ومنستكمل حديثنا في أقرب فرصة»
«كما ترى يا مولاي الأمير كما ترى..»

وسادت حركة كثيرة في القاعة ما بين خروج «كاجمي» مع مساعده وخروج الكهنة إلى معبدهم. أما الأمير «خا أم واس» فقد ذهب مع كبير الكهنة ووزيره الأول، «حور» ليكونا في استقبال الأمير «مرينتاح»..

هتف الأمير «مرينتاح» بأخيه الأمير «خا أم واس» في مساء ذلك اليوم:

«يبدو أن عادتك لم تتغير يا مولاي الأمير. ها أنت تصر مرة أخرى على

البحث عن تلك الكتب القامضة والتي ستساعدك فيما تصبو إليه من تعلم كل ما هو غامض

.. الأمر ليس كذلك يا أخي الصغير، ولكن لك أن تتحيل عندما نتحكم في قوة السماء، وبين يديك العبر والشر ونستطيع أن نقصي على كل الشرور والآثام الموجودة في العالم.. أن نستطيع وقتها أن ننشر السلام في ربوع مصر؟

«يا مولاي الأمير إن السلام هو حلم البشرية عبر مختلف العصور. وقد علمتني الحياة أن السلام لن ينتشر إلا بقوة الإيمان وثمن يحافظ عليه سوى السلاح، بينما القوة العارقة التي تبعث عنها، حتى وإن وجدت، فسوف تأخذ منك مقابل ما ستعطيك»
«لا أفهمك يا «مرينتاح»..»

«كما فهمت يا مولاي من عرضك لعديك مع ذلك الكاهن «كاجمي» أن تلك البرديات لها قوة خارقة، كما أن التحذيرات التي يسوقها إليك في كل مرة تعلمي أقسم إن تلك البرديات لعتها أكثر من فائدتها، وأنا لا أؤيد فكرة البحث عن كتاب تعوث المقدس.. دعنا نتجنب غضب الآلهة على من يقلق حراس الكتاب المقدس..»

«يا أخي العزيز أؤكد لك أنك سوف ترى مدى الخير الذي سوف يحققه بأهل مصر عند حصوني على هذا الكتاب.. سوف يعم الخير والرخاء في شتى أرجاء البلاد سوف أجنت الشر من جذوره.. وأنا دعنا من ذلك الحديث الآن وخبرني كيف حال والدنا العزيز؟

«في أحسن حال، لقد تركته منذ فترة وأنا في طريقي لقتال بعض قبائل الليبو المتاخمة لحدودنا حتى نوقف زحف تلك القبائل على حدودنا، إنهم نعم القبائل في كل مرة.. فقد قام رئيس الليبو الغامض مارابي بن

دد بالانقباض على اقليم نحنو برمته بعد أن كُونُ تعالفاً مع شعوب البحر ويخص قبائل المنطقة مثل الفهق والمشواش.. وقد خرجت بالجيش لتأديب تلك القبائل المارقة إلى غير رجعة..

- ها أنت أخي العزيز تتكلم بلسان أبينا.. الحرب تصوير في دمانكم المقدمة حتى وزيرك الأول بانحسي المعين من قَبْلُ والدنا المعظم يميل إلى الحرب بصفة دائمة..

- هي الحرب يا أخي فقط من سئلت دعائم الحكم في كافة أنحاء البلاد.. فلتسر أنت في طريقك من إيساك في ترميم آثار أجدادنا والبحث عن كل ما يخص العيبيات حتى تصل إلى كتابك الغمض.. وماكون مساعدك الأول في تدعيم مملكتنا في حكم والدي المرعون العظيم. وفي حكم جلاتك ماكون يدك التي ستبسط بها ضد كل من تسول له نفسه الاعتداء على أرض مصر الطاهرة..

- بالضبع يا «مرينتاح»، هذا ظني بك دانفا.. والأل عليك أن ترتاح لتسمع معي بعد غد تفاجئ رحلة الأمير إلى الكهف الذي يحوي برديات كتاب نصوص المقدس..

- فعلا يا مولاي الأمير أنا متعب جداً من الرحلة.. فلنذهب الآن.

* * *

اتفاق جاسر على هاتف يدق بالحاح وقد تملكته الدهشة عندما وجد اسم المتصل.. ولكنه فتح الهاتف سريخاً ليمسح صوت إسلام طيب المصحة النفسية.. ولكن جاسر بادره في لهفة:

- خيراً يا إسلام؟ ماذا لديك خبرتي؟

- ألن ترد علي السلام أولاً.. اطمئن واهدأ يا عزيزي.

- أسف يا إسلام.. صباح الخير يا صديقي.. كيف حالك؟ أعذري فإن مندھش فقط من اتصالك..

- لا عليك.. ولكنك أكدت علي أن أخبرك بمجرد حدوث طارئ ما.

- ماذا حدث؟ لا تقل لي إن أحمد توفي؟

- لا.. لا.. ولكن هناك فتاة تقول إنها خطيبته وكانت ترغب بالأمس في زيارته وتلج على ذلك بصورة شديدة.. ولكن لم يكن لديها تصريح فلم تسمح لها بالزيارة.. وعادت اليوم ومعها التصريح ومذكور به أنها خطيبته.. وبالمعنى أدخلناها لزيارته وهي الآن عنده وقد تركت معهم الحارس خوفاً من معاودة حالة الهياج التي تتأبته.. ولا زالت هناك منذ قرابة العشرس دقيقة.. وقد زارته الأسبوع الماضي أيضاً لأول مرة ولكنها لم تمكث طويلاً معه.. لم أكن في العمل يومها لذلك لم أعلم إلا أمس بذلك الموضوع.. ولا كنت قد أخبرتك.

- ولكي لن أستطيع اللحاق بها الآن أو حتى مقابلتها..

- أعلم ذلك.. ومن أجلك قمت بتصوير بطاقةها.. ربما تستطيع مقابلتها في وقت لاحق.. أو ربما قد تفقدك لشيء ما..

- هل تستطيع أن ترسل لي صورة منها على بريدي الإلكتروني؟

- بالطبع..

- أحسنت يا إسلام، لا أدري كيف أشكرك يا صديقي.

- لا داعي للشكر يا جاسر فأننا لم أفعل شيئاً، أتمنى فقط أن يفيدك ذلك، كنت أود أن أ طرح عليها اسئلة بخصوص أحمد، وظروف مرضه وهل كان هناك أي تاريخ مرضي لعائلته أم لا، ولكنها كانت تبكي قبل اللقاء، وهو أيضاً بدا في البكاء بعد أن رأها، لقد حضرتت المرافلة في بداية الأمر ولكنني أثرت الانسحاب - عموماً سأحريك إذا توصلت لأي شيء، وسأرسل لك الصورة الضوئية الآن.

- عظيم جداً، ولكن هل لي بخدمة أخيرة، هل تستطيع أن تبلغها أن هناك من سيأتي من المستشفى لزيارتها وكتابة تقرير عن حالة أحمد..
- سأحاول يا جاسر - لكن بالله عليك لا أريد أن أتورط بالأمر، أنا أفعل كل ذلك لثقتي الكاملة فيك..

- لا تقلق يا صديقي، أنا مقدر ذلك..

لم تمر عدة دقائق على هذا الحوار حتى استقبل جاسر بريداً إلكترونيًا من إسلام، وكان عبارة عن صورة ضوئية من بطاقة خطبية أحمد، وتحت الصورة كتب رقم جوالها.. كانت فتاة متوسطة الجمال كما يبدو من صورتها بالبطاقة، وقد أصابه وجوم فجأة عندما علم أن محل إقامتها في طم بلدة أحمد، وعليه أن يقطع المشوار إلى البلدة ليقابلها، حتى يحاول أن يستفسر عن أشياء كثيرة جداً.. خطر له أن يتصل بها، ولكنه فكر في أنه من الأفضل أن يتحدث إليها متى لتحدد معها موعد لمقابلتها بصفتها طبيبة من المستشفى وأنهم مهتمين بعالة أحمد..

كانت الأمور عند جاسر وهريقه تتطور بسرعة وتزداد صعوبة، فقد كانوا لا يزالون متحيرين في تفسير الموضوع من بدايته، وكيف حدث كل ذلك بمجرد استخراج التابوت، كل هذه الأحداث وكل هؤلاء الضحايا

كان جاسر بالفعل متحيرًا، فقد بدأ الأمر بخمسة أشخاص عثر عليهم مقتولين في بني سويرم بالقرب من هرم ميدوم، حيث تم اكتشاف المقبرة، ثم تلاهم الشيخ حسن كرم الله وشخص آخر، ثم مجدي مساعد الخواجة ذاته، وتنتهي الحلقة بأحمد والذي أصابته لولة ما فجأة ودون سلب.. ومن يدري؟ فقد تمتد الحلقة لتشمل الآخرين.

كان يعتقد أن هناك شيئاً مجهولاً وراء تلك الأحداث، شيء ما ربما يكون من العالم السفلي أو أي شيء غامض، هذا ما يعتقد به بكل جوارحه، أما شقيقه فكان دائماً ما يرفض كل تفسير لا يستند إلى سبب علمي وواضح.

كان يشعر أنه كلما اقترب من حل اللغز، كلما شعر أن الدائرة تتسع أكثر ولكن إحساسه يخبره أن الميعود كلها تتلاقى عند أحمد، وكم نمتى ن يجلس معه ولو دقائق يكون فيها بكامل وعيه..

كان عليه أن يذهب إلى حليته، بعد أن رجحت مي أخيراً في الحصول على موعد لمقابلة هند خطيبة أحمد، وأقنعتها أنها طبيبة في المستشفى، ومهممة بعالة أحمد، وعليها أن تدرس تاريخ أحمد المرضي مع أحد أقاربه.. وقد حددت يوم الجمعة القادم موعداً لمقابلتها في بلدتها طما، بعد أن استأذنتها في قدوم طبيب زميل معها..

كم نمتى أن يجد إجابة لسؤالاته عند خطيبة أحمد، ولكن سيكون عليه الانتظار حتى ذلك الوقت حتى يعرف تلك الإجابات.

أخذ فتح الله المريض في المصححة العسبية يتلفت يمينا ويسارا وهو يناول ورقة مطوية إلى هائلة زوجة محدي والتي أخذتها منه ووضعها في حفيه يدها حيث تناولت منها ورقة بيضاء جنية لتضعها في يده قائلة:

- أأنت متأكد أنك لا تعلم هذا الشخص يا عم فتح الله؟

- لا والله يا أستاذة رقية، كل ما أعلمه هو ما أخبرتك به، فهذا الشخص أتى إلى ابن عمك وزاره في المستشفى مرة واحدة، ومن وقتها بدأ الاهتمام بأحمد، واتضح أن هذا الشخص يعرف أحد الأطباء المناوبين والمستنولين عن حالة أحمد الصعبة وللأسف حالته تتدهور من ميء إلى أسوأ.

- أعلم ذلك... فأننا لم أطبق المكوث معه إلا خمس دقائق فقط، وأنت كنت بجواري.

- ولكنه لا يذكرك من الأصل يا أستاذة رقية، على الرغم من أنك ابنة عمه كما تقولين..

ظهر الارتباك على وجه فائزة التي قالت بتلعثم:

- أنت تعلم حالته العقلية يا عم فتح الله، وتعلم أنه لم يعد متذكرا أحدا من أصدقائه أو من أهله.. المهم.. هل هناك أي زوار لأحمد غير هذا الشخص؟

- لا أعتقد، فكما أخبرتك لمست الممرض الخاص بهذا العنبر، وإنما هناك ممرض آخر طلب نقله إلى هذا القسم من حوالي عدة أسابيع، وتم وضعه لمراقبة أحمد بصيغة مستمرة.

- تستطيع أن تعلم من زاره عن طريق التصاريح.

د. امتدة رقية موضوع التصاريح كان بعد دخوله مباشرة للمصححة، وسعر لفترة بعدها.. عندما كانت الزيارة شبه ممنوعة، ووقتها حضر السيد الذي أعطيتك اسمه وعنوانه.. بعد أن أخذ تصريح للزيارة، لأن أحمد كان شاهدا في حريمه قتل ما كما تعمير، وعندما يست الشرطة للحصول منه على أي أقوال مضمومة تركه والدليل على ذلك هو أن... لم يطلب منك أي يثبت عليك لقد تم دفع تصريح الزيارة اعتبارا من أول الشهر الحالي.

دن. لن نستطيع معرفة من الذي زاره؟

ماذا تصرين على ذلك؟

ارتبك فائزة أكثر حينما لاحظ الممرض كثرة أسئلتها وإلحاحها لمعرفة هوية زوار أحمد فرددت قائلا:

لا تسأل بالك يا عم فتح الله، فكما تعرف هو قريبي وأريد أن أعلم من سوى الإصاف عليه هنا في حال احتياحكم لأي مبلغ.

لا يا سيدتي، هو داخل القسم المجاني، والدولة تتكفل بالكامل بعلاجه، وسأترك له أحد أي أموال، فيما عدا خطيئته التي زارته وتركت مينا من المال في صندوق الأموات، ومن وقتها لم تحضر.

سمعت فائزة باستنكار:

خطيئته؟ لماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

- لأنها لم تأت إلا مرة واحدة، منذ عدة أيام، كما أنك طلبت مني أن أحرك عن من قاموا بزيارته من أصدقائه.

- قلنا في بعنوانها هي الأخرى يا عم فتح الله .

- ولكن ذلك يتطلب العودة مرة أخرى إلى المسحلات والبحث وإخبار المسلول، ثم كيف لا تعرفين عنوانها وأنت ابنة عمه .

فتحت فابرة حقيبتها لتناولها مائة جنيه أخرى قائلا في ثور:

- أنت كثير الأسئلة يا عم فتح الله .

مد الرجل يده ليتناول النقود بهفة ويضعها في جيبه وهو يتلمص قائلا:

- أنا تحت أمرك دائما، يا أستاذة.. انتظريني خمس دقائق سأتي لك بالعنوان حالا .

وتركها وانصرف ليعود إلى داخل الممر ليحضر لها ما طلبته. أما هي فقد جلست على أقرب مقعد خشبي إليها لتفزع حقيبتها مرة أخرى وتناول الورقة المطوية وتقرأ ما دون بها: "جاسر عبد الرحمن.. مصر الجديدة من أنت أيضا يا جاسر؟ وعلام تبحث عند أحمد؟"

* * *

"والله لا أعلم أي شيء عن موضوع التايوت.."

قالتا هدى للمرة الثانية أثناء حديثها مع جاسر ومنى، اللذين التزم بالبعد تاما، وكانت هدى تنتظرهما على أول الطريق كما تم الاتفاق لأنها لا تريد أي مشاكل، وخاصة أن البلد صغيرة والأخبار تنتقل فيها بسرعة على الرغم من أنهما قد لفتا نظر بعض القرويين في طريقهما معها لمزلها ولكن كانت هدى تتعاشى نظراتهم..

كانت بالطبع قلقة إلا أنها قد اطمعت قليلا بعدما أظهرت لها من كارييه عدة الأطباء، وبدأت في التحدث معهم، ولكن كان ذلك بحضور عمها، وبدي جلس يراقبهم في الصالة المقفلة، ولكنه التزم الصمت في أثناء الحوار.. مكتفيا بالنظر إليهم من بعيد دون أن يسمع حديثهم..

حاولت منى طمأنة هدى قائلا:

لا تحدي يا هدى، أي معلومات قد تساعدنا بها هي في صالح أحمد فحتة متأخرة جدا، وإذا لم نعلم ملايسات الظروف الأخيرة التي مر بها سروراد حالته سوءا .

ولكني لا أعلم الكثير عن الموضوع برمتة، وقد سألتني صباط المباحث أثناء التحقيق معي عن هدى، الموضوع وحديثهم أي لا أعرف شيئا.. فلا عرف إن كان ما لدي قد يقيد أحمد أم يضره .

استوقفها جاسر بإشارة من يده قائلا:

مهلا.. اتقولين أن أحدهم قد قام بالتحقيق معك؟ متى حدث ذلك؟ وماذا أرادوا منك؟

أحبتة هدى في ثور:

نعم.. كان ذلك في أعقاب مقتل خال أحمد، عم حسن كرم الله..

نظر حاسر ومنى إلى بعضهما البعض عندما تم ذكر اسم الشيخ الذي قدم باستغراج التايوت.. مما جعل جاسر يردف قائلا:

وماذا تعلمين عن الشيخ حسن؟

للقرية.. فبعد موته بدأت بعض الأحداث الغريبة تحدث في القرية،
ويعتقد أهلها أن هناك لعنة ما أصابت القرية..

سألها متى في دمهشة.

أي لعنة؟

لقد اختفى أربعة أطفال من القرية، ونفتت أعداد كبيرة من الماشية
هذا بالإضافة طبعاً إلى الحرائق المستمرة في البلدة دون أن يكون لها أي
سبب معروف.. وكلنا لدينا حماسية تجاه الغرباء ولولا أنني أعلم أنكم
من المستشفيات وتناهبان حالة أحمد لما وافقت على مقابلتكما..

قاطعها جامس يهدوء:

مهلاً يا هند.. ألا تعتقدين أن ما أصاب أحمد قد يكون نوعاً ما من
اللعنة بسبب ما.. فكل كلام أحمد يدور حول موضوع واحد يربعه، ومن
الواضح أن الشيخ إلهامي قد حذرهم من شيء ما، ولكنهم لم يصفوا
إنه.. هل لديك فكرة عن ذلك؟

أحمد كان كثيرًا ما يقص على ما حدث، ولو أنك تركتني أكمل فسوف
أخبركما بما يساعدكما ويرشدكما لعلاج.

اعتذلت متى قاطلة بامتصاص:

فلتكملي يا هند وكلنا أذان صاغية..

أكملت هند.

بعد أن اتفق أحمد مع عم حسن على استخراج الكثر وأخذ إذن
الرصد. قابله الشيخ إلهامي، ودار حديث بينهما، لم يقل لي ما هو ولكن

كل ما أعلمه أنه خال أحمد، وكان يعمل في استخراج الآثار المدفونة عن
طريق السحر والشعوذة.. وأحمد كان على علاقة بصديق له يعمل في
التنقيب عن الآثار مع بعثة أجنبية، وتم العثور على التابوت، ولكن
التقاليد في البلدة كانت تقتضي أخذ الإذن قبل استخراج التابوت وما
معه من كنوز.. وبالتالي كان من المستحيل أن يأتي صديق أحمد والبعثة
الأجنبية المرافقة له إلى هنا دون أخذ السماح.. وعن طريق أحمد فقد
رشح للعمل في هذه المهمة خاله وكان هناك الكثير من الأقاويل في البلد
عن عم حسن.. لأنه كان يستعين بالشعوذة والطقوس الغريبة لدرجة أن
الكل كان يتحاشى الكلام معه إلا أحمد.

سألها جامس قائلًا:

بمناسبة ذكر الشيخ حسن، ماذا تعلمين عن الشيخ إلهامي، لأن أحمد
حدثني عنه ولم أقم منه شيئًا.

الشيخ إلهامي هو عجوز القرية، عمره يناهز الثمانين أو التسعين
عامًا.. وعم حسن كان أحد مساعديه، ولكن اتجه إلى ممارسة شعائر
خاصة وطقوس غريبة جعلت الشيخ إلهامي يطرده من حظوته..

لقد حاولنا البعث عن الشيخ إلهامي دون أن نجد له أي أثر، وكان الكل
في القرية يتحاشى الحديث عنه.. كنا نود أن نمشيره في ما حدث.

لن يدلك أحد من القرية على مكان الشيخ إلهامي.. كلنا هنا نتلاشى
الحديث مع الغرباء حتى في التحقيق الذي يشرته الشرطة في مقتل عم
حسن.. لم ينس أحد ببلى شفة بالرغم تاريخه الأسود وما سببه

أجابته هند:

- بعد اكتشاف المقبرة، لا أدري ما حدث ولكن ما أعلمه أن أحمد وعم حسن خرجا قيل إطلاق النار بدقائق.. عندما شعر أحمد أن هناك من يراقبهم في أحد البيوت المجاورة.. وقد قام بتحذير خاله وقتها.. وبعدما هربا..

قاطعها جاسر قائلا:

- هناك حلقة ما مفقودة.. فكيف أصيب أحمد باللعة طالما اختفى؟

أجابته هند بتوتر:

- لا أعلم.. بالله عليك إن هذا الموضوع سيفتح علي أبواب جهنم كفى بالله عليك.

حاولت منى طمأنة هند قائلة:

- لا تخافي يا هند. فكل هذه المعلومات في صالح أحمد، ولن يعلم ما حدث في هذه الغرفة إلا ثلاثتنا فقط..

حاولت هند استجماع شجاعتها وهي تكمل:

- حسناً.. بعد إطلاق النار وهروب الخواجة بكل ما كان في المقبرة عاد أحمد وعم حسن إليها مرة أخرى.. فقد كان عم حسن هو أول من وطأت قدماه المقبرة لمسيب ما لا أفهمه، وكأنه يبحث عن شيء ما متعجباً باستكمال الطقوس الخاصة بفك الرصد.. وبالمعنى.. عندما كان في الأسفل وجد ضالته فقام بالجرم وإخفاء ما وجده في كوة في الحائط.

يبدو من حديثه أن الشيخ إلياس قد قام بتحذيره، ولكنه لم يصيغ إليه لأنه أخبرتني في الفترة الأخيرة أنه كان عليه أن يستمع لنصيحة الشيخ إلياس ولكنه لم يفعل.

قاطعها جاسر مرة أخرى قائلاً:

- إذن فقد ضرب بنصيحة الشيخ إلياس عرض الحائط وتعاون مع مجدي وحسن وتم استعراجه الكثر..

- فعلاً ولكن حدث ما لم يكن متوقفاً، فبعد استعراجه الكثر فوجئ أحمد بإطلاق النار وسرقة كل محتويات المقبرة من الأشخاص الذين كان مجدي زميله يعمل معهم، ولولا الصدفة لقط لكان عم حسن وأحمد ضمن تعداد الأموات.

قاطعها منى هذه المرة متسائلة:

- فعلاً.. وهذا ما أثار اندهاشنا أن الخواجة قام بقتل كل من ساهم في عملية السرقة.. ولكن لماذا ترك حسن وأحمد؟

نظر جاسر وقتها بشدة إلى منى التي لم تفهم معنى نظراته إلا عندما قالت لها هند في دهشة:

- وكيف علمت بهذه العادة، وأن الخواجة هو من قام بقتلهم؟

استدرك جاسر بسرعة قائلاً:

- أحمد.. أحمد يا هند هو من قص علينا ذلك في أوقات إفاقته، ولكنه لم يتكلم بصورة واضحة، وما نحن نحاول أن نتصور الموضوع بشكل كامل لمحاولة وضع تصور لماذا حدثت له اللعة تحديداً، ومتى؟

ولم يلحظ أحدهم ما حدث، وبعد انصرافهم نزل أحمد معه لاستخراج ما خياه.

سألها متى في استغراب:

- وما كان ذلك؟

- كان ذلك عبارة عن صندوق صغير..

اعتدل جاسر باهتمام قائلاً:

- صندوق؟ وماذا كان يهوي هذا الصندوق الذي يجعل حسن يترك كل ما خلف عمله وغلا لمنه ويختاره؟

- برديات..!!

نظر جاسر ومضى لهما في دهشة في حين أكملت هند:

- نعم برديات.. أحمد قال لي إنه اندهش بمجرد رؤية الصندوق، لأنه كان يظن أن خاله فكر كما قلت يا أمناذ جاسر، ولكنه عندما سأل عم حسن قال له إنه وجد ما هو أغلى من كنوز الأرض..

سألها جاسر بنهشة:

- كنوز الأرض؟!!، وماذا حدث بعد ذلك؟

- أخذ عم حسن الصندوق واختفى، وعاد أحمد إلى القاهرة واختفى هو الآخر، ولم أعلم هذا الموضوع إلا بعد مقتل عم حسن.

سألها جاسر:

- وماذا عن التابوت؟

أقسم لك إني لا أعلم عنه أي شيء، فلا أحد يعلم عنه شيئاً منذ سرقته، كل ما أعلمه أن أحمد رجع إلى البلدة بعد انتهاء الثورة بشهرين. وقد عرفت منه أنه قد اتصل بمجدي، الذي أقسم له إنه لم يكن على علم بخيانة الخواجة له.. والأدهى أنه عاد للتعامل معه مرة أخرى رغم إني حذرتة..

ردت متى:

- عاد للتعامل معه بشأن ماذا؟

لم أعلم أنه عاد للتعامل معه إلا بعد مقتل عم حسن، كل ما فهمته أن لديه بردية ما.. وأن الخواجة الذي يعمل لديه مجدي كان مهتماً جداً بها، وطلب أحمد وقفها مبلغاً خرافياً مقابل تلك البرديات ولكن وقعت وفاة مجدي بعدها بشهر، ولا أدري أكان قد استلم البردية أم لا؟

سألها متى:

- هل استلم أحمد أي مبالغ مالية، أو ظهر عليه الثراء؟

- لا لم يحدث، بالعكس لقد كان في ضائقة مالية قبل دخوله المصحة بفترة قليلة.

سألها جاسر باهتمام:

- وأين الصندوق بعد ما حدث؟

- لا أعلم، فكل ما أعلمه قد قلته لك؟

- اسمعيني جيداً يا هند، فنحن نشعر أن أحمد واقفاً تحت تأثير سحر أو نعمة ما هي التي أدت إلى كل ذلك.. قد يكون حديثي غريباً بالنسبة إليك

وغرباً أيضاً بالنسبة لي كطبيب، ولكن هذا ما أشعر به وكل ما أريده هو مساعدة خطيبك.. وأنت بذلت معنا كل جهدك ولكن إذا تذكرت أي شيء.. أي شيء حتى ولو كان تافهاً أو علمت أو حتى سمعت أي شيء غير مألوف أو يخص الموضوع في القرية فعليك أن تبليغي فوراً..

ناولها جاسر الكارت الخاص به قائلاً:

- وهذه هي أرقام هواتف زميلتي منى وأنا منتظر منك أي خبر، حتى ولو كان في منتهى البساطة إلا أنه قد يساعد أحمد.

- إن شاء الله يا دكتور جاسر، أنا أيضاً أود أن يعرج أحمد سريعاً من تلك الأزمة.

استأذن جاسر ومنى في الانصراف، ولكن كان ذلك مستعجلاً عند أهل طما فكان لابد من تناول الفداء قبل انصرافهما، رغم التعجج بأن عليهما الرجوع إلى القاهرة قبل حلول الليل..

فكان على جاسر أن يتناول الطعام مع رجال المنزل، وكذلك فعلت منى عندما جلست مع النساء في الغرفة العلوية، أما جاسر فكان يشعر أنه ضيف غير مرغوب فيه، على الرغم من الكرم البالغ، ولكنه كان يرى أن حوارات العم معه كانت مقتضبة إلى حد كبير، وعبثاً حاول جاسر أن يستدرجه للحصول منه على أي معلومات ولكن دون جدوى، مما جعله يمتاله مباشرة عما إذا كان يؤمن بوجود ما يسمى لعنة الرصيد أم أن كل ذلك مجرد تغاريف لعجائز القرية^١.

فرد عليه الرجل باستنكار:

د عجائز قرية يا أفندي؟ إننا نرى بأعيننا ما قد لا يصدق عقل، اكسنا على يقين بوجود ما يسمى للرصيد، ووجود ما به من حرام الكثير وجود ما يسمى حد الإذن من العشر واستخراج الكثير ثماره العديد الحكايات الحقيقية المقدسة لدى جدودنا.

يمكن من نفسك بالفعل أي، حشوية يا ح.. مرد؟

هم، وكونك تجول هذه الأشياء فذلك ليس معناه أنها غير موجودة.

سمع ن الله أنت تخلف تماماً عن أي، قانا مطلقاً يؤمن بوجود كل ما في حشر حشيرة وفي.. من بيت العديد من الأشياء في بيتك من جميع تشبهه، ولكن من خلال ما تدور به لحوارق في البيت

سمعتي جاسر.. استند بعض الزعم من من الصعوبة يمكن من تلشد أحد من القرية أسرارها، ولكني سأجيبك عن بعض ما يشغلك.. مع بدأت الظواهر الغريبة في الظهور مرة أخرى..

مرة أخرى^٢، من معنى ذلك أنها ظهرت قبل ذلك؟

بعض هذا كبت لا زال صبيها عندما وقعت هذه الأحداث، كان عمري أنها لا يزيد عن عشرة أعوام.. وفيها سمعت عن المرأة المسعورة..

مرة مسعورة^٣

بعض المرأة المسعورة، والتي تقول الروايات أنها باقت تقطن وسط الغد القصص وتريض سماره والأطفال وكذلك ككب أطفالها من قبل عندما أصابها مرض السعار، وظهبت عندما تم استغراج كز من ابن الرصيد وكانت هي وروحها من قاما بدلت وهذه الجدلة كانت

مند أكثر من خمسين عامًا، وقتها كان الشيخ إلهامي من حذر أهل القرية
من إصابتهم باللعنة .

- ولكنت تقول إن هذه الأحداث تكررت بصورة أخرى فهل ظهرت هذه
الحالة مؤخرًا؟

- لا لم تظهر ولكن اختفى أربعة أطفال حتى هذه اللحظة دون أن يظهر
لهم أي أثر..

- الشيخ إلهامي كان حاضراً ذلك أيضاً؟

- نعم..

- أنا في أشد الحاجة للمقابلة الشيخ إلهامي، بالله عليك يا حاج مراد أنت
بالتأكيد على علم أين هو. أريد أن أقابله فقط للاستفسار عن بعض
النقاط عن حالة أحمد.

- لا أعلم، وحتى لو أعلم فمن الصعب البوح بتلك الأسرار، إنه بالتأكيد
في مكان ما بالقرية، ومن فترة ذهب أحدنا إليه وقصص عليه كل شيء،
فوجدته على علم بكل الأحداث، وكان يأسف لما وصل إليه الأمر، هو فقط
مغترب ليجد العمل، فغلاصنا فقط على يديه.. هو فقط لا يريد أن
يزعجه أحد منا.. لقد سبق وحذر ذلك الغني ولكن دون أن ينصت لما
قاله.

يلبس جامر أن يدلّه الحاج مراد عن مكان الشيخ إلهامي، فقوّر الموضوع
قائلاً:

- اكمل يا حاج مراد، وما بقية الأحداث الغريبة التي ظهرت؟

- لا حديث إلا عن اشتعال النيران ببعض منازل القرية وتحديداً منازل
الأشخاص الذين قاموا بتلك الفعلة، والذين دفعوا حياتهم مقابل

استعرجهم من المنزل المهجور خارج البلدة، ويقول سكان المنازل المجاورة
ن الحن يقطن المنزل، بل إن بعض الجيران قالوا إنهم شاهدوا الجن في
سور عنددة على هيئة عجل أو جاموسة أو ثعبان أو قط أو كلب، وأنه
يوقف عن الظهور وإشعال النيران بتلك المنازل ولكنه ما لبث أن عاد
لممارسة نشاطه مرة أخرى.

وما السبب من وجهة نظرك؟

النفسيب عن الآثار الغرونية فأراضينا ممثلنة بتلك الكثور. ولكن لابد
من أحد الإذن أولاً، وإلا أصاب الأرض ما لا يحمد عقباه من لعنة مثل
صوق الماشية.. واختفاء الأطفال.. العرائق الغامضة، وكل ذلك يحدث
لما ألى، فيبدو أنه تم استعراج الكثر دون أخذ الإذن، وهو الأمر الذي
يثير غضب الرصد الجني العارس له، وبالتالي فهو يلتقم منهم ويشعل
النار في المساكن . مع ظهور كائنات طائرة في السماء في صورة كرات من
النار تسقط فوق المساكن. وقد جرت هذه العادلة في بعض قرى
الصعيد مثل البليتا وأيضاً تحليق الطيور النارية الغامضة المصهولة التي
تحدث عنها السكان حتى اليوم في السماء ثم ما تلبث أن تسقط فوق
المساكن.

على الرغم من اعتراضني على بعض الأحداث إلا أنني أصدق بعض ما
هنا بروايتك أن في الأمر لعنة ما، ولابد أن نتكاتف جميعاً من أجل
التخلص من ذلك الكابوس.. أتمنى فقط أن تخبرني بمجرد ظهور الشيخ
إلهامي وهذه هي أرقامي..

على الله يا أفندي.. على الله .

.. الخالق الذي تدعوه آتون لعجزنا عن تسمية أفضل..

ما خلق الملاك الثاني الذي هو الكون كان مبتجماً..

.. كان خلقه جميلاً متروكاً بإحسان فأحبه كلين له..

لرحته أراد آتون أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه..

خلق عشيته الإنسان كي يقلد حكمته الربانية وحبه الإلهي..

..سأل آتون كل ملاك في السماء ماذا يمكنك أن تهدم الإنسان الذي

سوف أخلفه ؟

فالت الشمس إنها سوف تسطع طوال النهار تغذي بالضحكة والفرحة

عقول القاتين والعالم أجمع..

ووعد القمر بأن يمنح الإنسان النوم والصمت ويضيء الليل..

تحت..

وصف «كاجمني» في اليوم الملكي أمام ولي العهد الأمير «خا أم واس» والأمير
«زنتاخ» وبدأ في المسرد:

سأقص عليك اليوم يا مولاي الأمير كيف وصل الأمير «نفر كا بتاخ» إلى
الكتاب المقدس. ولكن اعلم يا مولاي أن هذا الكتاب ينقلب إلى لعنة
مباشرة إذا أسيء استخدامه واعلم يا مولاي أنه يجب...

فأطعته الأمير «خا أم واس» في نواذ صبر.

فلتكمل يا «كاجمني» ما بدأنه من حكاية الأمير والكتاب بعد أن انضم
إليها الأمير «زنتاخ» أخي الأصغر وقائد جيوش مولاي الفرعون المعظم
رمسيس الثاني ولا تعد عليّ تلك التحذيرات التي أعلمها جيدًا فقد
أخبرتكم مرارًا ما غرضي من الحصول على تلك البرديات المقدسة .
لا تؤاخذني يا مولاي الأمير. إنها تحذيرات يجب أن أقدمها إليك حتى
أطمئن ألا يصيب أحد منا مكروه .

نظر الوزير «حور» للعجوز قائلاً:

«فلتدخل في الموضوع مباشرة يا «كاجمني».

أوما العجوز برأسه قائلاً:

«حسنًا أيها الوزير.. في صباح اليوم التالي وبعد انتهائهم من أداء صلواتهم
بعد شروق الشمس، جمع الأمير ثلاثة من كبار الكهنة ووزيره الأول
وكاهنه المجهول، وعدداً من أشجع حراسه، ودخلوا الكهف. وللوهلة
الأولى بدا الكهف ممتدًا أمامهم: فلم يتوقعوا أنه بهذا الحجم من
الداخل، واستمروا في البحث عدة ساعات حتى وصلوا أخيرًا إلى تجويف
صخري في قلب الكهف. وهناك وقعت أبصارهم على ما يبحثون عنه .

نظر إليه الأمير «مرتاج» بتساؤل قائلاً:

- هل وجدوا الكتاب يا أيها الكاهن؟

هز العجوز رأسه قائلاً:

- لا يا مولاي «مرتاج» بل وجدوا صندوقاً كبيراً من الحديد معاطاً بهالة من الضوء والذي كان يتسرب من فتحة في جدار الكهف..

- صندوق من الحديد يا «كاجمي»؟

- نعم يا مولاي الأمير.. كان صندوقاً من الحديد كما أخبرهم الكاهن المجهول من قبل فالكتاب المقدس موجود بصندوق داخل الكهف.. ولكن المشكلة لم تكن في ذلك..

نظر إليه الوزير «هور» بهدشة قائلاً:

- وما المشكلة إذن يا أيها الكاهن؟

- كانت المشكلة أن حول الصندوق ذاته كانت تزحف العنايات والعقارب بصورة لا يتغلبها عقل.. أما صندوق الحديد نفسه فقد كان معاطاً بعبة كبيرة تلفف حوله عدة لفات، وفيها خر الكهنة سجداً ونصيحوا الأمير بالابتعاد تماماً عن الصندوق، لأن ذلك قد يكون إشارة من الآلهة بعدم فتح الصندوق حتى لا يصيبه أي لعنة..

ولكن الأمير «نفر كا بتاج» لم يكن ليتراجع بعد أن وصل إلى هذه البقعة المباركة. بعد أن وجد حلم حياته يتجسد بين يديه، وقام بتوبيخ الكهنة وأصدر أوامره بقتل العنايات والعقارب مهما كانت العاقبة.. فلقد أعمته رغبته في الحصول على الكتاب المقدس بأي شكل كان.. على الرغم من إصرار حراسه على خروجه من الكهف حتى لا يصيبه أذى أو لعنة ما.

وماذا فعل الأمير؟ هل خرج وقتها؟

«يا مولاي.. كانت النبوءة تقول إنه لكي يصل الأمير إلى الكتاب المفقود عليه أن يتولى وحده تغطي الصعاب الموجودة، كما أخبره الكاهن المجهول..

وعلى الرغم من تعذير حراسه وكهنته أسئل الأمير سيفه ومعه حراسه وبدأ في قتل العنايات والعقارب حول الصندوق، إلى أن تبقت تلك العبة الكبيرة المعيطة بالصندوق.. وقتها أخذ يحاربها الأمير الشجاع بكل ما أوتي من قوة، ولكن العبة وكأنها كانت تدعم جيداً ما تحرسه ولم تكن لتتركه قط.. فاستماتت على الصندوق وبدأت في لقتال بشرسة وعلى الرغم من أن الأمير طعنها مرتين فقد كانت تقوم من الموت كل مرة.. لم تستسلم أو تهرب وتنجو بعنايتها وترك الصندوق.. بل قاومت في شراسة.. وفي المرة الأخيرة قطعها الأمير بسلاحه إلى جزئين وسط تهليل حراسه وقام بنثر الرمال فوقها حتى لا تقوم مرة أخرى..

اعتدل الأمير غام أم وامس متسللاً في لهفة:

- وهل فتح الصندوق؟ ووجد الكتاب؟

- نعم يا مولاي الأمير «غام أم واس» فتح الصندوق لكنه لم يجد الكتاب.

نظر إليه الأمير باستنكار قائلاً:

- لم يجده؟!!

- عندما فتح الصندوق وجد داخل الصندوق العديدي عدة صناديق أحدها داخل الآخر تبدأ بصندوق من البرونز ثم صندوق من خشب النخل.. ثم صندوق من العاج والأبنوس.. ثم صندوق من الفضة.. وفي

النهاية صندوق من الذهب يحتضن الكتاب المقدس.. فمد الأمير يده، واختطف الكتاب وأصدر أوامره بالرجوع إلى القصر الملكي على الفور.. وبدأت رحلة الرجوع..

لكن في طريق العودة بدأت الأحداث الغامضة تتصارع.. فقد علفت المركب في بداية الأمر في النهر وتم انتقال الأمير إلى مركب أخرى وسقط أحد الحراس في النهر وآخر أصابته حمى شديدة أودت بحياته قبل أن يعود إلى القصر..

كل ذلك والكهنة تصيب لعناتها مرًا على رأس الأمير المتصك بالكتاب وكأنه المجهول والذي بدأ هو الآخر يصيبه نوع من الهلاوس الغريبة وقتها.. وكلما حاولوا إقناعه أن ما حدث يعتبر خرقًا للطقوس الفرعونية القديمة من حفظ الأسرار المقدسة، كلما زاد تمسكًا بالكتاب..

وفي رحلة العودة رأى كبير الكهنة حلما مشؤما.. فلقد رأى كأن تحوت قد غضب غضبًا شديدًا بسبب نقل الكتاب من مضياء وقام بالشكوى إلى المعبود رع.. ودعا إلى أن يصيب جام غضبه على الأمير «نفر كا بتاح»، وأن المعبود رع قد أصدر حكمه بإمبال الأمير منبهة إهام لرجوع الكتاب إلى مكانه المقدس ولا سيحدث له ما لن يستطيع رده أو إيقافه..

قاطعه الأمير «مرتبناح» شاحبًا:

- تبًا لك أيها العجوز العرف.. اتعدتنا بكل ذلك وتريد أن يحصل مولاي الأمير ولي العهد على ذلك الكتاب المقدس.. وأن يوقظ لعنة المعبود رع؟ لو كنت مكان مولاي الأمير لقطعت رأسك في التو واللحظة..

ثم التفت إلى أخيه الأمير «خا أم واس» قائلا:

ما هو كلامي يتحقق لك يا مولاي الأمير «خا أم واس».. كل ما ذكرته لك.. فلندع الآلهة في شأنها ولنترك ما حكمت بإخفائه.

أشار إليه الأمير «خا أم واس» قائلا:

مهلاً.. مهلاً يا «مرتبناح».. الكاهن «كاجمي» لم يجبرني على شيء، بل أنا من بحثت في أنحاء الأرض عن أي شخص لديه معلومات عن تلك البرديات المقدسة، وكما أتى إلى من أفاقين حتى توصلنا أخيرًا إلى «كاجمي»، وهو لا يدفعني إلى الاستيلاء على الكتاب، ولكن هو يحكي لي ما حدث من وقائع تماثل ما يجري الآن، مع الفارق بين هدف الأمير «نفر كا بتاح» والذي دفعه للحصول على الكتاب، وهدي، أنا في نشر الخير في أنحاء مصر..

تدخل الكاهن الأعظم «نقرو» قائلا:

- ولكن يا مولاي الأمير «خا أم واس».. الكتاب معمي من أسرار خفية يا مولاي، ونخشي ألا تستطيع صلوأتنا وطقوسنا أن تفك اللعنة، ونخشى أن تتطور الأمور وتخرج من أيدينا فيحدث ما حدث مع الأمير الشرير.

نظر إليه الأمير بغضب قائلا:

- أدخلت في علوم الغيبيات يا نفرو؟ أوافق أنت في هدي؟ أتري في مولاي عدم القدرة على نشر الخير وتسلط الشر على فكري؟

تلعنم كبير الكهنة وهو يواجه نظرات الأمير الغاضبة قائلا:

- بالطبع لا يا مولاي.. أنا لا أقصد ذلك ولكن...

قاطعه الأمير «خا أم واس» في غضب قائلا:

- فلتصمت إذن.. ولتدع «كاجمي» يكمل حديثه.

قالها الأمير ثم أشار للعجوز «كاجمي» والذي تابع في هدوء:

- يا مولاي الأمير إن استمعت إلى ما سردته عليك وأتبعته قلبك فإن منزلتك سوف تصمو وترتفع كما ارتفعت منزلة الأجداد الذين ذهبوا في العصور السالفة وغدت ذكراهم خالدة لا تفنى ولا تزول.. إن جئني وأمثالي وحكاياتي ستعلم المرء كيف يتكلم.. وإذا وصلت إلى عمري وخبرتي وفكرتي ما أوصيتك به فسكون قلبك سلميًا معاني وسيسر الملك بكل ما تعمل وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمصبتها على الأرض.. فلقد بلغت العاشرة بعد المائة وأهبط على الملك ما يفوق آلائه على أجدادي ذلك لأنني تعدلت بالحق والعدل حتى شبهوخي..

أشار إليه الأمير «مريليناج» في ضيق:

- فلتكمل حديثك أيها الكاهن ولا تلغي علينا بمواعظك الدينية.

أوما العجوز برأسه وهو يكمل:

- سمطًا وطامة يا مولاي. نعود لقصتنا.. عندما رأى الكاهن الأكبر في الحلم تصوت وهو يشكو لرح من سرقة كتابه المقدس.. وأمهل الأمير سبعة أيام وإلا ستكون العواقب وخيمة. ذهب كبير الكهنة للأمير قاصيًا عليه ما رأى، ولكن الأمير في هذه الأثناء كان قد بدأ في قراءة صفحات من الكتاب وبدأ يصييه نوع التكبير.. كأننا ألهم المعظم.. أنا أستطيع فعل ما لم يقدر عليه أحد في شتى أنحاء الأرض.. وبدأ يهذي بكلام عن شيء ما يدور حول الكتاب.. ربما شيع أو شيء أسود لا يدري كنهه.. وحتى هذا الشيء كان يطلب منه في هدوء إعادة الكتاب إلى مكانه.. ولم يستجب

الأمير لأحد ولا لكبير الكهنة. وفي مساء ذلك اليوم انتحر الكاهن المجهول بقرز خنجر في قلبه كئود من اللدم..

نظر إليه الأمير بذهول قائلاً:

ماذا؟

- نعم يا سيدي.. وقرر وقتها بعض الكهنة التغلبي عن الأمير بعد نصحه بصراحة إعادة الكتاب، وحاول بعضهم سرقة الكتاب لإعادته. ولكن حرس الأمير استمادوه في بصر اللينة، ودار قتال على سطح المركب راح ضحيته خمسة رجال ما بين كهنة وحراس.. وحاول الكاهن الأكبر نصيح الأمير مرة أخرى ولكن..

قاطعه الأمير بلهفة قائلاً:

- ولكن ماذا يا مرشدي؟

- إنه جنون العظمة يا مولاي.. لم يترك الكتاب من يده حتى وصل إلى قصره. وبالطبع كانت هناك خمس ليالٍ متبقية على إصابته باللعنة.. وعندما عاد علم بوجود أول فاجعة في حياته..

ففي صباح اليوم السابق لوصوله.. لتخطب القارب فجأة بزوجته وابنه أثناء تزوجهما في قارب صغير داخل النيل مع أحد العراس.. وكان هناك من يجهر القارب إلى أسفل، وعلى الرغم من أن العديد من العراس قد قفز إلى النيل وقتها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه لم يستطع أحد الوصول إليهم وقد تأكدوا من غرقهم. بل لم يستطع أحد الوصول إلى أي من الجثث لدفعهم بعيدًا للطفوس المقدسة، مما يؤكد أن الآلهة قد صبت جام غضبها على الأمير نشرًا كابتاح..

- ولم يرتدع ذلك الأمير على الرغم من كل ذلك؟

- نعم يا مولاي الأمير.. لم يرتدع بل ظل هائلاً بهوار الشاطئ لهوياً مع حراسه لانتظار طفو جثثهم دون جدوى.. بعدها أخذ الكتاب وظل يقرأ فيه عدة سلاسم يومين متتالين لم يخرج فيها من غرقته وبجوار الباب كان الحراس دائماً ملاصقين له وعلى أهبة الاستعداد للفتك بكل من يقترب من مكان الأمير حسب تعليماته هو نفسه.. ووقتها كان الحراس يسمعون لهلاً وهو يتكلم مع شخص ما.. بل أدهى أنهم سمعوا بوضوح ذلك الشخص الجهمي ولكن لم يجرؤ أحد على الدخول إلى ممدح الأمير ودوية ما يجري بالداخل..

- وفي اليوم الخامس ماذا حدث يا «كاجمي»؟

- استمر الوضع هكذا يا مولاي الأمير «خا أم واس» يومين متتالين. وفي اليوم الخامس والأخير لعلو اللعنة فوجئ الجميع بالأمير يرتدي كامل حلة الذهبية وقد أصر على الذهاب إلى شاطئ النيل في قارب وحده إلا من حارس واحد يفود له القارب.. وذهب في نفس المكان الذي لقي فيه زوجته وابنه حنفيهما.. وألقى بنفسه فجأة في البحر.. وعيناً حاول الحارس إنقاذه ولكنه لم يستطع رفعه إلى ظهر القارب.. وكان هناك ألف يد تمسبه إلى أسفل.. حتى القارب المرافق له من بعيد حين وصل إليه لم يستطع إنقاذه ولكن استصلحوا بعد جهد إخراج جثته..

اعتدل الأمير «خا أم واس» وهو يسأل العجوز:

- ومات الأمير؟

نعم يا مولاي.. مات الأمير.. ومات معه سر الكتاب المقدس.. ومات معه سر من دفعه إلى التخلص من حياته بهذا الشكل.. وقتها كان لابد من التخلص من الكتاب الملعون، فأصدر كبير الكهنة أوامره بأخذ الكتاب وإرساله في موكب مقدس إلى مكانه الأصلي في الجزيرة حيث عثر عليه الأمير في حين تولى المعبد الجنائزي استكمال إجراءات دفن الأمير تفركا بتاح.. واستمرت عملية التحنيط يومين حتى وصول جلالة الملك والده والذي علم بكل ما حدث..

ولكن قبل البدء في المراسم الجنائزية، عاد الموكب مرة أخرى إلى الكاهن الأكبر بمفاجئة غير متوقعة.. فقد احتفت «الجزيرة» ولم يعد لها أي أثر وكأنها لم توجد يوماً..

إتسمت عينا الأمير وهو يقول في ذهول:

- ماذا؟ أين ذهبت الجزيرة بحق الآلهة؟

- لا أحد يعلم يا مولاي إن كان الكهنة قد ضلوا طريقهم في النيل.. أم بحثوا في اتجاه آخر.. فقد كانت الجور تشابه كثيراً في هذه الأنحاء.. ووقتها وقع في يد كبير الكهنة، فكيف سيتصرف في الكتاب المقدس؟

بادره الأمير «مرتيتاح» قائلاً:

- فليحرقه.. !!

- لا يا مولاي الأمير «مرتيتاح».. في بداية الأمر فكر في ذلك جدباً، ولكن الخوف من غضب تعوت جعله يستبعد تلك الفكرة، ثم أشار عليه أحد الكهنة بدفنه في مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» سرّاً، بدلاً من احتفاظهم بالكتاب المقدس مما قد يغضب الآلهة مرة أخرى..

وقد فكر الكاهن الأكبر جدياً في الأمر ووجد أن تلك الفكرة هي الأنسب.
والتفق مع الكهنة على وضع الكتاب في صندوق من البرونز والعاج داخل
مقبرة الأمير «نفر كايتاح» مع إبقاء الأمر سرّاً بين كهنة المعبد الجنازي..

وعند سؤالهم عن الكتاب إتمق الجميع على أنه قد تم إعادته إلى المكان
الذي وجد به.. وذلك خوفاً من إقتحام العامة للمقبرة للحصول على
الكتاب المقدس..

- ولم دفن الكتاب في مقبرة الأمير؟

- نعم يا مولاي الأمير.. وظل الأمر سرّاً توارثه فقط البعض من كهنة
المعبد الجنازي رفيعي الدرجات، حتى وصل الأمر إليّ، وظللت محتفظاً
بهذا السر.. ولكي كنت أتمنى أن أضع حكمي وخبرتي تحت يديّ حاكم
عادل.. يريد أن يظهر تعاليم تعوت المقدسة للتور، وما أنت يا مولاي
الأمير تفت أمامي لأضع سري بين يديك وأنتمك على أسرار الآلهة، بعد
أن وعدتني يا مولاي..

التفت الأمير «مرنبتاح» إلى أخيه الأمير «خا أم واس» قائلاً:

- مولاي الأمير دعني بحق الآلهة أتولى هذا الموضوع، فالحل الوحيد
لإخماد هذه اللعنة إلى الأبد هو حرق الكتاب المقدس.. لا أحد يضمن من
ستصل يده إلى هذه الأسرار المقدسة..

- كلا بالطبع يا «مرنبتاح».. سأتولى أنا بنفسي تأمين رحلة الكتاب المقدس
لأحفظ في خزانتي الخاصة، ولن تمتد إليه يد غيري ولن يصل إليه أي
شخص حتى بعد مماتي.. وأنت يا «كاجميتي» لك ما طلبت.. وسوف ترى
بعينك تعاليم الكتاب المقدس وهي تقتصر للغير ونعم السلام في شقي

إنهاء مصر.. وأتمنى أن يطول لك العمر لتروى التعاليم المقدسة تسرى في
أنحاء البلاد.

في هذه الأثناء كان «خاي» وأوزير لا يزالان يراقبان ما يحدث من مغيابهم
السري، وعندما هم «خاي» أن يتكلم أسكته «أوزير» ومسحه من يده إلى
خارج المرداب وعندما وصلا للغرفة هتف به أوزير:

- «خاي» لقد أخبرتك ألا تنفوه بأي كلمة، يكفي أني رافقتك إلى هنا تركاً
أبي الذي يلج عليّ في كل مرة أن أحضر معه ذلك الاجتماع، ما بك ولماذا
تهب مشدوهاً هكذا؟ ماذا كنت تريد أن تقول؟

- لا أدري يا «أوزير».. لا أدري.. ولكن هذا الموضوع برمته لا يروق لي..
فلست مرتاحاً أبداً لنهاب أبيك إلى تلك الرحلة.

- أي رحلة تقصده؟

- تلك الرحلة التي يفتوها أبيك للذهاب إلى قبر الأمير «نفر كا
يتاح» ليحصل على الكتاب المقدس.. ألم تسمع بأذنك ما قاله المعجوز
وما حدث لذلك الأمير؟

- نعم لقد سمعت ما قاله المعجوز ولكن ماذا في ذلك؟ إن أبي يختلف عن
هذا الأمير، فجميعنا نعلم ما هي دوافعه، والفرق واضح بين طمع ذلك
الأمير لشخصه وبين أبي الذي..

قاطعه «خاي» بقلق:

- أعلم دوافع أبيك ونيته الطيبة، ولكن على الرغم من ذلك أنا لا أؤيد
فكرة حصول والدك على الكتاب يا أوزير..

رست «أوزير» على كتف صديقه قازلاً:

نمر الأحداث سريعاً وبشعر جاسر بأنه قد دخل كلياً في هذه المغامرة ومحاولة فهم ما يحدث حوله..

لم تسفر محاولات قراءته على الإنترنت أو اطلاعه على بعض الكتب المصرية القديمة على موضوع تحوت أو الإله تحوت بأي جديد، ولذلك عندما ذهب إلى المكتبة العامة، وبعد سؤاله لأمينة المكتبة التي أشارت إليه ببرود إلى أحد الأرفف حيث وجد كتاب معجم الحضارة المصرية القديمة لجورج بورنر وظل يبهت حتى وجد صفحة واحدة تشير إلى الإله تحوت.. فقرأ عدة مسطور منها دؤناً في ورقات كانت معه..

((ونظراً لمواهبه العديدة في جميع المواحي فقد جعلته الأساطير دائماً كاتم سر الآلهة، فكان الحكيم والمساعد الذي لا يستغنى عنه في أي عمل إلهي، بيد أن له إمتيازات هامة أخرى، فقد جعلته براعته في الهرم وعظيمة والألفاظ ساحراً مرمياً يستطيع تحويل أي شيء يريد إلى أي صورة يشاءها، وذلك لمعرفة الخلاقة، وهذه الموهبة هي التي تفسر السبب في أن علماء اللاهوت يصنف كانوا يعتبرونه لسان بياض أو أداة التعبير الشفهي التي أعطى بها ذلك الإله الوجود للكون، وتقول بصوص أخرى تشير على نفس الفكرة أنه قلب رع وحوهر الفكر الخلاق..

ولما كان تحوت هو إله الكلمة الإلهية والكتاب الأعظم، فقد صار حامياً السحرة الذي يعرف جميع الصوص اللازمة لشفاء المرضى، وقد اشتهرت مكتبة عاصمته هرموبوليس بتلك النصوص..

وتحدثت بعض الأساطير عن أماكن الكتب المربة التي توجد بها الوثائق المقدسة التي كتبها الإله بخط كهانه .

- لا تقلق يا «خاي».. سوف ترى أن والدي سينشر السلام في مملكته بعد حصوله على تلك التعاليم.. وسترى كيف ستكون مصر حتى من بعده.. عندما أصبح ملكاً بعد والدي بعد عمر مديد.. ستري كيف سأحتفظ بتلك الأسرار السحرية.. وإلى ذلك العين سأفكر جدياً في تحويلك إلى طائر لترحل عني وإرناح منك، ماذا بك؟ لماذا تنظر إلي هكذا؟ أنا أمزج معك فلن أقدر على تحويلك يا «خاي» فأنت صديقي الوحيد؟

- لمست قليلاً من ذلك يا أوزير..

- فلماذا إذن تلك النظرة المهيبة في عينيك؟

نظر «خاي» لصديقه نظرة يملؤها القلق والعيبة وهو يقول:

- لاني أشعر أن ما أراه الآن قد حدث لي من قبل، ليس ذلك فعصم بل إلي أعلم خاتمته أيضاً، ولكني أشعر كما لو كان ذهني مشوشاً..

لم يدر «خاي» سر ذلك الشعور الغريب الذي اجتاعه وهو ينظر إلى صديقه «أوزير» بأنه لن يكون ملكاً أبداً، وأن والده الأمير «خا أم واس» لن يجلس على عرش مصر يوماً ما..

ولكنه أطبق فمه ولم يهزبه أبداً..

* * *

وتصف قصة ساتي وهو ولي عهد رمسيس الأمير «خا أم واس» عملية البحث عن كتاب تحوت الإلهي والذي يهب من يحدده قوة السيطرة على الأرض والسماء ومناطق الجحيم والأحداث المعجزة التي أصابت كل من دفعه سوء حظه إلى محاولة البحث عن ذلك السر الخطير...)).

أغلق هنا جسر الكتاب قائلاً في نفسه إن الموضوع جدي فعلاً. فعلى الرغم من عدم تصديقه لبعض الفرضيات إلا أن ذلك لا يمنع من وجود لعنة ما. ولكن هل كل ذلك بسبب أن البعثة اكتشفت مقبرة كاهن ما كان مسؤولاً عن تلك البرديات التي تحمل الكتاب أم ماذا؟

تذكر أيضاً ما خطه عن قصة ساتي.. فظل يبحث على مدار الساعة بمساعدة أميلة المكتبة، حتى وجد ما كان يبحث عنه في نشرة دورية قديمة تتحدث عن أخبار السحر والمأزنيات في مصر الفرعونية..

فالأسطورة تروي قصة الساحر مي «أوزير» وهو ابن الأمير ساتي (خا أم واس)، ابن الملك رمسيس الثاني.. والتي تعتبر من أهم قصص السحر في مصر القديمة وأكثرها تشويقاً. وقد كتبت هذه القصة بالخط الديموطيقي على بردية تعود إلى العصر اليوناني وهي معروضة بالمتحف البريطاني.

لا يدري جاسر وقتها لماذا بدأ قلبه في الضيق سريعاً دون سبب مفهوم وهو يقرأ تلك السطور..

((وتحكي القصة أن روحه الأمير ساتي ظلت فترة غير قادرة على الإنجاب وبعد فترة من العلاج بالوصفات السحرية أنجبت روحه ساتي له ابناً اسمها سي-أوزير، أي ابن أوزير..

فرح ساتي بالطفل الوليد واهتم برعايته وتربيته وتعليمه واكتشف ساتي أن هذا الطفل يمتلك قدرات تفوق قدرات أي طفل آخر في مثل سنه.

وفي يوم من الأيام جلس ساتي أو الأمير «خا أم واس» مهموماً، فقد سمع بأن هناك ساحراً جدياً أتى إلى قصر ملك مصر، ومعه رسالة مغلقة وتحذري كل سحرة مصر إن كان منهم من يستطيع قراءة الرسالة وهي مغلقة، ويهدد الساحر الحبشي بأنه إذا لم يظهر في مصر من يستطيع قراءة الرسالة وهي مغلقة فيقوم باختطاف ملك مصر وأسرته في الحبشة.

كانت تلك طامة كبرى، فالساحر الحبشي جاء إلى مصر بالسر، ولن يستطيع أن يوقفه إلا ساحر أقوى منه، ولكن ساتي بكل ما لديه من معرفة بعلم السحر لم يكن يمتلك القدرة على السيطرة على الساحر الحبشي.

ولتها كل سي-«أوزير» ما زال صبيّاً، عندما حدثت تلك الواقعة وعندما علم بأنها هي سبب حزن أبيه فاجأه بأن أعلن قدرته على قراءة رسالة الساحر الحبشي وهي مغلقة وأنه مستعد لقبول أي تحدي يأتي به الساحر الحبشي.

وأخبر سي-«أوزير» أباه ساتي بأنه عاش من قبل على أرض مصر على هيئة كاهن من كهان الإله تحوت وحفظ تعاويذه الخاصة، وأنه قام بحماية مصر من شر هذا الساحر الحبشي في زمن سابق (منذ ١٥٠٠ سنة)، وأنه عاد الآن مرة أخرى إلى الحياة بأمر من تحوت لكي يحمي مصر مرة أخرى من ذلك الشر العظيم، وأن تلك هي المهمة التي جاء من أجلها إلى هذه الحياة.

استطاع بالفعل سي-«أوزير» أن يقرأ الرسالة المغلقة واستطاع أن يمنع تهديدات الساحر الحبشي بخطف ملك مصر وأخذة أسيراً إلى الحبشة

فاستمر الساحر الحبشي في تحديه لحررة مصر، وفي كل مرة كان سي-
«أوزير» يوقف سحره الأسود ويتفوق عليه ويحمي مصر من شروره .

فقد تحدى الساحر الحبشي سحره مصر بأن أشعل النار في قصر الملك فقام
سي- «أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت الأمطار تسقط ونظمين النيران، ثم
تحدى الساحر الحبشي المصريين بأن حمل سحناً كثيفة سوداء تتجمع فوق
قصر الملك، وفجأة أطلعت الدنيا ولم يستطع أي شخص رؤية أي شيء
حواله، فقام سي- «أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت السحب السوداء
تشتت وعاد النور لمصر مرة أخرى .

ثم تحدى الساحر الحبشي المصريين بأن ألقي مجموعة من العصي على
الأرض فتحوّلت إلى حيّات، فقام سي- «أوزير» بإلقاء حزامه على الأرض
وفراً تعاويذ سحرية فتحوّل الحزام إلى ثمان ضخم التهم أفاعي الساحر
الحبشي .

ولم يستسلم الساحر الحبشي، وإنما ألقي تمويذة فأتى بمقصورة حجرية حسم
بداخلها ملك مصر وغزله عن السماء وعن شمس، فقرأ سي- «أوزير» تعاويذ
سحرية أتت بقارب سماوي حمل ملك مصر إلى السماء وأبعدته عن مقصورة
الساحر الحبشي الحجرية .

وعند ذلك أدرك الساحر الحبشي أنه مهروم لا محالة، فقرأ تمويذة لكي يجعل
نفسه خفياً ويستطيع الخروج من مصر وهو في هذه الحالة من الخفاء .

ولكن سي-«أوزير» قرأ تمويذة سحرية جعلت الساحر الحبشي يظهر للعيان في
شكل طائر ووقع فريسة لأحد الطيور الجارحة .

بعد القضاء على الساحر الحبشي وإبطال سحره، اختفى سي- «أوزير» فجأة،
«عاد إلى العالم الذي جاء منه، فقد أتى من مملكة تحوت في مهمة محددة
هي حماية مصر من شر الساحر الحبشي، وبعد أن انتهت مهمته عاد من حيث
أتى .

حرس سائي لاختفاء سي- «أوزير»، ولكن بعد فترة علم أن زوجته حامل،
ولما أنجبت ولداً، أسماه «أوزير» على اسم الساحر المبعوث من مملكة
تحوت لإيقاد مصر...)) .

عظيم جداً.. مجموعة من التفاريف توضع في كتاب تاريخي..

هذا ما قاله جاسر لنفسه وهو يقفل الكتاب ويقوم ليعيده إلى مكانه،
ولكنه شعر لأول مرة في حياته وكأن لوحاً من الثلج اخترقه.. فانتابته
نفس القشعريرة التي أصابته منذ أن كان في زيارة للمصمعة النفسية
وشعر بالقباض في قلبه بلا أي مبرر، فترك المكتبة سريعاً إلى الخارج
لئلا ينسب بصرته بعد أن كان يشعر بأن هناك من يكتنم أنفاسه .

كان آدم يستدعي أحد الجرسونات في "الكافيه" المملوك له، ويطلب منه
أربعة فناجين من البن المخصوص لجاسر وله ولترأشد ولماجد الذي كان
يقرأ في الأوراق التي دونها جاسر أثناء وجوده بالمكتبة.. أما متى فاعتذرت
عن الحضور معهم في تلك الأمسية لمرض والدتها..

كان النقاش لا يزال يدور حول ما مرَّ من أحداث منذ لقاء جاسر وراشد
واندهاش الأخير من أسلوب جاسر حتى في استدرأج خطيبة أحمد
للحصول على تلك المعلومات..

نظر راشد لجاسر الذي أطرق برأسه مفكرًا وهو يقول له:

- نعم.. أشعر بما تفكر فيه يا جاسر.. ولكن أنت تبحث عن سر اللعنة أو
كمية إصابة الجميع بتلك اللعنة، والمفترض أننا تبحث أصلاً عن تلك
الأثار المجهوية.

- لو علمت كيفية إصابتهم باللعنة فسيؤدي ذلك إلى كشف اللغز
بأكمله يا راشد..

نظر ماجد لجاسر قائلاً:

- أنت لا زلت مُصراً يا جاسر على وجود تلك اللعنة الغير مفهومة.

- أما زلت غير مقتنع بأنها كذلك حتى بعد أن جعلتك تقرأ تلك المخطوط
التي دونتها من المكتبة، وكل ما ذكرته لك؟

هتف ماجد مستنكرًا:

- أية مخطوط؟ أنت تكتب كلمة أساطير قبل كلماتك، وأنا مددهش من إنك
تصدق تلك الخزعبلات.. من ذلك الرجل الذي يعجب الملك في مقصورة
ثم يأتي الكاهن من زمن مضى وهو متخف في صورة ابن الأمير.. حتى
الأساطير يا جاسر لها حد مقبول.

- أنت حُرٌّ في رأيك ولكني مُصرٌّ على ما أشعر به.. فلو قلت لك ما أشعر به
فلن تصدقني.

أنت تسيطر وراء سراب.. وأنا لذي العديد من الأشياء الهامة التي أقوم بها
في حياتي غير البحث عن سر لعنة ما.. أكمل أنت كما تشاء ولكن لا
تطلب من الجميع تصديق هذه الخزعبلات.

- خزعبلات؟

هتف ماجد غاضبًا:

- نعم خزعبلات.. وأنا لست مهتماً بالأثار ولا باللعنة ولا بأي شيء إلا
بعملي فقط، وبمناسبة عملي نسيت أن أخبرك.. سأسافر غداً في دورة
لمدة شهرين إلى قطر..

- وهل تذكرت الآن أنك مسافر؟!

- بالفعل لقد تذكرت الآن، وبعد إنكما سأضطر للمغامرة الآن..

وما لبث أن أخذ هاتفه من على المنضدة وغادر دون حتى أن يحتسي
قهوه.

فالتفت راشد لجاسر مندهشًا:

- ما الذي حدث لما جد؟ منذ متى كان يتعامل بتلك العصبية؟

- لا أدري يا راشد.. لا أدري.. ولكن في الفترة الأخيرة قد أصبح عنيدًا جدًا
ويتحدث وكأنه في ضيق بسبب هذا الموضوع.. أو ربما لسفر خطيبته معي
للصعيد دون إذنه حتى.. ولكن لا أجد مبررًا لضيق أفقه إلى هذه الدرجة.

- قلندعه في عمله ولتدع متى في عمله أيضًا، وإذا احتجت لأي شيء
أخبرني فقط.. يبدو أننا سنتشارك هذه المغامرة سوياً.

هتف بهم آدم:

- وأين؟ لماذا تنسوتني دائماً..

ابتسم جاسر وهو يربت على كتفه قائلاً:

- لا تقل هذا يا آدم أنت قبلنا في هذه المغامرة.. بالمناسبة يا راشد كنت

أريد أن أستفسر على شيء بخصوص أحمد..

- وما هو يا جاسر؟

- عندما قمتم بتفتيش شقته ألم تجدوا هناك أي أثر للبرديات أو الصندوق أو أي شيء قد يفيد القضية؟

- لقد بحثنا أكثر من مرة ولم يكن الهدف من التفتيش الصندوق أو البرديات ولكن كان الهدف العثور على أي إشارة أو دليل قد يدل على علاقته بحدث القتل وبالتالي هو بريء من وجهة نظرنا..

ونظر راشد في ساعته وتناول هاتفه من على المنضدة قائلاً:

- ولكن اسمعوا لي أن أعود إلى عملي ولنأتى بعد الغد هنا كما حدثنا.

أشار إليه جاسر وهو يهبط ببدونه ليغادر قائلاً:

- فلنأخذني معك.. أيضاً.. فأنا متعب ومجهد وأود أن ألقى ماجد قبل نومه لأعلم سر غضبه، أتمنى فقط أن أجده مستيقظاً..

غادر الاثنان بعد أن ودعا آدم، أما جاسر فطوال الطريق لم ينصت إلى راشد الذي يتحدث عن أمور البلد والعمل والضيق المتواصل الذي يتعرض له.

لم يكن ليقف أحد عن تلك الفكرة المجنونة التي طرأت في رأسه.. فقد قرر أن يبحث في شقة أحمد ربما وجد شيئاً ما أغفلته المباحث في أثناء بحثها.. كان يشعر أن هناك شيئاً ما داخل شقة أحمد يناديه هو..

* * *

وفي صباح اليوم التالي، وصل جاسر بصعوبة إلى العنوان المقصود الذي ظل يسأل عنه حتى وصل أخيراً إلى حديقة الفسطاط حيث تقع الشقة في إحدى تلك البيوت العشوائية المقابلة لها من الجهة الخلفية من ناحية مصر القديمة في الطريق المؤدي إلى السيدة عائشة.

فقد كان أحمد يسكن ببيت قديم في الطابق الأخير، وعندما وصل ظل يلف حول المنزل القديم حتى تأكد أن لا أحد يتبعه.. ثم صعد السلالم سريعاً حيث كان أحمد يقطن في الطابق الأخير الذي كان عبارة عن غرفتين ملحق بهم مطبخ بسيط وحمام وأمامه المطبخ بأكمله، وفدئراصت عليه الكثير من اللعب الصفيح الصلبة والعديد من الملابس الموضوعة على حبال كثيرة..

كانت الشقة مغلقة بالطبع فعاول جاسر فتح الباب إلا أنه لم يستطع، فعاول أن يدفع الباب بكتفه دفعة قوية، كان الباب ضعيفاً فما لبث أن فُتح على مصراعيه ببساطة.. لم يلفت ذلك انتباه جاسر كثيراً، ولكن ما لفت انتباهه أن الشقة كانت مقلوبة رأساً على عقب، وكأن هناك من بحث في كل شبر فيها، حتى إنه خلع البلاط من مكانه دون جدوى.. شعر جاسر باليأس عندما رأى ذلك، ولكنه تيقن أن من فتش بهذه الطريقة

كان يبحث عن شيء محدد، وبالتأكيد لم تكن المياحت صاحبة التفتيش الدقيق هذا..

كانت الشقة من الداخل عبارة عن صالة بسيطة تراصت فيها عدة كراسي صالون قديم مقلوبة رأسًا على عقب.. وفي نهايتها مر حوالي أربعة أمتار عن جانبيه غرقتان صغيرتان أحدهما وضعت فيه غرفة نوم بسيطة تم تفتيش كل ركن فيها حتى مرتبة السرير والبولاب الذي برزت أحشاؤه من الداخل وتناثرت بقية الملابس على الأرض..

أما الغرفة الأخرى المقابلة كانت فارغة تمامًا إلا من «سجادة كبيرة فرشت على الأرض، ولكن ما أثار انتباه جاسر أكثر هو وجود بقع دموية على الجدار بارتفاع أكثر من متر ونصف.. كانت بقع دائرية على طول الأربع جدران.. تذكر أحمد وهو يغيره عن ذلك الشيء الأسود الذي في رأسه وقام وقفاً بخبط رأسه عدة مرات في الحائط.. تغيل أحمد وهو يقوم بخبط رأسه في أماكن تلك البقع التي على الجدار.. بنفس طول أحمد..

وبنهاية الممر كان الحمام البسيط.. مجرد غسالة قديمة وعليها العديد من الملابس المتسعة داخل أحد الأطباق البلاستيكية الكبيرة.. وقد علق على الحائط مرآة صيدنة أعلى حوض تراصت عليه قطع من صابون بالية وفرشاة شعر وعدة ماكينات «حلاقة قديمة..

وفجأة لمح جاسر خيال فالتفت مسرعًا وقد اقشعر جسده ولكنه لم يز شيئًا، فخرج جاسر من الحمام وهو مقبوض القلب بدون سبب.. هل ما تخيله حقيقة؟ فقد كان ينظر إلى الحوض ويعركه لا إرادية فتح صنبور المياه، ولكنه عند نظره إلى المرأة الصديانة لمح وكان هناك قطة تنظر إليه

في نفس المرأة.. ولكنه التفت خلفه فلم يجد شيئًا بطبيعة الحال.. اندهش من قلقه وتوتره دون سبب..

بدأ جاسر في البحث في كل جزء في الشقة دون جدوى.. في كل مكان حتى ما لم يخطر ببال أحد، حتى أنهكه التعب بعد ساعة تمامًا من دخوله الشقة فجلس على أحد الكراسي الخشبية في مدخلها..

اندهش جاسر من تلك الرائحة النفاذة الموجودة في الشقة وكأنها تشبه بول القطط.. هل يكون ما رآه في المرأة حقيقة؟ هنا زال توتره لإدراكه أنه ربما كانت هناك قطة ما تدخل من نافذة قريبة أو أي مدخل آخر..

كانت تلك الرائحة تسيطر على المكان وكان يشعر كأنها تزيد شيئًا فشيئًا، ففتح جاسر باب الشقة ليسمح بدخول هواء السطح داخلها حتى يلتفس ويعاود البحث مرة أخرى.. لكن دون جدوى فما زالت تلك الرائحة تزداد..

خرج من الشقة ليقف بجوار سور السطح الذي يطل على تلك الببوت القديمة التي وقفت متراصة كقلب الثقاب تمامًا، دون أي تنظيم أو تخطيط..

اقترب من شجرة ياسمين مزروعة في حوض كبير تراصت على جانبيه العديد من قوالب الطوب.. اقترب أكثر وامتدت يده لتقطف زهرة ياسمين.. ولكنه توقف فجأة وهو يتذكر جملة أحمد الغربية.. جملة دقت في رأسه كأجراس الكنائس في صلوات الأحاد.. (عقابي عند الياسمين.. نعم مصيري عند شجرة الياسمين).. هل يكون ما يبحث عنه جاسر مخبأ تحت شجرة الياسمين؟

عاد جاسر للشقة بصراحة ليعتد في أنعائها حتى وجد تحت المنضدة فأمنًا صغيرة.. وعاد إلى شجرة الياسمين ودقات قلبه تتصارع أكثر فأكثر. فربما كان على صواب..

كان من حسن حظ أن الشجرة كانت بجوار جدار جانبي فلن يلاحظه أحد عند الحفر.. فبدأ في الحفر قليلاً ولكنه لم يجد شيئاً. استمر في الحفر أكثر فأكثر، فلم يكن يتوقع أن كمية الطمي كانت لأكثر من نصف متر، فظن يعفر إلى أن اصطدمت الفأس في جسم ما..

ارتفعت دقات قلب جاسر.. فترك الفأس وحفر بشدة يديه أكثر وأكثر ليجد صندوقاً ابنوسياً مغلفاً بكيس من البلاستيك.. حاول شد الصندوق ولكنه كان عالقاً في الطين.. بذل جهداً آخر حتى أراح الطين كله فأصبح الصندوق في متناول يديه.. رفعه من الأرض، كان وزن حوالي الخمسة كيلو جرامات، وقد حفرت كتابة هيروغليفية على كافة جوانبه..

كان يشعر بشيء ما جائئ على قلبه ولكن كان في منتهى السعادة لثوره على دليل ما على أنه يسير في الاتجاه الصحيح.. فآخذ الصندوق وتأكد أن أحداً لا يراقبه ودخل مرة أخرى إلى داخل الشقة ثم وضعه على منضدة خشبية كانت مقلوبة.. وحاول فتح الصندوق الذي فُتح سريعاً.. ولدهشته وجد برديتين في الصندوق مغلفتين بملف بلاستيكي وورقة مكتوب عليها:

"الشيخ الهامي وأحد..

مجندي معاذ اثنين.."

سورة من شكك مرسل من شخص أجتي يدعى جيمس إدوارد إلى أحمد بدراج شهرين ماضيين قيمته خمسون ألف جنيه.. وخنجر غريب الشكل..

اندفع جاسر من تلك الورقة، ماذا تشير إليها؟ وما المقابل الذي حصل عليه جيمس إدوارد من أحمد؟ أمسك البرديتين اللتين غلفتا بعناية داخل ملف بلاستيكي، وحاول أن يتخيل كم روح أزهقت بسبب ما هو مكتوب في تلك البرديات.. كان يتمنى الآن لو علم تلك اللغة.. ولكنه كلما ولعت عيناه على أحد الرموز المرسومة كانت تتسارع دقات قلبه دون أي سبب مفهوم..

وضع البرديات داخل الصندوق مرة أخرى.. وحاول أن يرتب الأحداث الماضية ولكنه عجز عن ذلك، وكان هناك من يدفعه لطريق آخر.. اندفع جاسر من شعور ما سيطر عليه في ذلك الوقت، ولكنه أغلق الصندوق الأبنوسي سريعاً عندما شعر أن هناك حركة ما تأتي من السطح..

كان جاسر يشعر أنه شخص ما آخر. كان يستمد قوته من شيء لا يعرفه كان متوقفاً في بداية بعثه، ولكنه الآن يشعر بالقوة دون سبب في عضلاته ورأسه.. بل وتفكيره أيضاً.. ألقت إلى جواره فوجد قطعة خشبية يبدو أنها كانت مسنداً لكرسي خشبي، فأخذها في يده ووقف وراء باب الشقة الذي لا زال مفتوحاً على مصراعيه..

كان يشعر أن هناك من يسير بهدوء في السطح، وما لبث أن وجد باب الشقة مفتوحاً فبدأ يقترب أكثر فأكثر ومد رأسه ليدخل إلى الشقة

يهود.. وسار بخطوات حذرة حتى أصبح أمام جاسر تمامًا.. ولدهشه جاسر وجد أنه لا زال يمسك بالفنجر في يده والذي وجده بداخل الصندوق.. وصعبه داخل جيبه الحلى ورفع اليد الخشبية ثم هوى به فجأة على رأس الغريب الذي سقط مغشيًا عليه مصرخًا في دمانه.

اقترب جاسر منه وبدأ في تفتيشه سريعًا. ولكنه لم يجد في أوراقه ما يشير إلى شخصيته. وأخذ يتفحص في ملامح الرجل.. كان وجهه قامي الملامح يعمل نقشًا على رسقه على صورة رمز الحياة الفرعوني. كان طوله قرابة المترين إلا عدة سنتيمترات.. ذو عضلات ممتلئة.. مما يشير إلى أنه مصارع أو شيء ما من هذا القبيل.. كان يشعر وكأنه ليس مصارعًا خاصة مع ذلك الشعر البني الذي يغطي رأسه..

كان جاسر يقاوم فكرة طرأت في رأسه لماذا لا يقوم بنحر الغريب.. بل واقترب بالفنجر من رقبته.. كان يشعر أنه تحت تأثير مغرر ما.. تصاعدت الرغبة في رأسه أكثر فأكثر.. ولكن الغريب بدأ في الحركة البسيطة مستعينًا وعيه.. فرفع جاسر الفنجر سريعًا، ووضع في الصندوق الأبنوسي وأغذته ونزل سريعًا إلى العارة التي لم يلتقطه فيها أحد. وكان يشعر فيها وكأن شياطين الجحيم تطارد..

لم يذهب مباشرة إلى سيارته التي ركنها في الشوارع الرئيسية بل ظل يلف حول المنطقة حتى يطمئن أنه ليس مراقبًا.

ذهب سريعًا إلى سيارته وأضعا الصندوق الأبنوسي في الحقيبة الخلفية مغطيًا إياه بغطاء السيارة وقادها مسرعًا متجهًا إلى منزله..

كان يشعر بالاختناق دون أن يدري لذلك سببًا.. كان يتصبب عرقًا.. لا يعرف كيف واثته الشجاعة ليقتحم شقة ويبحث عن شيء ما ويجده ويصرع رجلًا في ضعف حجمه، بل ويكاد أن يقتله دون سبب مفهوم..

وعندما دخل إلى شقته في تلك الليلة حالكة السواد لم يجد كهرياء ملأزل. فلقد كان النيار منقطعًا، فسب كهادته عندما ارتطمت قدمه في شيء خشبي على الأرض.. وقد دهش من تلك الرائحة التي تشبه بول القطط التي لا زالت في ملابسه.

اشمتر أكثر من نفسه، فوضع الصندوق الأبنوسي على المنصدة الزجاجية في غرفة الاستقبال. بعد أن أغلق باب شقته من الداخل بالمزلاج.

كان ما جرى له خلال الماعات الماضية يجعله يطلب الموت وليس النوم..

خلع ملابسه سريعًا وألقاها بإهمال على أول مقعد.. كانت دقات قلبه تتسارع كلما اقترب من غرفته بدون سبب مفهوم..

على ضوء خافت لجواله أضاء له الطريق إلى مقدمه.. تسارعت دقات قلبه أكثر فأكثر دون أي سبب واضح.. وأمام سريره تمامًا كانت هناك مرآة زجاجية تعكس صورته الشبهية في تلك اللحظة وهو جالس على سريره يرفع لعليه. وأمامه مقعد تراصت عليه ملابس النوم.. قعد يده إليها وارتداها بدون اكتراث.. واستلقى على السرير طاليًا النوم العميق.. وعلى الضوء الخافت المنبعث من هاتفه خُجل إليه وهو يسحب الغطاء عليه أن هناك شيئًا ما فوقه تمامًا.. على العارضة الخشبية لسريته.. كان

شيئًا مهمًا تنعكس صورته في المرآة أمامه.. رفع رأسه فجأة فلم يجد شيئًا.

لهن تلك الهواجس التي تكاد أن تفتك به في الساعات الأخيرة. واستلقى على جنبه الأيسر كعادته.. تصاعدت الأنفاس.. وشعر بالاختناق.. وتسارعت دقات قلبه أكثر.. هاكثر.. دون أي مسبب مفهوم حتى كاد أن يفشى عليه. ولكنه كان يغمض عينيه بكل ما أوتي من قوة. عصبوص الأنفاس حاليًا أصبح مسموعًا بصورة مرعبة.. ولكنها لم تكن أنفاسه هو.. بل ما كان في هذه اللحظة يرقد خلفه تمامًا ويستخره فقط أن يلتفت ناحيته.

بعد هذه الليلة بأسبوع كان جاسر يجلس مع راشد وأدم في مكان لقائهم المعتاد.. كان زائع النظرات بشكل ملفت. وقد انشعر السواد تحت عينيه وكأنه لم يتم منذ شهر. وقد برز ذلك أنها قلة نوم فقط، ونظر إلى راشد وقد تذكر شيئًا قاتلًا:

- راشد أريد منك خدمة أخيرة. هناك أحد الأشخاص الأجانب الذي أريدك أن تتحرى عنه، فربما كان له دخل في الموضوع.
- من ذلك الأجنبي الذي تحدثت عنه. وكيف توصلت إليه يا جاسر؟
- لا وقت للأسئلة يا راشد، لقد تذكرت اسمه عندما كنت في مقابلة مع خطيبة أحمد. التي قالت لي اسمه ولكنني نسيت حتى تذكرته بالأمس فقط.. هل في ذلك مشكلة لديك؟

نظر إليه راشد وقد أدهشته تلك العصبية التي يتحدث بها:

- ماذا بك يا جاسر؟ إنني أشعر وكأن هناك شيئًا ما يشغل بالك في الليلة الأخيرة.. فلتدعك من هذه القصة. ولتلتظر التعرّيات..

قاطعه جاسر في حدة وهو يناوله اسم الشخص الأجنبي الذي وجده على صورة الشبك:

- لا لن أنتظر شيئًا. أريد فقط التخلص من هذا الموضوع.. هل ستساعدني أم لا؟

تناول راشد الورقة من جاسر الذي يبدو أن شيئًا ما يلقده أعصابه بهذا أشد توترًا وعصبية ونظر في الورقة قاتلًا:

- جيمس إدوارد.. ساتنري لك عن هذا الاسم. وأتمنى أن نصل إلى شيء ما بدلًا من الهواجس التي تكاد أن تقضي عليك. فلقد أصبحت شديد العصبية في الفترة الأخيرة.

- فلتعزلني على حدتي يا راشد. إنها فقط قلة النوم في الفترة الأخيرة. بسبب تلك الكوابيس التي أصبحت تراودني..

- لا عليك.. ماذا تريد أن تعرف عن صاحب هذا الاسم؟

- كل ما تستطيع معرفته عنه يا راشد.. جلسيته.. إقامته.. هل لازال في القاهرة أم سافر إلى بلدة؟ مواعيد سفره من وإلى مصر.. ما طبيعة عمله تحديدًا؟ فترة مكوثه في البلاد.. ومتى كان هنا آخر مرة؟

- إن ذلك يستلزم بعض الوقت..

- لك كل الوقت يا راشد.. لك كل الوقت.

بدا جاسر شاردًا متمبًا مما أقلق آدم فسأله:

- جاسر.. أتعاني من خبط ما؟ هل أنت مريض؟

- قلت لك إنها قلة النوم.. أنا تقريبًا لا أنام.. وإذا نمت ننتابي تلك الكوابيس المرعبة، التي تأتيني في شكل مخيف..

نظر إليه راشد متمسكًا؟

- كوابيس؟

سأله آدم بدهشة:

- ما معنى أنها تأتي في شكل مخيف يا جاسر؟

- أنا أعاني من رهاب الأماكن المغلقة، وكذلك من المياه، أحيانًا أشعر وأنا نائم وكأنني في صندوق.. وأن هناك أشخاصًا يأتون ليقيدوني من يدي ويدهوني ليضعوني داخل صندوق يشبه ثوابيت القراعنة، ثم يقومون بإغلاق الصندوق عليّ، مع ترك عدة ثقوب لأتنفس.. وأطلق أصرخ وأصرخ دون جدوى، وبعد أن أتعب من الصراخ يأتون مره أخرى ثم يرفعون الصندوق ليلتوه في النيل، وأشعر كأنني اختنق.. فأصرخ والماء يتملأ إليّ رويدًا رويدًا من تلك الثقوب.. والثابت يفرق بي.. وأنا أشعر أن الماء يعمرني داخل صندوق الموتى هذا.. وتملأه المياه ببطء.. حتى تصل إلي رقبتي فأشعر ببرودتها التي تكاد أن تجعد أطرافي.. فأكنم أنفاسي خوفًا من تسلس الماء إلى رئتي.. وعندما أشعر أنني على وشك الموت اختنقًا أتنفس بكل ما أوتيت من قوة ليدخل الماء بقوة إلى رئتي فأشعر بالأم انفجارها..

والمغرب أنني لا أموت بل أظل أشعر بألم الاختناق دون حتى أن أصبح من النوم..

نظر إليه آدم مشفقًا وهو يقول:

- يا سائر يارب..

- والأذى أن هذا الكابوس تكرر ثلاث مرات حتى أصبحت خائفًا من النوم.

قال راشد بقليل:

- لست مرتاحًا لهذه الأحلام يا جاسر.. رأيي الشخصي أن تدع هذه القضية من الآن ولا تفكر بها.. أخاف أن يكون مصيرك كمصير أحمد..

التفت إليه جاسر بطريق قاتل:

- ما علاقة ذلك بأحمد.. راشد لا تضخم الأمور.. إذا كنت لا تريد مساعدتي فلا توجد مشكلة، أستطيع أن أجا لغيرك في موضوع الشيك هذا..

نظر إليه جاسر في شك وهو يسأله:

- شيك؟ أي شيك يا جاسر؟

ارتبك جاسر وهو يقول:

- شيك؟ هل قلت شيك؟ أقصد تلك الورقة التي معك، يبدو أنني بحاجة إلى النوم..

نظر إليه آدم مشفقًا:

- جاسر.. ما رأيك لو أثبت للإقامة معي لبعض الوقت في بيتي؟ فروحني وأولادي في زيارة لأهلها لمدة أسبوعين.. فلتأت معي..

نظر جاسر لساعته بضيق قائلاً:

- وما السبب؟

- لأنني أراك متعباً وتحتاج من يكون بجوارك، وماجد لن يهود قبل فترة كبيرة، وبصراحة.. لمست مرتاحاً تماماً لمالك في هذه الفترة وأخشى أن يكون قد أصابك مـس..

نظر إليه جاسر باستنكار:

- أصابني مـس؟!

لم يتمالك راشد نفسه من الضحك وهو يقول:

- يقصد أنه يكون قد أصابك مـس من الجن يا جاسر.. إنك تبحث في موضوع وجدنا أن فيه لعنة ما، وتصرفاتك قد أصبحت غريبة جداً فعلاً لذلك نحاف عليك.

- ما هذه التصرفات التي تتفوهان بها؟ اعذراني فأنا أحتاج للمودة إلى المنزل الآن.. ولا تقلنا فأنا بخير.. كل ما هنالك هو ذلك الصداق اللعين الذي أصبح ينهبني مؤخرًا

قالها وقام منصرفاً وراشد يراقبه وهو يرمقه بنظرة غامضة.. قبل أن يستوقفه قائلاً وهو يتصنع اللامبالاة:

- هل عرفت أن محاولة قتل قد حدثت في بيت أحمد منذ يومين؟

حاول جاسر إخفاء توتره وهو يسأل راشد:

- قتل؟

نعم.. فلقد حاول أحدهم قتل أحد سكان المنزل الذي يسكن فيه أحمد.. يبدو أنه كان يبحث عن شيء ما في شقة أحمد، فقلها رأساً على عقب حتى السطح نفسه وأثناء صعود أحد السكان لينشر ملابسه وجا أن هناك من يجلس على مدخل الشقة غارقاً في دماحه، وعندما اقترب منه قام سريعاً وحاول أن يحشم رأسه بيد خشبية كانت إلى جواره، وأصابه في رأسه وهبط سريعاً على الصلال ليجد امرأة جالسة أمام شقتها، فعاول أن يعتدي عليها بالمرب بعد أن تناولت امتيقافه.. لكن المرأة صرخت للسلجود بالأهالي ففر هارياً.

- وما أوصاف ذلك الرجل؟

- وفقاً لأقوال الشهود كان المعتدي طويل القامة ذو شعر بني وشارب كث بني اللون ورأسه كانت تزحف بشدة ويبدو أن أحدهم سبقه في البحث وهرب منه.

- فلتبحث إذن في المستشفيات القريبة عن تلك الأوصاف فقد يكون ذهب لإحدها لعمل الإسعافات له.

- وهل كنا ننتظر هذه النصيحة؟ لقد قام الضباط يتمشيط كل المستشفيات والعيادات الخاصة القريبة، ولكن لم يسفر عنهم عن شيء.. برأيك من هو الشخص الآخر الذي سبق ذلك الرجل يا جاسر؟

- أهناك شخص آخر؟

تلك المصيدة.. كان يتمنى أن يجد من يمد إليه يد المساعدة.. ولكنه ربما لن يجسر حتى على طلبها.

كان الاتفاق أن تظل علاقتهما في السر.. كان الاتفاق هو أن يعفو عنه ويرجس من حيث جاء في مقابل بضعة طقوس ومتطلبات حتى يهبأ سونيا عائدته لبعض الزعاج.. هكذا أطلق عليهم.. نعم سونيا ولكن هم ليسا سواء.. فستكون العلاقة بينهما علاقة التابع بالمتبوع..

دخل جاسر إلى غرفته المعلقة بالفتاح دون مسبب مفهوم.. ولنفس السبب الغير مفهوم أصبحت الغرفة حاليًا غريبة تمامًا إلا من سجادة بسيطة على الأرض وجلع بعليه وجلس عليها محدقًا في سماء الغرفة داخل ظلامها الأبدى منتظر رحلته اليومية..

استيقظ جاسر ونظر إلى هاتفه الذي لم يتوقف عن الرنين.. واندش من بومته تلك على السجادة في الغرفة العارية.. وما لبث أن أجاب على الهاتف:

- راشد.. كيف حالك؟ أعلرنني فقد كنت نائمًا.

- نائمًا.. لا.. لقد أفلقتني عليك أنا وأدم.. أين أنت يا رجل.

- ولم الفلق؟ أنا في منزلي.. وأعتقد أنني لم أغب فترة طويلة لكي تفتقدوني يا راشد.

- ماذا؟ كان بيننا ميعاد أمس.. أنصيت أنك من تلح عليّ لأستقمر لك على المدعو جيمس إدوارد..

- ماذا؟ ميعاد ماذا يا راشد؟ لقد قابلتك منذ عدة ساعات اليوم وأعطيتك وقتها الورقة واتفقنا على أن نتقابل غدًا الخميس.. ويبدو أنك بعثت سريعًا حتى وجدت الشخص المطلوب.

قال راشد بقليل واضح:

- الخميس؟ اليوم هو السبت يا جاسر؟ أنت قابلتني الأربعاء.. ولكن اليوم هو السبت.. أمتأكد أنك في حالتك الطبيعية؟

ارتبك جاسر ولم يجد ما يقوله فهتف به راشد:

- جاسر هل تسمعي؟

- نعم.. نعم.. يبدو أنني فقدت الإحساس بالأيام.. لا تقلق مجرد دور برد.. يبدو أنه جعلني أنام ثلاثة أيام متصلة دون أن أشعر بالوقت.

- أو أائق أنك بخير؟ ألا تريد أي طبيب؟ سأتي لزيارتك..

- لا تقلق.. بخير.. يومان وسأتحسن بإذن الله وسأوافيكم غدًا في الكافيه.

- إن شاء الله.. انتبه لنفسك ولا ترهقها كثيرًا.

- سأفعل.. ولكن أخبرني هل توصلت لأي معلومات عن الأجنبي؟

- إلى حد ما.. مجرد تواريخ دخول وخروج إلى البلاد.. وهو موجود في القاهرة منذ أكثر من شهرين ومعه إقامة لمدة ستة شهور أخرى ولكننا لا نجد في العنوان المسجل في القنصلية..

- هل يوجد لديه أي أرصدة بالبنوك؟

- أرسدة؟ لا أعلم.. بل لا أعلم سر العاحك بالبحث عن هذا الرجل..
فلنعبثي الحقيقة يا جاسر ربما كان...

قناطحه جاسر قائلاً:

- في القريب يا راشد في القريب.. أستاذك الآن فلازلت متعباً من مرصي
هنا..

وأغلق الهاتف.. ثم نظر حوله.. وجد أنه لازال في الغرفة المغلقة لمدة أكثر
من اثنين وسبعين ساعة.. اثنان وسبعون ساعة لا يدري كيف قصاهم
على تلك المسجدة دون استيقاظ.. دون أكل أو شرب.. دون وضعية
مريحة وكأنه كان تحت تأثير مغنر ما..

كان الصداق لا يزال في بدايته.. أخذ يتذكر أشياء بسيطة.. كانت هناك
كمات تدور في عقله، فخرج من الغرفة سريعاً ليأتي بورقة وقلم ليمسح
عده سمطور تراقص أمام عينيه وكأنه يقرأ ما مر به خلال الساعات
الماضية كانت عدة جمل غير مرتبة بالمرّة، وليس لها أي علاقة ببعضها
البعض، ولكنه كان يريد أن يسطرها لمسبب ما:

(هو مولاي الأمير «خا أم واس» حاكم منف وكاهن نتاج الأعظم)

(يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة).

(فستفتح فمك أيها الملك بكلمات تعوت وكتابه المقدس).

(يا من محوت ذكراك فداء للالهة.. فلنتمجد للأبد يا (أم تب واسو).

أممك جاسر رأسه مرة أخرى محاولاً تذكر الاسم الأخير.. أحسن أن
الصداق بدأت تزداد وتيرة.. وكان هناك من يصارعه بداخل رأسه وهم

أن يصرخ (كفر) ولكن دقائق متسارعة على باب المنزل جعلته يفتح
فجأة ليري من خطيبة ماجد وهي تنظر إليه مذهولة:

أين أنت يا جاسر منذ يومين، وأنا أحاول الاتصال بك لقد خشنا
عليك كثيراً

- أهلاً يا مني تفضلي بالدخول أولاً..

دخلت مني إلى الشقة المغلقة نوافدها بإحكام وهي مندهشة من سوء
حالة جاسر والجو المصعق به.. فبادرته قائلة:

- ماذا بك يا جاسر؟ ولماذا تطلق جميع النوافذ هكذا؟ الجو خالق عندك..
وما تلك الرائحة؟ أليدك قحط بالمزلق؟

- فقط؟ لا بالطبع.. ولكن ربما تعلقت تلك الرائحة ببعض ملابس..

- أي ملابس؟ ماذا بك يا جاسر؟ لقد حاول راشد الاتصال بك أكثر من
عشرين مرة خلال الأيام الماضية وأدم وأنا أيضاً.. لقد قلنا عليك بشدة.

- لا عليك.. إنها مجرد نزلة برد جعلتني أظن في المصير طيلة اليومين
الماضيين..

- لا أظن.. إن لديك شيئاً ما تخفيه، لقد أخبرني راشد أنك أصبحت
غريب الأطوار الأسبوع الماضي.. أخبرني.. أليدك ما تخفيه؟

ألقي جاسر بنفسه على أقرب مقعد قائلاً في إرهاق:

- من.. بالله عليك.. لمعت مستعداً للدخول في مهاترات أو حديث لا طائل
منه.. قلت لك إنني متعب فقط وأريد الراحة..

جلست متى هي الأخرى وهي تحتفت في عصبية:

. يبدو أنك تريد الاستمرار وحدك في هذا الموضوع .

هتف جاسر وقد فقد أعصابه:

- أي موضوع؟ لماذا تصرون جميعًا أن هناك شيئًا ما أخفيه. لماذا؟

قاطعت متى قائلة:

- لا تصرخ يا جاسر.. فلتنظر إلى المرأة. انظر إلى عينيك وأنت تعلم أنك لست بخير.. أنت حر . لقد جئت فقط لأطمئن عليك وأخبرك أن خطيبة أحمد قد اتصلت بي أكثر من مرة لتخبرني أن هناك عدة أشياء قد طرأت على موضوعنا هناك، إذا كنت لا زالت تذكره .

قال لها جاسر في برود:

- وما لي لتخبرني به؟ لقد أخبرتي هي وعمها كل ما تريد معرفته هذا كل ما لديهم، أو هذا ما يريدان فقط إخبارنا به، إنما الأشياء المهمة هما يحتفظان بها لنفسهما. وكأنهما فقط لديهما الحل السحري لتلك المصيبة. وأنا - لن تمام الثقة أنها لن تحصل بنا إلا إذا كانت هناك نكبة ما لا يستطيعان التذوق بها .

- يبدو الأمر كذلك فعلاً..

- سوف أحادثها غداً فأنا الآن متعب وأود أن أستريح..

لم تتمالك متى نفسها من الدهشة من ذلك الفتور الذي يتعامل به جاسر مع الموضوع وكأنه لا يهمه. ولكنها يادرت قائلة:

- حسنًا. سأذهب الآن ولكن لا تنسى أن تخبرني ما الذي حدث .

إن شاء الله .

وعادرت متى المنزل. أما جاسر فعلا. مرة أخرى إلى غرفته الملعوبة. وذمب معها مرة أخرى إلى عالم آخر .

* * *

لا يدرى جاسر كم مرَّ عليه في النوم. ولكنه شعر بحركة ما إلى جواره. فحاول أن يفتح عينيه فلم يستطع. فلقد كان ممداً على طاولة خشبية حاول أن يرفع يده فوجدوها مقبدة إلى جواره بقيد حديدي مثبتت في الطاولة وكذلك قدميه.. حاول أن يقاوم ولكن دون جدوى..

أحس بالرعب والفرع يتملكه.. ويبدو أن محاولاته قد لغت انتباه أحدهم. فالترب منه هامساً في أذنه بكلمات غير مفهومة رادت من فزعه أكثر فما لبث أن ضحك ذلك المجهول ضحكة هستيرية تبعها ضحكة أنثوية شعر جاسر أنه يعرفها..

مدَّ المجهول يده ليلتزع العصابة من على عيني جاسر، ولأول مرة يفتح عينيه على آخرهما ليفاجأ بمصباح كهربى فوق رأسه تاماً، مما أصابه بعض مؤقت فأغلق عينيه بسرعة ثم عاد ليفتحهما ببطء..

حاول أن يتكلم ولكن لم يخرج أي صوت منه، بل لم يستطع حتى أن يفتح فمه، وكأنه تحت تأثير مغنر ما أو تحت تأثير سحر ما..

أدار بصره في الغرفة محاولاً أن يعرف أين هو، كان ممداً على تلك الطاولة ويجوارها منضدة أخرى تراصت عليها عدة أدوات. كانت أغلبها أدوات طبية من مشارط ومقصات جراحية ومشارط طبي..

وكان أحدهم منكفئاً على الطاولة يقوم بتعبئة حقنة ما مولئاً ظهره إليه..
وبجواره كانت هناك فتاة ترتدي على رأسها قناعاً أشبه باله فرعونى..

اقتربت منه الفتاة وهي تضعك قاطنة:

- لا تقاوم يا عزيزي.. فقد أصبحت فرسنتا الآن.. مرحباً بك في عالمنا
وبعد قليل سوف تدخل بقدميك عالمًا آخر لم تتغله حتى في أحلامك .

شعر جاسر أن هذا الصوت مألوف لديه، وحاول أن يتذكر صاحبتة
ولكن دون جدوى، وكان شريط الذكريات لديه قد تم مسح.. بل لقد
نسى تقريباً من هو.. ومن أتى به إلى هنا..

أشارت الفتاة ذات القناع الفرعونى إلى الرجل المجهول بإشارة من يدها
فاقترب منه ليهب هو الآخر يرتدي ذات القناع، فاقترب منه أكثر وهو
ممسكاً بحقنة في يده..

حاول جاسر أن يقاوم ولكن دون جدوى، والرجل يضعك أكثر، وهو
يغرز العقنة في فؤاد جاسر، الذي بدأ في الانقراض بمجرد أن بدأ سريان
المادة في دمه..

تحدثت الفتاة بكلمات غريبة إلى الرجل، فاستدار للمنضدة ليحضر ما
أمرته به، أما هي فقد اقتربت من أذن جاسر هامسة:

- لا تقاوم.. إن ما حقنك به من محلول هو فقط ليزيد عذابك.. فمع كل
لمسة من الإبرة سوف تشعر وكأن خنجرًا مفروقًا في جسدك.. هذه
لعنتك، أنت أردت ذلك فلا تلم إلا نفسك، أعدك أن صوتي سيكون آخر
ما ستسمعه بهياتك..

والتمنت للرجل تتحدث معه بكلمات غير مفهومة.. أما جاسر فبدأ
يشعر بالألم فظيعة كما لو كانت عشرات السكاكين تمزق أحشاءه، فتزيد
مقاومته أكثر فأكثر، وكلما رادت مقاومته كانت يدها تدميان من تأثير
القيد الحديدي، وكلما أدمنت أكثر كانت الآلمة تزيد ودماؤه تترف أكثر .

اقترب المجهول من جاسر الذي كاد قلبه أن يتوقف عندما أبصر في يده
إبرة لا تزيد عن خمسة عشر سنتيمتر، أعطاها للفتاة وأمسك برأس
جاسر بكل قوة ووضع قيد حديدي على جته، وبلثته إلى المنضدة التي
كان ممدداً عليها، وقام بتثبيت جفون جاسر في -جانبه عن طريق لاصق
طبي لتصبح مفتوحة على آخرها.. مما جعل جاسر يحاول أن يصرخ،
ولكنه اكتشف أن فمه مغلق وكان شفثيه قد التصبعا ببعضهما..

انفض جاسر بخوف ورعب عندما اقترب الرجل من أذنه وهمس بكلمة
ما، مما جعل الرجل ينفجر ضاحكاً، وبكل هدوء قام بإدخال طرف الإبرة
إلى أذن جاسر الذي انهز في البكاء الذي تحول إلى صراخ مكتوم حين
بدأت الإبرة تغرق أذنه..

كان ألم جاسر يفوق احتماله وخاصة بعد أن فقد حاسة السمع في أذنه،
ووقتها امتدت يد الفتاة لتمسك كنف الرجل وتتحدث إليه، فمسحبه
الإبرة وتوجه إلى الجهة الأخرى ليقوم بنفس العمل..

ضجعت الفتاة وهي تنظر لجاسر:

- لا تخف يا جاسر لماذا المقاومة؟ هذا عالمك الذي اغترته.. أنت من
دخلته بقدميك، هذا لا شيء أمام ما ستراه.. هنا الجحيم الذي لم يغطر
ببالك أبداً، لن يستطيع أحد أن يفتنك من مصورك..

في حين قام الرجل بنفس العمل في الأذن الأخرى، وقتها ساد السكون التام في الغرفة لجاسر.. ولكن الآلام كانت رهيبية فوق الوصف، وقد بدأت الغيبوبة تكتنف عقله..

كم كان يتمنى أن يفقد وعيه، وكم تمنى الموت وقتها.. كانت كل ذرة في جسده تلتفتض.. كانت الدماء لا زالت تتدفق من أذنيه بفوارق.. كان السكون يخلط كل شيء حوله إلا ذلك الصوت المنبعث من أعماقه.. صوت تلك الآلام الرهيبة التي يشعر بها.. ولم يكن كل ذلك إلا مجرد بداية فقط أدرك ذلك حينما ظهر الرجل المجهول مرة أخرى وفي يده نفس الإبرة..

لم يقوَ على الحراك.. لم يقوَ على الصراخ.. بل لم يقوَ على المقاومة.. كان يجهل فقط أين سوفريس الإبرة القاتلة هذه المرة.. ولم يحل التساؤل كثيرًا فقد أجابته الفتاة وكأنها تعلم ما يفكر به.. أجابته بإشارة واحد من إصبعها على عينها، ففهم أن الدور القادم على عينيه.. فدخل جاسر في نوبة رعب هستيرية مما أثار ضحك الفتاة والرجل وجعلهم يشعرون بنشوة عارمة، وبالفعل اقترب بسن إبرته الملونة من عين جاسر المفتوحة على آخرهما بالشريط اللاصق.. وغرزها بكل قوة.

ودوى في الغرفة صراخ رهيب..

انتفض جاسر مفزوعًا وهو ينهض ولا زال يصرخ هستيريا ممسكًا بعينيه، وفوجئ أنه لا زال في غرفته على تلك السجادة الصغيرة التي افترش بها

أرضية الغرفة، فتنحس أذنيه وعينيه وجسده.. فحمد الله أنه لا يزال يري ويسمع..

أدرك وقتها أن ما أصابه كان يفعل بدزميران.. وفوجئ به بجواره في هيلته الضبابية.. فقفر جاسر إلى نهاية الغرفة صارخًا هستيريا:

- لماذا تفعل ذلك؟ لقد كنت على وشك الموت..

وبكل هدوء نطق الكائن الغريب في عقل جاسر قائلاً:

- لتعلم كيف أتحكم بحياتك.. لتعلم كيف أسيطر على كوابيلك .

- نعم لقد علمت ذلك من قبل.. وعلمت كل الأعيبك، ولكن لم يكن ذلك اتفاقنا.. أنت بذلك تدفعني إلى الجنون.. لا يزال ألم الإبرة في أذي..

- أنا أريدك أن تنظر إلى ما هو أكثر..

قالها الكائن وهو يشير إلى يدي جاسر وقدميه، فنظر جاسر برعب إلى أطرافه فوجد أن يديه مدممتان من أثر القيد العندي داخل الكابوس.. ونظر إلى مكان العقدة فوجدها تكاد أن تتفك..

- لماذا؟ أنا الوحيد الذي استطعت مساعدتك وأقسمت لك إنني سأبدل كل ما في وسعي لإرضائك .

- أنا لا أريد مساعدة من أحد.. أنت من تريد أن تساعد نفسك..

- لا لم يكن ذلك الاتفاق الذي تم بيننا في هذه الغرفة منذ..

انتفض المخلوق الغريب إلى جدار الغرفة مما جعل جاسر يجثو على ركبتيه في رعب.. وقد صرخ فيه المخلوق قائلاً:

- أنت لم تفعل أي شيء.. أنت هنا في الغرفة لا تتحرك..

أمسك جاسر بأسي في ألم وهو يتوسل إليه:

- بالله عليك لا تصرخ فصوتك يخترق أعماقي وكأنه خناجر تقطع أوصالي.

- حسناً.. إذا أردت أن تهبط وتبدأ في استكمال مسيرتك..

- ولكي مشوش.. مذبذب.. متوتر.. ولا أعلم كيف وأين أبدا؟ وكيف سأحصل على كل طلباتك؟

- سبق وأخبرتكم.. ستزول الشرور عن كل من سببت لهم لعنات بمجرد تنفيذ كل أوامري..

- ولكن لعنتك أصابتي..

نظر إليه الكائن بتلك العينين الناريتين قائلاً باستنكار:

- لعنتي أصابتك!!! نأ لك أيها الإنسان.. أنت لا تعلم أي شيء عن لعنتي.. أنت لا تعلم ما أصاب غيرك.. ما أصابك لم يكن إلا كقشرة فقط..

إذا كنت تظن أن ما تراه في كوابيسك هو لعنتي فقط فأنت واهم.. فلتعلم أنه بمجرد إشارة مني ستتحقق كل كوابيسك.. أنا أتحكم بك وبعقلك وبجسمك.. أنا الآن داخل عقلك فقط.. هل تهيلت لو أصدرت أوامري إليك الآن ما سيحدث.. حسناً سنرى..

تذكر جاسر وقتها أحمد عندما أخبره صابحاً وهو يشير إلى رأسه (أراه نعم هو هنا.. فقط.. هو قالها سأتى إليك.. انتظروني سأتى). هنا تأكد أن

أحمد كان لديه حق في كل مخاوفه وأنه كان دائماً يصدم رأسه في الحائط خوفاً من ذلك الكائن..

فوجيء جاسر بهده تعمد إلى المكتب الموجود بغرفته لفتح أحد الأدراج وتناول الضئير الذي وجده في منزل أحمد أثناء التفتيش.. سكنت جاسر في أول الأمر مطمئناً نفسه أنه ربما كان داخل كابوس من كوابيس ذلك الملعون، ولكن يبدو أن الكائن علم ما يفكر به فقال له:

- أنت لست داخل كابوس.. أنت في عالمك الواقعي أيها الإنسان.. وهذا فقط لتعلم أني أتحكم في عقلك.

فزح جاسر أكثر وأكثر عندما قام بإمسك الضئير بهديه رشحاً عنه.. حاول أن يقاوم دون جدوى مرة أخرى، وحتى عندما بدأ في الصراخ لم تطاوعه يده حتى غرزت مقدمة الضئير في فمعه مما جعله يطلق صرخاً حاداً:

- كفى بالله عليك لقد علمت قدرتك.. أرحمني..

- إذن فلتنفذ كل أوامري حتى أرحل من عقلك.. مهما بلغت صعوبتها أنت من وضعت قدمك في هذه اللعنة، وأنت فقط الذي يجب أن تساعد نفسك أيها الإنسان.. وأخبرك مرة أخرى.. أنت وحدك.. كل ذلك مقدر لك وحدك.. لا تغبر أحداً.. لا تطلب مساعدة من أحد.. سأراقبك دائماً.. داخلك في كل وقت.

- نعم يا سيدي.. لن يحدث.. لن يحدث..

- والآن لتنفذ ما أقوله لك وتلزم بكل أوامري.

* * *

طوال الطريق كانت تتداعى في ذهن جاسر عشرات من التساؤلات.. منذ أن استقل سيارته ساراً على غير هدى..

عشرة أيام تماماً منذ أن دخل هذا الغريب حياته.. عشرة أيام قلبت حياته رأساً على عقب.. كال يظن أن اللغة بعيدة عنه وأنها لن تصيبه.. ولكنها أصابته بمصيب هذا الصندوق الملعون وتلك البرديات المهترئة التي وجدها في منزل أحمد الذي أصابته اللعنة أيضاً..

ربما لم تكن كبقية اللعنات كما علم ولكنها أصابته بشكل ما..

ذلك الشكل الرهيب الذي شعر به في الغرفة..

نعم، فعند رجوعه مساء ذلك اليوم والذي احتفظ فيه بالصندوق وبعد ذهابه للنوم.. استيقظ مفروغاً تحت تأثير كابوس ما، فوجد شقته ما زال يكتنفها الظلام، ولكن كان ظلاماً مختلفاً.. فظلام الكهرياء تستطيع معه أن تبصر شيئاً ما في الغرفة، حتى أنك تستطيع أحياناً أن تبصر يدك أو العائط، ولكن الظلام كان يحيط به وكأنه غرق في بحر أسود.. مجرد ظلام سرمدي..

لقد كان العرق يتصبب من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه، وضربات قلبه قد تسارعت بشكل غير طبيعي.. حاول أن يبصر أي شيء بغرفته حتى وجد أخيراً تلك العينين اللتين تحدقان فيه وكأنهما تغترقان روحه.. فتح عينيه أكثر ليتأكد أنه لم يزل في تلك الكوابيس الملعونة، ولكن تلك العينين تحولت إلى لون أحمر دام وكأنهما قطعتان من الجصيم..

هناك كان ما.. لا يستطع تحديد ملامحه أو وجهه أو حجمه.. مجرد شيء أسود في سماء الغرفة.. شيء أسود مغطى بأكمله بشعر خالك حبيب يخترقه بنظرته..

اعلى عينيه بقوة.. وحاول أن يقرأ ما يحفظه من آيات القرآن.. ولكن رعبه الشديد لم يذكر حرفاً واحداً..

ارتعد جسده أكثر.. حاول أن يخرج من الغرفة، ولكن لم تطاوعه قدماه وكان شللاً ما قد أصابه.. لا يزال جالساً هناك في ركن الغرفة، إنه ذلك الشيء الهلامي الأسود الذي كان على حافة سريريه قبل النوم. وقتها ظن بها مجرد أوهام..

لكن الأوهام تحولت إلى أسوأ كوابيسه.. لم يكن يظن أن ما يسعى وراءه أن يذهب ليحرقه إلى تلك اللعنة السوداء.. تعير في أمره وفي موقعه، شعر بمن يفترق عقله ويضاطبه فأغمض عينيه بقوة منسحباً إليه :

- لن تتحرك أبداً إلامني.. لن تتحرك أو تهمس إلا بإذني.. أنا من ساقته الأقدار السوداء للندوم إلى عالمكم المشؤم..

هكذا سمع جاسر صوت ما داخل عقله.. لم يكن الصوت مسموعاً، ولكنه كان يشعر به داخل عقله فقط.. تماماً كما أخبره أحمد من قبل عندما قال له إنه دائماً في عقله.. حاول أن يتكلم لكن لسانه عجز حتى عن النطق من شدة الرعب الذي يشعر به. استمر الكائن في الحديث:

- أنا الخالد في الزمان.. أنا من أتيتك عبر أسوار الماضي.. أنا من أتيتك خلف جبال الرهبة والخوف.. أنا من أسكن خيف الأبواب المغلقة.. أنا من أسكن خلف الجدران الصماء.. أنا حارس السر المقدس.. حارس

برديات الإله تعوت.. أنا من أتيتكم من أغوار الماضي السحيق لأقتص منكم لعناتي المقدسة..

تمالك جاسر بعض من رباطه جأشه.. وقد أدرك أن الغريب يحدته بلغة غريبة ولكن لدهشته كان يفهم تلك اللغة جيدًا.. رغم أنه لم يسمعها مطلقًا.. كان الطلام لا يزال سائدًا في كل الحجرة حتى عندما حاول جاسر أن يرفع يده لينظر إليها، ولكنه كان كأنه في قبر سحيق لا يصل إليه أي صوت.. سكون تام لا يقطعه سوى أنفاسه فقط.. ابتلع لعابه بصعوبة قائلاً:

- مهلاً.. أنا لا أفهم كيف تتحدث بهذه اللغة.. بل كيف أحدثك وأنت في عقلي فقط.. وكيف أتكلم بلغة لم أسمعها من قبل؟

- فلتنفوس أيها الإنمي.. أنت لمت في مجال المناقشة، بل أنت مجبر على أن تكون عيذاً لي.. أنت من وضعت نفسك داخل دائرتي المقدسة.. أنت من أبغضت اللعنات الهائمة عبر الزمان.. أنا من الآن سيدك وعليك الإنصات لي جهداً ولا استصواب بتلك اللعنة الأبدية..

- ولكي لم أفعل شيئاً يا.. يا سيدي.

- أنت لم تفعل شيئاً بعد، ولذلك لم أصيبك بلعناتي المقدسة حتى الآن.. أنت مجبر على إعادة الأمور إلى مسارها..

- سيدي إن كنا نتحدث عن موضوع واحد.. فكل ما فعلته هو أني أحاول إخمد اللعنة التي ظهرت بمجرد فتح المقبرة.. إذا كانت هي المسببة لكل ذلك.. فأنا أريد مساعدتك وأريد مساعدة كل من تعرض إلى لعنتك المقدسة كما تقول.. فلماذا تصر على إصايتي بلعنتك؟

لعني؟! أنت لا تعلم شيئاً عن لعني.. لعني أصابت كل من فتح هذا الصندوق لعني أصابت كل من حاول أن يمتلك تلك القوة.. لعني ضرب من كل نفس تظن أنها تتحدى السر المقدس.. لعني سببت الحياة من لمفوس المشوهة.. لعني أذابت جلد أحدهم ليصبح الميت الحي.. لعني أرالت العقل لينذهب بلا رجعة.. هذه لعنة الأجيال الهائمة، صاحبة أسرار الأعظم يا من تجرائم على هتك أسرارها..

ي مر يا سيدي.. ولماذا لم أصب بها كما تقول رغم أنني الآن حامس هذا الصندوق والبرديتين؟

لا نعلم أيها الإنمي.. أنت لم تُصَبَّ باللعنة إلى الآن لأنك لم تُشَبَّ ما لعنك.. لم تعد يدك إلى سر الكهنة المقدس.. لم تُخَرَّ الذهب إلى هذه اللحظة.. أنت يدي التي سأطبخ بها..

وطبلاً أنت بهذه القوة يا سيدي، فلماذا نحتاج إلي؟

أنا لا أحتاج إليك أيها الإنمي.. أنت من سيتضرع من أجل خدمتي ولن أحرك كيف.. ولكي سأتي لك في كوايبك.. سأظل داخل عقلك فقط.. لا تخبر أحداً ولن تصيبك لعني.. لا تتحدث بسر الكهنة ولن تصيبك لعني.. لا تتحدث عن الصندوق ولن تصيبك لعني.. سر في طريقك وحافظ على السر الأعظم ولن تصيبك لعني.. فقط سأنفص داخل كوايبك.. سأنفث فيها شرور الزمان.. أيها الإنمي أنت لا تعلم ما السر الذي تسعون إليه.. فلنصيبك اللعنة المقدسة إذا خالفت العهد أيها الإنمي..

- ولماذا؟؟

- كانت بد آدمية هي من تجرأت على هتك سر الكهنة المقدس ويبدك
الآدمية سوف تجبر على إرجاع الأمور كما كانت..

- أقسم لك إني لم أفهم كلمة مما تقول؟ ما هو سر الكهنة ؟ وما هو
الطريق المطلوب مني أن أسير فيه؟ وما هو السر الأعظم؟ وما هي اللعنة
المقدسة؟ هل من المفترض أن أسير في هذا الطريق وأساعد نفسي دون
أن أعلم..

- أنت تعلم ما في الصندوق.. أنت تعلم ما استولى عليه بني جنسك بطمع
وجشع.. عليك أن تصلح ما أخطأتم فيه..

- كيف؟ كيف وأنت تطلب مني أن أفعل كل شيء بمفردي.. دون حق
مساعديك.. كيف سأتمكن من ذلك؟

- كل شيء ستعرفه في وقته أيها الإنسي.. يكفي أني سأعطيك شربة من
ماء النبل الطاهر.. سأعطيك ثياب ثوابتك.. سأجعل المجهول معلوم
لك.. سأجعل كل الغيبات ثابتة لك.. سأطوي لك صفحة الزمان لتمر
أمامك وكأنها لحظة تمر بين عينيك.. لترى ما ستعجز عن تصديقه..
ولتتكملم بلسان أبناء الآلهة.. لكي سأطمس على عقلك حتى لا تبوح بسر
الكهنة المقدس..

- هل من المفترض يا سيدي أن أفهمك؟

- هذا يرجع لك أيها الإنسي.. ألزم بأوامري وطقوسي.. ولتبدأ رحلتك
المقدسة من المكان المنير.. لاستعادة برديات قداسة مجد كاهن المعبد
المقدس.. خادم آتون وابن الإله الأكبر.. "أمي نحت" وإغلاق مقبرته..

- أي مكان منير؟ ومن أمي نحت؟

هناك أيها الإنسي.. حيث جريمتكم المعنوية..

ي مكان منير؟

ابحث في عقلك المحدود أيها الإنسي..

سأعمل جاهداً على ذلك يا سيدي.. ولكن كيف سأراك؟

أما في الغرفة المقابلة لك دانفا.. حارس ما تبقي من الصندوق المقدس..
فلنخرج جميع أشيائك منها، ولثأب إلي بما كان يقبع داخل هذا
صندوق.. ولتعضد كل مساء في الميعاد المحدد.. وكن على ثقة أنني
أنايكت.. فأنا في عقلك أيها الإنسي..

نعم يا سيدي.. ولكن كيف أناذك؟

ستتلو صلواتك ولتهمن باسمي الغالد عبر فجوات الزمان ليعضد
حارس الكثر المقدس.. بنزيميران.. بنزيميران..

انتبه جاسر أنه في هذه اللحظة يقف أمام الكاهن المملوك لأدم
صديقه.. لا يعلم كيف وصل إلى هنا برغم شروده طوال الطريق.. وتذكره
لنلك الأحداث ولا زالت كلمة المكان المنير تتردد في عقله مع خلفية
بنزيميران في ذات الوقت مما جعله يتأكد أنه في طريقه لفقد عقله بأسرع
مما تصور..

* * *

- لا عليك يا دكتور نجيب لقد وضعت يدي على شيء كنت أبحث عنه فقط .

- لن أتصعبك مرة أخرى ولكن حاذر يا ولدي .

- إن شاء الله..

وترك "الكافيه" وهو على هدى من طريقه لأول مرة منذ ومات قدماء تلك المغامرة الملعونة.. وقبل أن يركب ميارته تذكر موضوع هند قاممك الورقة التي أعلمته إياها منى.. واتصل بها وانتظر حتى أجابته من الناحية الأخرى.. بدأ في الحديث المهاد ولكنه دخل في الموضوع مباشرة :

- أستاذة هند لقد علمت من الدكتوراة منى أنك تريدني في موضوع هام وعلى وجه السرعة، وأن هناك العديد من الأحداث التي حدثت بمجرد مغادرتنا للقبرية، فهل لي أن أعرف ما هي؟

- إذن طالما دخلت في الموضوع مباشرة فلتمهلني دقيقة، لأن عمي هو من يريد أن يخبرك.

- وما شأن عمك بي؟

وقبل أن تجيب أخذ عمها الهاتف قائلاً:

- السلام عليكم يا أفندي، سادخل في الموضوع مباشرة.. وأرجو أن تعتبر الأمر جدياً .

- كلي أذن صابحة .

- الشيخ إلهامي يريد أن يراك .

« يا لداعي لحضوري، وكيف وصل الموضوع إلى الشيخ إلهامي. وعن طريق من، ولماذا يهتم بي من الأساس؟

اسمعي جيداً.. فليس هناك وقت، أنا أعمل مع الشيخ إلهامي، وقد فمت بنقل كلامك حرفياً له بعد مجيئك لدينا، ولكن منذ عدة أيام حدث حادث غريب للشيخ إلهامي.

حدث؟!

نعم الشيخ في أشد حالات المرض ولا أخفي عليك هو في أيامه الأخيرة كما يخبرنا وأحياناً يظل في غيبوبة لعدة ساعات نظن معها أنه سيفارق الحياة، ولكنه متشبث بها.. وعند إفاقته يطلب منا ضرورة إحضارك بأي شكل..

- لماذا؟

- لا أعلم ولكن هو يصبر على رؤيتك بأي وسيلة..

- لا أعلم إن كانت ظروفي مسموح بالحضور أم لا؟ ألا يستطيع مكالمتي هاتفياً؟

- قلت لك أن الموضوع هام لذلك لا يريد من أي أحد غيرك سماعه..

- إذن انتظري فرمما أحضر إليكم في نهاية الأسبوع. فعلي أن أزور المقبرة أولاً.

- أي مقبرة؟

ندم جاسر على التفوه بتلك الكلمة، ولكنه تدارك نفسه على الرغم من تأكده أن الطرف الآخر قد وعي جيداً ما يقصده حاسر فتدارك القول:

- أقصد أنني سأزورها قريبًا لتحضير موضوع صحفي عن المتأثرين
الفرعونية في الصعيد.

تجاهل الحاج مراد عم هند قول جاسر وهو يقول له:

- سنتفطرك يا أفندي، ولكن أقسم لك إن حدث..

وقبل أن يكمل تهديده أغلق جاسر الهاتف في وجه الرجل.. وركب سيارته
متوجهًا إلى بيته.. وهو لا يزال يفكر في كلام عم هند، ومثلاً يطلبه المعجز
على وجه السرعة.. أليكون لديه ما يصرح له به قبل أن يلفظ أنفاسه
الأخيرة؟

عندما وصل جاسر إلى منزله وهبط من سيارته وجد عربة تقف بجوار
المنزل تكاد تسد المدخل، لا يدري ما سر ذلك الشعور الغريب الذي انتابه
عند رؤيتها مما جعله يندلف من الباب الخلفي للعمارة، ففوجئ بشخص
ما يعاود بواب العمارة، ولم يكن ذلك الوجه غريبًا أبدًا على جاسر،
ولكنه لا يتذكر أين رآه بحسده الذي يشبه أجساد المصارعين، وما إن رآه
البواب حتى أشار إلى جاسر قائلاً لذلك الغريب:

- هذا هو أستاذ جاسر يا سيدي .

ترك الغريب البواب واتجه إلى جاسر، وحينما التفت إليه الغريب واقترب
منه تذكره على الفور.. فقد كان هو ذات الشخص الذي فاجأه في زيارته
لبيت أحمد، وكان هو السبب في فقدته الوعي بمجرد دخوله إلى الباب
الذي كان جاسر متوارئًا خلفه .

«لمع لم يفكر جاسر وقتها إلا في الهروب، ولكنه تماسك نفسه مخفيًا
وصممه حتى عندما اقترب الشخص إليه ماذا يند قائلاً بلهجة مصرية
شاذة:

«استاذ جاسر؟

نعم، من حضرتك؟

أما نوم أليكس.. عالم في المصريات وأود الحديث معك في موضوع هام
أد كان لديك وقت؟

وما شأني.. بالمصريات؟

مستر جاسر من فضلك الموضوع هام جدًا، وأود منك فقط أن
تشاركني الرأي في بعض الأمور فأسمح لي إذا كان لديك متسع من الوقت
مداك كافيتريا في آخر شارعك، سأخذ من وقتك خمس دقائق فقط..
ولكني..

خمس دقائق فقط يا مستر جاسر، ومن يعلم فقد يروق لك الأمر..

لم يفكر جاسر في الهرب منه أو التحجج بأي حجة وممية، فما قد
سحنت له الفرصة ليعرف من هو ذلك الشخص، وما سبب وجوده في
بيت أحمد وكيف حصل على عنوانه؟ كان لكل منهم شيئًا ما يخفيه،
فالأخني لم يعلم ما يخفيه جاسر، أما جاسر فلا يعلم أن مستر توم هو
أيزاك مساعد «ديفيد» الأول..

وما لبثا حتى دلّفا إلى الكافيتريا التي تقع في آخر الشارع الذي يقطن به
جاسر وما إن جلسا وطلبا قهوة حتى ابتدره أيزاك قائلاً:

- مستر جاسر، هل لنا أن نتكلم بكل وضوح؟

- نتكلم بوضوح عن ماذا؟

- يبدو أنك لم تفهمي جيدًا. لقد أخبرتك أنني أحد علماء المصريات وأمثل شخص ما لديه بعض الاهتمامات بأثارتكم..

- وما شأني أنا في ذلك؟

- مستر جاسر من فضلك لا تدع جبهك بالموضوع، فأنت تعلم جيدًا أننا نعلم كل شيء عن المقبرة وعن البرديات المفقودة، وعن الشيخ حمس ومقتله وكذلك مجدي ومقتله وحتى ما أصاب أحمد..

- فلنفترض ذلك، ماذا تريد مني بالضبط؟

- أرى أنك لا تعطي الموضوع أهميته سيد جاسر.. صدقني أنا أمثل أشخاص يهتمون عن تلك البرديات منذ فترة ليست بالقليلة، وأنت تبحث في ذات الموضوع.. فلماذا لا نكون فريقًا واحدًا.. وتأكد أنك لن نخسر هذا أبدًا..

- وما الذي سيعود علي في هذه الحالة؟

- حياتك..

- حياتي..!!، ماذا تقصد؟

- لا تعني فهمي سيد جاسر.. فحياتك سوف تتغير إلى الأفضل.. إلى مزيد من الرفاهية.. وكل ذلك فقط بمجرد تبادلنا لبعض المعلومات التي قد تفيد الطرفين.. سنتحدث سويًا في الموضوع، وأنا على ثقة أن لديك ما قد يساعدنا جميعًا على إنهاء تلك الأمور..

كلم، كئي أذان صاغية .

نحن نعم من تكون. ونعلم من يساعدك، ونعلم أنك كنت في زيارة لأحمد، بل لقد ذهب أخوك إلى زوجة مجدي للاستفسار عن موضوع البرديات والمقبرة.. ولكن لا أنت ولا هم توصلتم لأي شيء لكنك لا تزال متائرًا في الوقت الذي سافر فيه أخوك في رحلة علمية لغارح البلاد، وقد يكون اقتربت مما تبحث عنه، فلماذا لا تنضم إلى فريق بحثي، ولكن على نمة أن عيوننا حولكم في كل مكان..

يبدو أنك على دراية بكل أفراد الأسرة.. عموماً أنا لست مهتم بأى نوع من الأثار كما تظن، كل ما في الأمر أن..

فأطعه إيزاك قاتلاً:

- البرديات.. أنت تبحث عن البرديات.. لقد تفرقت البرديات يا مستر جاسر ولا أخفيك سرًا فقد اقتربت جدًا من الحصول عليها من أحمد وقمت بدفع مبلغ باهظ لذلك.. ولكن حدث له ما حدث، ولا زلت أبحث عن تلك البرديات، ألا تعلم أين أجد تلك البرديات يا مستر جاسر؟

- أنت لا تدري خطورة ما تبحث عنه يا مستر توم.. فعندما قمت بالبحث كنت غير مقتنع بوجود نوع ما من اللعنة.. أعلم أنك لن تصدقني وهذا ما أراه في عينيك ولكن الأمر أخطر مما تتصور.. لماذا لا تترك الموضوع بأكمله؟

انفجر إيزاك ضاحكًا وهو يقول:

- أنت بالطبع تمغر مني يا مستر جاسر.. أي موضوع تتغيب أن نتغلب عنه؟

اعتدل جاسر قائلاً.

هو قادم الآن. عادروا الشنة ولا تتركوا أي أثر لوجودكم.. هل وجدتم
سأ؟ هل يحفتم جيداً؟ حسناً حسناً.

ثم اعلق الهاتف قائلاً في حق:

نأ لك يا حيمص.. أنت تعلم كم أكره هذا اللب وأمله ولا أطيق المكوث
يا حتى أربع وعطرس ساعة.. ولعنة فراغة.. هذا ما كان يقصدنا.. يصب.
أما أنت يا جاسر لن تفلت من يدي.. أقسم لك لن تفلت.. فإن كان
محبدي قد قتل قبل أن صم إليه. فصيمعدي أن نمزق حوسرك بهدي..

* * *

دخل جاسر إلى عرقته متأولاً ثيابه المنزلية ليرتديها. دوى حتى أن يشعر
أن هناك من كان يبحث بمحركات شفته بحثاً عن تلك البرديات.

كان جاسر يشعر أنه قد يتعرض للتفتيش المفاجئ من أي شخص يهتم
بتلك البرديات.. لذلك قام بإخفاء الصندوق نفسه على سطح منزله.

فعندما صعد إلى السطح صباح ذلك اليوم وصعه داخل برميل من تلك
البراميل الملقاة على السطح وأخفاه داخله. ثم قلب البرميل على فنتحه
ليصع هوأتي تليفزيون مثبتاً على قاعدته. مما يجعل من المستحيل
التوقع أن الصندوق بذلك البرميل.. أما عن البرديات ذاتها فقد قام بلفك
ظهر شاشة التليفزيون المثبت على الحائط في تلك الغرفة العارية ووضع
البرديتان في ملف بلاستيك واضحاً بإيهام داخل الشاشة المثبتة. ثم قام
بتعليقها مرة أخرى..

ولذلك عندما قام رجلان من مساعدين إيزاك بتفتيش الشقة لم يجدوا
أي شيء قد يشير إلى أي أثر لفرعوني..

* * *

- فستحدث بصراحة إذن.. مستر توم أقسم لك إن الأمر جدي والدليل
على ذلك الأسماء التي ذكرتها الآن ألا يؤثر اندماشك كمية الحوادث التي
حدثت بك من حيث المقررة وسرق البرديات. إذا كنت تتصور أي بعد
من هذا الأمر.. حسبي. حل ما أريده هو القصاء على تلك الدعة بي
.. وإلا أنا مع مصيري أنا أيضاً كمصير من ذكرتهم. وليس أن
فقط بل أنت أيضاً وكل من يقف وراءك..

- مستر جاسر: أنا لا أؤمن بلعبة المراعاة. ولن يصيبني أي شيء فكل
شيء من ذلك أنا مجرد ساعي بردي أقوم باستلام طرد من جهة ما
وإيصاله إلى الجهة الأخرى مقابل الثمن..

- حتى لو كنت كذلك. متصبيك الدعة كما أصابت غيرك. تذكر كلامي
هذا يا سيد توم وفكر فيه وهذا هو الكارت الخاص بي عندما نشر أن
الأمر جدي تستطيع الاتصال بي ربما وقتها ستجبر على تصديق الأمر.

- وأنت يا سيد جاسر ها هو رقمي مستر ماتسون المساعد الخاص
بي.. إذا غيرت رأيك ساكون ممثلاً للتعاون معنا..

استأذن جاسر في الانصراف وقام متأولاً الهاتف الخاص به. إلا أن
إيزاك استوقفه قائلاً:

- وتذكر أي قابلتك للحديث معك بصورة ودية. فهي المرة القادمة ربما
لن يكون الأمر كذلك..

البتسم جاسر بهكم. ثم تركه مغادراً. وما أن انصرف حتى تناول إيزاك
هاتفه ليتحدث فيه قائلاً:

وقتها كان الشيخ إلهامي مرعوبًا من تحقق ما يخشاه وحاول بكل ما لديه من طرق لمعرفة سبب اللعنة أو من أبقطها لكن دون جدوى.. حتى ظهر ذلك الرجل في حياته مرة أخرى ليقلها رأسًا على عقب..

أما الآن فالشيخ العجوز يصارع الموت.. وكأن الموت يؤجل لقاءه معه لمسيب ما.. لا يعلمه إلا الله.. وكل ما يرجوه من مساعدته هو إحضار جاسر بأسرع ما يمكن..

فهو الوحيد القادر على إنهاء تلك اللعنة وإخمادها..

إلى الأبد..

كان إيزاك بعد ذلك بعدة أيام جالسًا في منزل زوجة مجدي بالقاهرة، وكان شديد العصبية بالرغم من محاولته التظاهر بالهدوء حتى يستطيع استخلاص كل ما لديها، ولكنه فقد أعصابه مرة واحدة قائلًا:

- يبدو أنك لست جديدة يا مدام فايضة.. لقد أثبتت بي مباشرة من أمركا بعد أن تلقينا اتصالك عن طريق أحد المماسرة الذين يهملون لصالحنا، والذي أكد لي أنه على اتصال مباشر بك، وأنه قام بإنهاء الصفة، وتم الاتفاق على كل شيء.. وعلى الرغم من المبالغ الطائفة التي طلبتها فقد وافقت على ذلك.. ولذلك قطعت آلاف الأميال بالطائرة لأعطيك كل ما طلبت وأحصل على البرديات.. والآن تقول لي إنها ليست بعذتك؟

حاولت فايضة امتصاص غضبه حينما قالت:

في ذات الوقت في طم في أحد المقارات في الجيل كان الشيخ إلهامي لا يزال يرقد في شبه عيبوية عميقة أصابته فجأة كنتيجة لتدهور حالته الصحية في الفترة الأخيرة ورفضه تمامًا الذهاب إلى المستشفى، وهذا ما قاله للمقربين لديه.. فقد طلب منهم أن يتركوه فقط بقضي أيامه الأخيرة وسطيهم، وفي المكان المعبب إلى نفسه..

كان الشيخ إلهامي من أشد معارضي البحث عن ذلك الكثر المدفون فهو يعلم عن ذلك السر الأعظم لتعوت الذي حوته عدة برديات.. ويعلم أن هناك بردية ما تشير إلى مكان كتاب مفقود منذ أيام الفراعنة تجعل صاحبه ذا قوة لا يُستجاب بها، ولكنه على الرغم من مشاركته في الكشف عن الآثار الفرعونية مع جده الذي كان من أشد المهتمين بالبحث عن الكتاب المفقود في صندوق أبنوسي كان قد توارث علاماته من أجداد أجداده، ذلك الكتاب الذي يوجد في مقبرة مجهولة.. ولكن بعد فترة تأكد الشيخ إلهامي أن الكتاب ملعون وأن كل من سيلمس ذلك الكتاب سوف تصيبه اللعنة الأبدية التي لا فرار منها، ولذلك حاول طوال حياته ألا يتعرض بأي شكل من الأشكال لهذا السر المفقود منذ آلاف السنين وخاصة بعد ما رآه مع جده..

كان الشيخ إلهامي هو حكيم القرية، وقد وصل إلى هذه المكانة بعد عشرات السنين من الحكمة التي توارثها عن آباءه..

ولكن يبدو أن ما كان يحافظ على ألا يتدخل فيه طوال حياته قد بدأ يتحقق في أواخرها.. فقد بدأ ظهور لعنة في القرية، وكانت تلك اللعنة هي السبب في تغيير مجرى حياته منذ عشرات السنين..

- أنت لا تفهمي يا سيد عزيز. أنا لم أقل لك إنها ليست بحودتي. كل ما قبلته لك إنها ليست موجودة الآن في المنزل. لقد تعرضنا للمسرقة منذ فترة وأنا منذ وفاة زوجي لا أقيم هنا بصورة مستمرة فكيف أحفظ بها في هذا المكان؟

اشتد غضب إيزاك وهو يقول:

- هذا ليس من شائي، لقد أخبرتك أنني سأمرّ عليك اليوم حتى نهي صفتنا ولكن يبدو أنك تراوغي..

- يا سيدي لماذا أراوغ؟ أنا أريد أن أتخلص من تلك البرديات أكثر منك. وخاصة أنك قد وافقت على كل طلباتي، فلماذا تشعر أنني قد أملكك بل على العكس.. في ميعادنا القادم سوف أحضر لك البرديات حتى عرفة فندفك، ولكن عليك أولاً أن تدفع عربوناً نقداً. فأنا لا أقبل الشيكات..

- عربون؟!، ياله من طمع.. وهل تظنين أنني أسير ومعني آلاف مؤلفة من المال في جيبي؟ لن أدفع عربوناً. سأدفع المبلغ كله حينما أستلم البرديات.. ولكن إذا لم تأت أو شعرت أنك تلبين بهذا الموضوع فثقي أن غضبي وفيها سيكون شديداً..

نظرت إليه فايزة في هدوء قائلة:

- أنا لا أفش يا سيد عزيز. هذا عمل وقلت لك أن تنتظر حتى ميعادنا القادم..

خرج إيزاك من منزل فايزة زوجة مجدي وهو يلح ذلك اليوم الذي أدخل قدميه في تلك الدائرة المعلقة. كان بمقدوره أن يهاتف جيمس

ولكنه أتر حتى ينتظر ليوم السبت ويضع يديه على البرديات المفقودة ليطيرهما إلى لندن في أول طائرة..

أشار إيزاك لأول تاكسي مرّ بجواره. ولكنه لم يلحظ أبداً ذلك الرجل الذي يجلس في انتظاره داخل تلك السيارة الزرقاء. والذي ظل واقفاً اسمل العمارة التي تسكن بها زوجة مجدي حتى هبط إيزاك.. فالتقى الرجل الغامض ببقية السيارة التي كانت معه. وأخذ في المساب مجدداً عندما رآه هابطاً المسلم..

كان الرجل يجلس متخفياً داخل عربة زرقاء اللون ذات زجاج أسود. وما إن تعرك التاكسي حتى تبعه الرجل الغامض في هدوء..

وفي عجلته غضب قاتل..

* * *

في مساء ذلك اليوم جلس جاسر في شروود ينظر إلى التلفزيون المعلق في الكافيه المملوك لادم. والذي ظل جالسا إلى جواره يتكلم ويتكلم دون حتى أن يلتفت إليه جاسر. الذي كان ذهنه مشغولاً بعشرات الأشياء.. كان يشعر بصداق قاتل لا يعلم هل هو بسبب بنزيمران الذي يحتل عقله. أم أن تلك بوادر نزلة البرد التي بدأت تلم به في الساعات الأخيرة..

كان فقط يريد التحدث.. كان يريد أن يشاركه أحد فيما يدور بهماطوره. ولكن لم يكن يستطيع فعل ذلك خوفاً من ذلك المخلوق، كما أن أحداً لم يكن ليصدق فسميهمه الجميع بالجنون.. كان يشعر أن مصيره سيكون كمصير أحمد في يوم من الأيام..

كان من داخله يريد إنهاء تلك اللعنة بأي طريقة. ولكن لإيهائها يجب الحصول على تلك البرديات، والتي لا يعلم عددها أو مكانها.. كل ما لديه من تلك المغامرة برديتين مجهولتان وإسم كاهن مجهول لم يذكره التاريخ..

لقد حاول أن يناقش الشيء المسمى بدزميران كما أخبره باسمه، لكن دون جدوى، فقد كان الأخير يعامله وكأنه سيد وهو التابع الذي يجب أن يطيع أوامره، كان ذلك المخلوق الغريب ينتقم لتدبير المقيمة الفرعونية والتي كان حارسًا لها..

مغامرة ما دخل فيها رغماً عنه ولا يدري عواقبها جيداً.. حتى ما جد أخوه سافر وتركه وحيداً. وبقية أفراد فريقه لن يصدقوه أحد منهم.. إنه يشعر وكأنه داخل دائرة مغلقة تصبى أكثر كل يوم حتى تكاد تقتله.

فأذهضوع يزداد تعقيداً وحاصبة بعد مقابلة ذلك الأجنبي الذي عرف نفسه باسم توم فقد كان يعلم أن وراء توم تنظيمًا منظمًا وليس هو الرجل الأول بل مجرد وسيط أو شخص ما يعمل لحساب أحدهم. والذي يكلفه بالمهام القذرة، والدليل على ذلك هو مراقبته لبيت أحمد ومحاولته لقتله أولاً أن تليه جاسر وبأخته هو..

ولكن اقتراحهم بهذه الصورة منه كان يجعل جاسر بين شقي الرمح.. ولا يدري ما سوف تطغى له الأيام القادمة..

كان يفكر جديدًا في الذهاب إلى ذلك المكان المنير الذي أخبره عنه بدزميران، كان يشعر وكأن هناك من يجذبه في تلك البقعة الملعونة.

ومن ناحية أخرى كان عليه أن يقابل الشيخ إلهامي، فقد كان يشعر أن لديه تلميذًا ما. وخاصة أن ذلك العجوز قد أرسل في طلبه على وجه السرعة..

كان اليوم هو يوم السبت، وقتها قرر أن يسافر يوم الاثنين إلى القبة، ولكن كان عليه أولاً أن يقوم بخطوة أخيرة في غاية الأهمية.. ويجب أن يقوم بها على وجه السرعة..

* * *

من المستحيل دوام السعادة طالما التصقت الروح بالجسد..

وعلى الإنسان تدريب روحه في هذه الحياة الدنيا..

حتى لا يضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى التي يستطيع فيها اجتلاء
آتونها..

هنا على الأرض يمكن أمل الروح في حياة الخلود..

وكثير من الناس لا يصدقون، ويمتدنون أنها حكاية فارغة تستحق
السخرية..

إذ أن ممتلكات الحياة الدنيا تبحث على السرور..

ومثل تلك المسرات تحقق الروح، وتربطها إلى الحياة..

تمتلكا أملاكا..

لم تولد مالم يكن ولكننا احتزنا أملاكا..

وكل ما يستخدمه المرء لإرضاء جسده غريب عن طبيعته الأولى..

والتي هي أشبه بالكائنات الإلهية..

تحويت..

في غضون العشرين يومًا التالية جمع الأمير «خا أم وامر» عرسه الشخصي وكهنة المعبد وكبير الكهنة «نفرو» وكذلك الحكماء «كاجمني»، ماركا وزبده الأول «حور» في القصر الملكي لمتابعة أحوال منصب. وسار في في موكبه باتجاه مدينة منعت نحو قبر الأمير «نفرو كا بتاح»..

كانت الرحلة شديدة الصعوبة. ولكن الأمير كان على استعداد لتعمل كل تلك المشاق من أجل الوصول لتلك البرديات المقدسة، كما لو كان مسحورًا وكأنه يسير إلى قدره الذي خطته له الآلهة..

أما الكهنة فكانوا طوال وقت بتلون صلواتهم داعين الإله أن ييسر لهم الأمر إن كان ما يفعلونه يرضي الآلهة. ولكن أكثرهم رعبًا كان كبير الكهنة «نفرو» الذي لم يشعر بأطمئنان أبدًا للعجوز «كاجمني» الذي أيقظ تلك الرغبة المدفونة لدى الأمير منذ سنوات وسنوات.. منذ بدأ في معرفة الأسرار الخفية للمعبد والإطلاع على الكتب..

فقد كان يشعر أن ما هم مقدمون عليه سيثير عليهم غضب الآلهة حتى لو كانت نيتهم نشر الخير والسلام، ومن ناحية أخرى فقد كان يخاف من تغير قلب الأمير حال وصول يده إلى الكتاب المفقود وأملاكه لتلك القوة.. ومن ناحية ثالثة فقد كان يخشى من حدوث سرقة للكتاب أثناء رحلة العودة من أي من الموتورين والذين بالتأكيد سمعوا عن الكتاب المقدس.. أما خوفه الأكبر فكان من الأمير «مرينتاح».. فدوافعه ليست كدوافع الأمير «خا أم وامر».. على الرغم من رحيل «مرينتاح» لتأديب بعض القبائل المتاخمة للبلاد ، فقط يرسل بعض أتباعه خلف الأمير ذاته لحمايته والاستيلاء على الكتاب.. بل وحرقه إن لزم الأمر.

لكل ذلك كانت الرحلة على «نفرو» من أشد الرحلات ثقلًا على قلبه، بل لعلها زادت عمرًا فوق عمره الذي تعدى التسعون عامًا..

وفي الليلة السابعة منذ أن تحرك موكب الأمير «خا أم واس» في رحلته لاستعادة الكتاب المقدس، وحين ضرب للأمير المعسكر قرب المكان الذي ذكره العجوز «كاجمي»، وفور وصولهم جمع «نفرو» مساعديه من الكهنة المقربين والذين كانوا عبارة عن أربعة كهنة من كبار كهنة المهبد وأخبرهم بكل مخاوفه ثم استدرك قائلاً:

- هذه كل مغالوي يا أبائي طرحتها عليكم ولا أدري كيف سنواجهها. لم أعرضها على الأمير فقد شغله العثور على الكتاب المقدس عن رؤية أي مضاطر تعيط به وبنا وبالكتاب المقدس. إذا حدث وصدق «كاجمي» ووجدته الأمير في المكان الذي دلّه عليه.

هز الكاهن «تب رع» رأسه موافقًا:

- يا سيدي الكاهن الأكبر.. معلن حق في كل كلمة قلتها. فما سنعمله على كواهنا عسير علينا أن نتعلمه. كما لن نتعلم فقد تلك التعاليم المقدسة أو حتى تعريض الكتاب للخطر.. والرحلة محفوفة بالمخاطر كما ترى.

ردّ الكاهن «أمي نخت»:

- تبنا لذلك العجوز «كاجمي»، إن هذا العجوز يثير ربنتي منذ اليوم الأول وكم كنت أود أن أجادله في البلاط الملكي. ولكن التعاليم المقدسة وتأثيره على الملك منعي من ذلك.

اعتدل الكاهن «واخموس» قائلاً:

يا سيدي الكاهن الأكبر.. إن في طريقنا العديد من القبائل الخارجة عن السيطرة وقطاع الطرق، وكم ظلمت من الوزير «حور» توجيه النصيح للأمير بتأديب تلك القبائل ولكن دون جدوى.. والآن ماذا سيفعل هؤلاء الخارجين عن القانون بعد أن نما إلى علمهم أن الأمير في رحلة بنفسه؟

هز كبير الكهنة «نفرو» رأسه في حيرة وقلق وهو يقول:

- وما الحل إذن؟ لم يعد لدينا سوى يوم بليلة للوصول إلى قبر الأمير «نفر كا بناح».. والممرية العسكرية التي تؤيّن لنا الطريق ربما تستطيع التصدي للخارجين على القانون في حالة حدوث اعتداء على الموكب ولكن لا أضمن ما سيحدث عند العثور على الكتاب المقدس والأمير يسير كما لو كانت حياته متوقفة على هذا الكتاب..

رد الكاهن «أمي نخت»:

- ألا تستطيع يا مولاي إنشاء عن عزمه هذا أو حتى إقناعه بالانتظار حتى يتم استقدام «مريّة أخرى للصماية».

هتف كبير الكهنة «نفرو» غاضبًا:

- أي هراء تتفوه به يا «أمي نخت»؟، أقول لك أنه يسير كما لو كانت حياته متوقفة على ذلك الكتاب وبالطبع لن ينتظر وقتًا آخر، فلو كان يريد ذلك لرسل معنا وحدة كاملة من الجيش، لكنه يظن أن الأمر سهل، والذي يتطّل له هذا الأمر بهذه الطريقة هو ذلك العجوز «كاجمي».

قال الكاهن سوتي:

- تنأ لهذا العجز. لا أحد يدري من أين جاء. وكل ما أخشاه أن يكون كل ذلك خدعة للتخلص من مولاي الأمير كما تحدثني فراسي.

التفت إليه «نفرو» غاضباً :

- وابن كانت تلك الفراسة عندما كنا نتباحث في القصر الملكي.. أنا أنون الآن بهذا الحديث؟

حاول الكاهن «واخموس» تهدئة كبير الكهنة قائلاً:

- هناك حل ما يلج في ذهني يا سيدي الكاهن الأعظم. ولكنه يعتمد على مدى ثقة الأمير بكاهننا الأعظم. ومدى ثقة كاهننا الأعظم في مساعدته المخلصين .

التفت إليه «نفرو» قائلاً في لهفة :

- تكدم يا «واخموس»... أثقتي بكم ليس لها حدود. فأنتم الأربعة من أشد كهنة المعبد إخلاصاً ومس كبار مساعدي. وبعد وفاتي سيتولى «أمني» نعت» منصب الكاهن الأعظم. ولا نلن أني قد قمت بتريبتكم منذ خمسة عقود على الأقل .

استجمع الكاهن «إخموس» شجاعته وبدأ في عرض فكرته قائلاً:

- عندما نتأكد فعلياً أن الكتاب المقدس موجود وأن الأمير وضع يده عليه. وبعد أن يعلم الجميع بذلك. وعندما يتحرك الموكب في رحلة العودة للقصر الملكي. وفي طريق العودة هناك قرية قريبة من مقبرة الأمير «نفرو كا بتاح».. وأنا أرى أن نضع أيدينا على الكتاب المقدس. بعد أن تستأذن عظمك الأمير «خا أم واس». ثم باعتبارنا أقدم الكهنة وأكبرهم

مساً سيكون علينا أن ننقل نحن الكتاب حفاظاً عليه وعلى قدسيته. وسيكون ذلك مسراً. ثم بعد تحرك الموكب ليلتين نتحرك نحن الأربعة بالكتاب المقدس للحاق بكم بعد وصولكم في سلام. ولا صير في أن نسلط طريقاً آخر.

انفجرت أسارير كبير الكهنة عند سماعه لهذا الرأي قائلاً:

- ونعم الرأي يا واخموس..

قال الكاهن «تب رع»:

- فعلاً يا مولاي الكاهن الأعظم. فذلك سوف يبعد الأنظار تماماً عن الكتاب. فالك سيطر أن الكتاب بعودة مولاي الأمير «خا أم واس». ولو حدث أي مكروه فسيكون الكتاب في أمان .

اعتدل الكاهن «أمني نعت» قائلاً:

- سيدي الكاهن الأكبر «نفرو» إن لدي اقتراح آخر فأنا أخاف أن يصيب الكتاب المقدس أي مكروه. سواء كان مع مولاي الأمير «خا أم واس» أو حتى في حوزتنا. فإذا وصل الكتاب إلى الأمير فمعنى ذلك أنه لن يطلع عليه أبداً. وسيظل في الخزائن الملكية. وقد تمتد إليه أيدي لا نضمن دوافعها. وربما قامت بحرق الكتاب أو التخلص منه. كما كان يقترح الأمير «مرنبتاح». لذلك لدي اقتراح بسيط أرجو أن توافق عليه..

أشار إليه الكاهن الأعظم قائلاً:

- قل ما لديك يا «أمني نعت» .

استطرد «أمنى نخت» قائلاً:

- إن أخي الكاهن «واخموس» قد اقترح أن نمكث نحن الأربعة بالكتاب المقدس ثم نتحرك للفاكم في المكان الذي سيتم الاتفاق عليه مسبقاً ولكن في اتجاه آخر منعاً لأي شبهة. ولكن ماذا لو حدث مكروه لنا.. أي مكروه كان.. ماذا سيكون موقف البلاط الملكي والمعبد الجنائزي؟ وماذا سيكون مصير الكتاب؟

عقد «نفرو» حاجبيه متفكراً:

- بالطبع سيكون موقفنا في متنبى السوء. لأننا من اقترحنا ذلك بالإضافة إلى الخسارة الفادحة في فقدان تعاليم الحكم تعوت وفقدان السر الأعظم من فم الآلهة.

رد «أمنى نخت» قائلاً:

- لذلك اقترح يا سيدي أن ننقسم إلى مجموعتين. أعود و «تب رع» في اليوم الثاني، ثم يعود «واخموس» وسوتي في صباح اليوم الثالث.

تساءل «نفرو» في حيرة:

- وما الجدوى من ذلك أنها الكاهن؟

أجابته الكاهن «أمنى نخت»:

- سوف نقوم بأمر ما سراً.. نهظل هذا الكتاب المقدس في المعبد الجنائزي، ولا يطلع عليه أحد إلا كبار الكهنة، وإذا حدث أي مكروه للكتاب فسيكون معنا كتاب آخر.

اتسعت عينا الكاهن «تب رع» وهو يقول:

يا أتون المعظم!!، أتقصد أن نقوم بتدوين التبرديات المقدسة خلال اليومين الذين سيقى قههما ليكون معنا نسخة أخرى من الكتاب؟!

وما «تب رع» برأسه موافقاً:

نعم تماماً.. هذا ما أقصده بالضبط.

أكمل الكاهن الأكبر نفرو:

ويعطي النسخة الأصلية لمولانا الأمير «خا أم واس». ثم يحتفظ بالمعبد بنسخة من تلك التعاليم المقدسة.. رانع يا أمنى نخت. هذا بالإضافة إلى أنه إذا حدث مكروه للنسخة الأصلية في طريق العودة سوف تكون هناك نسخة أخرى مع المجموعة الثانية منكم.. ويحتفظ المعبد الجنائزي بنسخة من الكتاب المقدس دون أن يعلم أي شخص حتى الأمير نفسه.. باله من هدف مقدس أن تمكموا أنتم الأربعة على نسخ الكتاب بأيديكم الكريمة.. سوف تنال أرواحكم السعيدة والسلام.

قال الكاهن «تب رع» في قلق:

- ولكن هذا الأمر خطير جداً يا مولاي الكاهن. فلو علم الأمير «خا أم واس» أن كهنته المقربون قد قاموا ببيع الكتاب المقدس سوف تصعب كارثة. وربما وجدنا أنفسنا في أحد أذرية الصحراء لقضاء بقية عمرنا

رد الكاهن سوتي:

- ومن مبيخرة أنها الكاهن «تب رع».. لقد أقسمنا على العمل لصالح المعبد. وكل ما يخص المعبد من أسرار كهنوتية لا يحق لأي فرد حتى جلاله الفرعون الأعظم سليل الآلهة الاطلاع عليها رغماً عنا. وكل ما

ساقوم به يصب في صالغ المعبد. لكي يتم استرداد ذلك الكتاب القيم.
كل ما هنالك أنا يجب أن نهي نسخ تلك التعاليم في غضبون يومين فقط
وقد يزيدان عن يومين إذا سلكنا طريقاً مختصراً للعودة إلى منف..

أوما الكاهن الأعظم «نفرو» برأسه موافقاً:

- تماثا أيها الكاهن سوتي.. كل ذلك في صالغ المعبد يرجوع تلك التعاليم
المنسية.. والان سوف نعيد خطة التحرك وتقسيم العمل مرة أخرى.
ولكن عليّ أولاً أن استأذن الأمير «خا أم وام» في الجزء الأول من
الخطـة.. سأذهب إليه الآن في خيمته. فلا تتحركوا من هنا حتى أعود.

وانطلق كبير الكهنة «نفرو» ليبدأ في تنفيذ ما اتفق عليه مع الكهنة
الأربعة، الذين لم يمر بخلدهم أن ذلك الاتفاق سيغير مجرى حياتهم..

والى الأبد..

في اليوم الثاني كان الجميع يقفون أمام مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. وكما
حدث من قبل كان كبير الكهنة يتلو صلواته ويردد من خلفه مساعدوه
ويكثرون من التضرع.. أما الكاهن «كاجمني» فكان يشرح للأمير ما
سيحدث عندما يرفع الحراس الحجر الكبير الذي يغطي مدخل المقبرة..

فالمقبرة لن يدخلها سوى الأمير مع الكاهن «نفرو» ليرفعا الكتاب. فليس
بمقدور أي أحد غيرهما أن يمس الكتاب المقدس إلا أبناء الآلهة المقدسة
وكذلك كبار الكهنة..

وما إن فرغ الحراس من رفع الحجر الضخم الذي يغطي المقبرة حتى
فوجيء الجميع بنور ينبعث من داخل المقبرة. حتى إنه أثار الفرفة
الخارجية للمقبرة.. وبمساعدة الحراس نزل الأمير «خا أم وام» إلى
أسفل يتبعه الكاهن «نفرو». الذي كان لا يزال يتلو صلواته للإله رع
ويؤكد له أن كل ما سيقوم به هو لنشر التعاليم المقدسة وطمس كل ما
قد يستغدمه البشر في نشر الشر.. فقد كان يرى من داخله أنه يؤدي
بذلك خدمة للمعبد المقدس.. أما الكاهن «كاجمني» فأخذ يتلو صلواته
خارج المقبرة وهو ينتظر على أحز من الجمر..

وعندما نزل الأمير والكاهن «نفرو» إلى الداخل وجدا أن النور ينبعث
بشدّة من صندوق صغير من الأبنوس كان مفتوحاً وبداخله وُضِعَ
الكتاب..

مدّ الأمير يده ليمسك بالكتاب فوجده مقسماً إلى خمسة أجزاء .. تناول
منها الأمير الجزء الأول والذي كان يحتوي على عدة برديات أمسك منها
الأمير البردية الأولى وفتحتها باحتراع شديد وبدأ في القراءة:

((إن الحكمة الخالصة هي الجهد الروحي في التأمل المستمر للوصول إلى
معرفة الإله الواحد آتون ..

لكن سيأتي زمان لا يطلب فيه أحد بذل جهد في الحكمة بظهاره قلب
ووعي ..

إن أولئك الذين يحملون الضئيلة في نفوسهم سوف يحاولون مع الناس من
اكتشاف هبة الخلود التي لا تقدر بثمن ..

والحكمة ستصير غامضة مغلفة بصعوبة الفهم .. وستعدها النظريات الوهمية، وسوف تشترك في حيل العلوم المخيرة . كالرياضة والموسيقى والهندسة، إذ أن تلك العلوم تكشف عن أن دارس الحكمة الخاصة هو دارس لكل العلوم لا كطريات مفهومة، بل كولاء لآتون، إن المحار، وقوة البوار، وصخامة احرام الطبيعة تركي، الرهبة أمام إبداع عالم كامل النظام بقوة الأرقام، لقياس أعماق الخالق وحكمته المتعالية والذي نظم في حمال كل تلك الأصوات المشوغة في أن أسرار الموسيقى تشهد على مقدرة لا حد لها للصانع بنغم جذاب وحدة شاملة مفهومة .

داخليا حب طاهر لآتون يؤيده فكر ونوح قلب، وإثناغ الخير الذي يريد، فهو الحكمة التي لا تلونها الأهواء الدينية أو الآراء القارعة .

غير أني أتوقع أن يأتي في قادم الزمان متكلمة أذكباء، غايتهن خداع عقول الناس لإبعادهم عن الحكمة الثقية ..

وفي تعاليمهم سوف يدعون أن إخلاصنا المقدس كان بلا جدوى، وتقوى القلب وعبادة آتون التي يرفعها إليه المصريون ليستا سوى جهل صانع ..

مصر صورة للسماوات ويسكن الكون كله هنا في قدس مبدعها ..

لكن الإله سوف يهجرها، ويعود إلى السماء، ويرتحل من هذا البلد الذي كان مقراً للروحانية ..

ستصبح مصر مهجورة .. موحشة .. محرومة من وجود الإله .. يحتلها الدخلاء الذين سيتكبرون لتقاليدنا المقدسة ..

إن هذا البلد الزاخر بالمعابد والأضرحة .. سيضحى مليئاً بالحث والمآثم ..

والنيل المقدس سوف تخصصه النداء .. وستفيض مياهه محملة بالقبح ..

هل يحملك ذلك على البكاء ؟ .. بل سينجم ذلك ما هو أتكى ..

إن البلاد التي علمت الروحانية لكل الكائنات الإنسانية، وأحبت الإله يومًا .. فهذه البلاد ستفوق على الجميع في العنف ..

وسيعرف المصريون بلغتهم فقط .. كما سيتجاوز عدد المولى الأحياء وعدد الذين اختفوا من على وجه الأرض ..

وأسوأ أعمالهم أن تختلف عن أعمال الأجناس الأخرى ..

آه يا مصر ..

لن يبقى من دينك شيء سوى لقب فارغ .. ولن يبق تصديقاً حتى من ابتلائك أنت نفسك ..

لن يبقى شيء يروي عن حكمتك إلا على شواهد القبور القديمة ..

سيتعب الناس من الحياة .. ويتكفون عن رؤية الكون كشيء جدير بالحب المقدس ..

ولسوف تصبح الروحانية .. التي هي أعظم بركات الله مهددة بالضماد وعبثاً تقريباً بغير احتقار الغير ..

ستضحى مصر أرملة .. فكل صوت مقدس سيحتر على الصمت ..

وتقتل الظلمة على النور .. ولن ترتفع عين إلى السماء ..

سيدمغ الصالح بالبلاهة .. وسيكرم الفاسق كاله حكيم ..

وسيطر إلى الأحق كانه شعاع.. وسيعتر الفاسد من أهل الخير..

وتصح معرفة الروح الخالدة عرصة للسخرية والإنكار.. ولا تسمع ولا تصدى كلمات تمجيد وثناء تتجه إلى السماء..

لقد كنت الشاهد من خلال العقل الواعي على ما حمي في السماء . وبالتأمل وصلت إلى معرفة الحقيقة، وصتها في هذه التعاليم المقدسة المتون . وقد دونت أسرار الإله في رموز هيروميس العظيم لأننا كأول إنسان وصل إلى جمع المعرفة ..

ولقد سجلت في هذه الصخور ..

وأخفيتها لعالم المستقبل ..

الذي سوف يحاول الإنسان خفية .. بحروف مصرية مقدسة . البحث عن حكمنا المقدسة)..

توقف الأمير عن القراءة وهو مهوور بما قرأه والتفت إلى الكاهن الأعظم قائلاً:

- ما أعظم كلمات إلهنا الأعظم.. أي تعاليم تلك التي تمس أوتار القلوب، أيها الكاهن «نفرو».. إن تلك الكلمات على قدر ما أثارت أشجائي على قدر ما أخشى حدوثها.. إنني أعشى على مصر من تحقق أي من تلك النبوءات المؤلمة.. أي عصر سوف تحدث فيه تلك انفكبات..

- لا أدري يا مولاي الأمير فلم أطلع عليها بعد، ولكن أذن لي في استدعاء مساعديني الأربعة لاستكمال ما اتفقنا عليه يا مولاي.. إن الوقت

بداهمنا ولا ندري ما ينتظروننا خارج أبواب تلك المقبرة، فربما كان أحد المهتمين بهذا الكتاب يقتني أثرنا حتى نتوصل إلى تلك البرديات..

ولكن يا «نفرو» أنت ترى إن معنا فرقة كاملة من أشجع الحراس ونستطيع أن...

قاطعه الكاهن الأعظم «نفرو» قائلاً:

مولاي الأمير اسمح لي.. إن هذا الكتاب ليس مقدساً فقط عند أبناء الآلهة، بل له أهمية كبيرة جداً داخل المعبد الجنائزي لما قد يحتويه من تعاليم قدسية نريد أن نحفظ بها إلى الأبد.. لذلك أرجو أن تسمح لنا أن نكس ما اتفقنا عليه أمس.. وسوف يتم تقسيم الكتاب إلى أجزاء حتى إذا تم فقد أحد الأجزاء فسيكون ذلك أخف ضرراً من فقد الكتاب بأكمله.. وبعد تحرك الموكب وأثناء مروريا بالمعبد الغربي بالقرب من هرم ميدوم سوف أطلب من مساعدي الموكب يومين، لإجراء بعض الصلوات في المعبد حتى لا نلتم الأنظار إليهم، ثم عليهم أن يلحقوا بنا في القصر خلال يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير ويعودتهم الأجزاء المقدسة .

- نعم الوأي يا «نفرو»، ولكن ستترك هذا الجزء من الكتاب بين يدي لأنني لن أتمكن صبراً حتى رجوعي إلى القصر، لابد أن أكمل قراءة ما بدأتُه الآن..

أوما كبير الكهنة برأسه موافقاً:

- لك ذلك يا مولاي .

وقام بالدعاء على المساعدين الأربعة، الذين هبطوا إلى المقبرة في صمت وحشوع بحجة إكمال الصلوات والترانيل المقدسة.. وأخذ الأمير الجزء

المخصص للمقدمة، وذهب إلى جوار التابوت، وجلس على أحد الكراسي الملكية داخل المقبرة، وشرع في قراءة أجزاء أخرى من الكلمات المقدسة تاركاً «نفرو» الذي شرع في الحديث إلى مساعديه الأربعة بعد أن أخذ في استيعاب أجزاء الكتاب، فقد كان مكوناً من خمسة أجزاء أحدهم جزء المقدمة التي يحتفظ بها الأمير. فاقترب من مساعديه وهمم بصوت خفيض:

- لقد قسمت الكتاب إلى أربعة أقسام يا ابنائي، فالجزء الذي يقرأه الأمير ماهو إلا مقدمة فقط، أما الأجزاء الهامة فهي أربعة أجزاء، سوف تتولون أنتم نسخ ما سأوزعه عليكم، وعندما نمر في طريقنا بالمعبد الغربي بميدوم، سنتخلفون أنتم لتبقون في المعبد الصغير في غرفة خاصة، وسأنبه على الجميع هناك بعدم إزعاجكم لمدة يومين، حتى تبون تلك المهمة المقدسة، ليس خدمة لأحد، بل أنتم تخدمون المعبد المقدس وتخدمون الآلهة بتقليد ذكراهما وتقليد كلمات تعوت المقدسة، وسوف نلتقي في القصر كما حددنا خطة التحرك لكل منكم..

أما الأجزاء فمأوزعها عليكم على حسب أصغركم لأن الأجزاء تتدرج من خمس برديات حتى عشرين بردية في كل جزء..

ثم التفت كبير الكهنة إلى الكاهن «امى نخت» مستكلاً:

- «امى نخت».. أنت أكبرهم سنًا وأقلمهم جهدًا وسوف تنولي الاحتفاظ بالجزء الخاص بهراس الكتاب المقدس من العوالم الأخرى وبرديات اللعنة المقدسة، وهي خمس برديات سوف تقوم بلمسها كما وجدت في غضون يومين..

وَمَا «امى نخت» برأسه موافقًا:

لك ذلك يا سيدي الكاهن الأعظم.

التفت «نفرو» إلى «تب رع» قائلاً:

أما أنت يا «تب رع» فمستحق تحفظ بالجزء الخاص بطقوس السحر المرموني، وهو جزء خطير جدًا، وعليك أن تتلو صلواتك باستمرار طوال فترة النقص، وأنتم جميعًا لا تتوقفوا عن التضرع للآلهة، وهذا الجزء يا «تب رع» عشر برديات سوف تلمسها كالكاهن «امى نخت».

- سأبذل قصارى جهدي يا كاهننا العظيم..

- أما أنت يا «واخموس» سوف تتولى الجزء الخاص ببرديات طقوس الكتاب وكيفية عدم إضرار العالم الآخر لكل من يقرأ تعاويذه والصلوات الخاصة والأدعية الخاصة بذلك، وهم خمس عشرة بردية وأنا على ثقة أنك ستبها في اليومين المحدثين حتى تخرج مع الكاهن «امى نخت» في طريق العودة..

التفت إليه الكاهن وأخموس:

سيدي أنا لذي من المهارة أن أقوم بنسخ كل الكتاب في يوم واحد فقط..

نظر إليه الكاهن الأعظم «نفرو» قائلاً:

- إذا انتهيت من نسخ الجزء الخاص بك، فحاول أن تساعد أيًا من الكهنة الآخرين.

- بالتأكيد يا سيدي..

- أما أنت يا سوتي فأنت أصغرنا وأشجعنا، لذلك عهدت إليك بأخطر جزء في البرديات، وهو كيفية تسخير القوة الطبيعية لتصبح طوع أمرك،

وهذا الجرح عبارة عن عشرين بردية. لك من الوقت ثلاثة أيام حتى تنهيا
ثم تخرج مع الكاهن «تب رع» في طريق العودة..
- لك ذلك يا سيدي .

تهب «نفرو» بارتياح بعد أن وزع البرديات على الكهنة الأربعة قائلا:

- وهكذا نستطيع أن نصل بالكتاب إلى خزان الأمير ونسبغنا المقدسة
إلى خزانة أسرار المعبود.. سوف يذكر لكم التاريخ يا ابنائي ويعلمكم تلك ما
حببتكم وحتى بعد رحيلكم.. وبذلك يكون جمعنا الجزء الأهم من التعاليم
فمولانا الأمير لديه عشر برديات من مقدمة الكتاب. وما نحن معنا
خمسون بردية. ليهكون مجموع الكتب ستين بردية. والآن هيأ يا ابنائي
فليحفظ كل منكم بالبرديات التي أعطيها له ولنبدا في تنفيذ ما اتفقنا
عليه .

أوما الكاهن «أمنى نخت» قائلا:

- نعم يا سيدي..

تركهم الكاهن الأعظم «نفرو» بعد أن فرغ من الحديث معهم وتوجه إلى
المكان الذي يجلس فيه الأمير قائلا:

- مولاي الأمير «خا أم واس».. لقد انتهت من تقسيم الكتاب. وسوف
أحكى لك على محتواه أثناء رحلتنا.. والآن هيأ بنا لنفادر المقبرة .
- يا «نفرو» إن تلك الأجزاء من مقدمة الكتاب. لن أستطيع أن أفسر لك
مدى شعوري بكل حرف خطت به.. وسوف نقرأها سويا هذه الليلة لقد
صدق الحكيم «كاجمني» أنها كتبت من قلم الآلهة المقدسة..
- نعم يا مولاي. والآن هيأ بنا فلنكمل حديثنا في الخارج..
- نعم.. نعم هيأ بنا فلنخرج الآن .

* * *

كانت قابضة لا زالت متوترة من المقابلة المحدد لها اليوم مع إيراك أو
السيد عزيز كما عرفها بنفسه. فقد ظلت تدور داخل شقتها المتواضعة
وقد نظرت للمرة العاشرة إلى ساعة العائط التي كانت تشير إلى الثانية
عشرة ظهرا فلم يجد باقي على ميعادها معه سوى ساعة كاملة..

دلعت مرة أخرى إلى غرفة نومها ووقفت بجوار خزانة ملابسها ومدت
بدها لحملها حتى أخرجت حقيبة مغلقة بإحكام. واطمأنت أنها لا زالت في
مكانها منذ أن وضعها زوجها في هذا المكان. وأوصاها ألا تفتتحها أبدا مهما
كانت الأسباب ومهما كانت الدوافع. ورغم اطمئنانها عشرات المرات عليها
إلا أنها كانت دائما تخشى من سرقة هذا الكنز كما كان يخبرها دائما
زوجها. وكانت تشعر أن لكل شيء وقته. وهما هو وقتها يأتي تمانا كما تم
التخطيط له بدقة. كانت تلتظر وتنتظر وتدعو الله أن تحصل على
مبتغاها في أقرب فرصة..

أما إيراك ففي هذا الوقت تمانا كان يهبط من الفندق ويده حقيبة
صغيرة. كان يلتفت يمينا ويسارا وهو يتأفف من حَرِّ القاهرة في هذا
الوقت..

اقتربت منه سيارة أجرة فما لبث أن أشار إليها واستقلها في طريقه إلى
المكان الذي اتفق عليه مع زوجة مجدي..

كان الطريق في ذلك الوقت من منتصف النهار في القاهرة مكتظ بزحام
شديد.. مما جعل الجو خانقا والسيارة لا زالت تسير الهويي.. فما لبث
أن قال للسائق بعد أن نظر إلى ساعته..

- من فضلك حاول أن تسرع. لدي موعد هام وأخشى أن أفوته .

- كما تأمر يا سيدي، ولكن الطريق كما ترى، وفي القاهرة طالما لديك موعد لابد أن تكون في الطريق قسماً بمساعتين على الأقل و...

قاطعه إيزاك متأنقاً:

- لماذا تتحدثون كثيراً ؟ لقد علمت ذلك.. والأول حاول أن تميز في أي طريق جاني. فأنت تسير في الطريق الرئيسي منذ أكثر من نصف ساعة.

- كما تريد يا سيدي..

وانحرف السائق بشدة ناحية اليسار قاطعاً الطريق على السيارات القادمة من الجهة المقابلة، وطبعاً كان لابد أن يتبع ذلك ميل من الحساب سواء من إيزاك أو من سائقي السيارات المقابلة.. وانطلقت السيارة تسير بسرعة نحو إحدى الطرق السريعة المؤدية إلى القاهرة الجديدة، حيث اختارت فائرة ذلك المكان الثاني في أحد المولات هناك

لاح المول في الأفق فأخذت السيارة أحد الطرق الفرعية الغير مأهولة. وفجأة توقف السائق بالسيارة قائلاً:

- اعتذر منك يا سيدي، ولكن عليّ أن أقضي حاجتي..

نظر إليه إيزاك بدهشة واستنكار قائلاً:

- ماذا ؟!، تقضي حاجتك أين أنها المعنوة؟

أجاب السائق ببرود:

- خلف تلك الشجرة يا سيدي..

نظر إليه إيزاك متعزّزاً وهو يقول :

ماذا ؟!، أنت تهذي ؟!، ألا زالت تلك العادات القذرة متأصلة في
عقولكم ؟

ثم يرد السائق بل نزل سريعاً متجهاً إلى إحدى الأشجار القريبة من
طريق وما لبث أن اختفى وراء تلك الأشجار بحاجب الطريق من الوقت
بضعاً على إيزاك، ونظر إلى ساعته للمرة العشرين خلال عشر دقائق..
واحد ينادي على السائق ولكن دون مجيب، فترك من السيارة ليحصر
ذلك السائق الماهون وأخذ ممتدح السيارة معه، واتجه إلى تلك الأشجار
حيث اختفى السائق وهو ينادي عليه دون جدوى، فقرر أن يتحرك
بسيارة، وليذهب السائق إلى الجحيم..

ولكنه عندما التفت عائداً إلى السيارة باغتنه ضربة قاتلة على رأسه..
فسقط على الأرض مغشياً عليه والدماء تسيل من رأسه بفزارة.. هروء
وقب السائق ليقرب من ذلك المجهول الذي بعث إيزاك وهو يقول له
بصرع

سيدي هذا ليس اتفاقنا.. لقد قتلته.

لا تغلق فلم أقتله أيها الغبي.. أنا فقط أفقدته وعيه لحساب قديم
بيننا، والآن ساعدني في نقله لسيارتك..

هف السائق بقلق وتوتر:

وأين ميارتك تلك؟

- لقد أخفيها وراء تلك الأشجار.

ساعده السائق في حمل إيزاك الذي لا زال قاذفًا للوعي وقاما بوضعه في حقيبة سيارة ذلك المجهول بعد أن قاما بتقييده وأخذ الحقيبة التي كان يحملها، واستدار السائق ليتصرف مسرعًا، إلا أن ذلك المجهول استوقفه لبعطيه مبلغًا من المال . كان السائق يرتعد وقد اشتد رعبه حينما واجه تلك العيون المارية لذلك المجهول المثلث الذي قال له:

- تستطيع الآن أن تتصرف ولا تلمس إبلاغ تحياتي للسيد رافت وأبلغه أنني سأزوره قريبًا..

أوما السائق برأسه في ثوتر وانطلق سريعًا ليستقل سيارة الأجرة لاعما رافت مالك السيارة الأجرة الذي أجبره على فعل ذلك..

انتظر الغرب حتى اختفت السيارة وبعدها تناول حقنة ما من حقيبة داخل السيارة واقترب من إيزاك الذي كان قد بدا في التأوه، ثم عررما في ذراعه ليهذب إيزاك في غيبوبة عميقة..

* * *

بعد حوالي ساعة من الحادث كان إيزاك قد بدأ يفيق من غيبوبته شيئًا فشيئًا.. حاول أن يبصر المكان الذي حوله ولكن كان الظلام يعيط به من كل جانب.. كان مقيّدًا بشدة في أحد الكراسي المشبّعة المثبتة إلى الحائط.. حاول أن يصرخ طالبًا النجدة ولكن لم يسمعه أحد.. وبعد عدة دقائق شعر أن هناك من يفتح بابًا حديدي في الأعلى فأدرك أنه في قبو ما.. تبع ذلك نزول شخص ما حتى ملم حديدي وهو يجر شيئًا معدنيًا كان يحدث صوتًا مزعجًا عند ارتطامه بالسلاسل..

سمع إيزاك صوتًا شعر أنه مأثوف لديه يقول بغضب:

«تأ لك أيها المقاتل المخادع.. كنت تريد أن تخدعني؟»

حاول إيزاك أن يتخلص من قيوده وهو ينفث بتوتر:

- من أنت؟ . أظهر لي في الضوء إن كان لديك ذرة من شجاعة ولنفك فيدي وسوف ترى أي عقاب سوف أحله بك..

- سترى عواقب فعلتكم أيها الكلب المخلص لسميدك الإنجليزي . أنتل أي كنت أجهل لعنتكم الحقيرة ؟ حتى حقيقتك اللعينة ممثلة بأوراق بيض لها أي أهمية..

كان المجهول يقترب من إيزاك حتى وصل إلى منتصف العجيرة، وما إن إقترب منه حتى رفع يده ليجذب سلكًا حديدًا يتصل بالمصباح الكهربى مباشرة، مما جعل إيزاك يجفل من شدة الضوء فأغلق عينيه سريعًا، ولكن المجهول اقترب منه مباشرة وجذبه من شعره صارخًا:

- فلنفتح عينيك جيدًا أيها الكلب حتى ترى فعلتكم..

حاول إيزاك أن يفتح عينيه بالنترج ولكن بمجرد رؤية الوجه الذي أمامه صرخ رعبًا قاتلاً:

- أنت؟ ، كيف حدث ذلك؟

- نعم.. أكنت تنوي خداعي.. لقد ظننتي ساذجًا لأصدقكم .

وترجم تلك الجملة بضربة مائلة على قدم إيزاك بعصي حديدية كانت في يده مما جعل إيزاك يصرخ رعبًا وألمًا.. عاجله المجهول بضربة أخرى سمع معها صوت تشم عظام إيزاك الذي زاد صراخه من شدة الألم والمجهول ينظر إليه بتشفّ قاتلاً:

- هذه ليست إلا بداية لعذاب. سوف تعترف لي بكل ما لديك، ربما وقتها أفكر في أن أفتلك مباشرة دون عذاب..

أتبع المجهول قوله بضحكة هستيرية استكمل على إثرها:

- ولتصرخ كما شئت. فلن يسمعك مخلوق. ستتعب وتستريح وتستكمل طائفا للرحمة..

خفقت عن غسك! لعذاب ولتبدأ منذ البداية.. أين حقيقة المال؟

كان إيزاك لا يزال يصصر ألما مما جعل المجهول يقترب من ظهره قائلاً:

- يبدو أنك مستصعبت مجدداً.. إذن..

أتبع كلماته بضربة أخرى هشم معها كف يد إيزاك الذي زاد صراجه طائفا للرحمة..

- سأخبرك بكل ما تريد.. سأخبرك.

* * *

في صباح اليوم التالي وعلى الرغم من إجهاد جاسر كان عليه أن يذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية لمقابلة دكتور إسلام ليطلع على ما حدث من تطورات في حالة أحمد، وزيارة أحمد ليحاول معه مرة أخرى، ولكن إسلام لم يعطه أي نتائج مبشرة بل على العكس..

- هذا ما حدث تحديداً يا جاسر.. الحالة تسيء من ميو إلى أسوأ دون أي سبب مفهوم. فقد زادت تلك الهلوس بشكل كبير. كما زادت محاولات الانتحار بصورة مستمرة وبأي وسيلة كانت، بل وصل الأمر لمحاولة قتل

من يمنعه.. ولذلك فإننا نبقية دائفا تحت تأثير المهدئات لقد أصبح وكأنه جثة هامدة، بالإضافة إلى أنه فقد سمعه.

- هل فقد سمعه؟

- نعم يا جاسر. ولا بدري ما سبب ذلك، فعائلته تتدهور سريعاً فقد رفض الأكل والشرب.. لذلك اضطررنا للجوء إلى المعاليل لتبقية حيا..

ظهر على وجه جاسر علامات التأثر وهو يقول:

- سكين يا أحمد، خفف الله عنك..

- لا أعرف يا جاسر ربما يكون الموت أرحم له. فالتير الهلوس في أغلب الحالات يؤدي إلى الانتحار.. لقد أصبحت ملامحه مرعبة وكان شياطين الجحيم تملكه.

- ألم يقل في أثناء إفاخته أي معلومات ذات قيمة يا إسلام؟

- لا يا جاسر. لقد أصبح الآن يتحدث ببهجة غريبة أو لغة عربية لم أسمع مثلها قط قبل ذلك.

- وما تفسير ذلك؟

- قد لا تصدق ذلك ولكني أكاد أجزم أن هذا الشخص ممسوس.. والذي منه شيء غير طبيعي بالمرة، فهو يختلف عن الحالات الأخرى التي رأيها لأشخاص ممسوسين من قبل..

- فليكن الله بعونه.. هل أستطيع رؤيته يا إسلام؟

- صعب ذلك جدًا يا جاسر فهو كما أخبرتك تحت تأثير مهدي.. وهو نائم
أغلب الوقت ولن يستطيع الإفاقة قبل عدة ساعات ولكني سأجعلك تراه
من بعيد .

وخرجنا من المكتب قاصدين غرفة أحمد والتي استأذن إسلام في أن
يدخلها بمفرده لمتابعة الحالة أولاً. وظل جاسر واقفاً على باب الغرفة
بهذه بعد أن دخل إسلام ولكنه نظر من فرجة ضيقة في الباب فوجد
وجه أحمد كأبيض ما يكون فلم يستطع احتمال المشهد. فأغلق الباب
سرياً متألماً مما أصاب ذلك المسكين .

* * *

- يا سيدي بنزميزان.. إن الوضع يسوء.. وما أنا ذا أتبع تعليماتك بدقة
ولكن للأسف كلما اقترب أكثر من حل الموضوع يتحرك بعيداً عني.. وأكاد
أن أصبح مجنوناً تماماً. ولا أدري من يدفعني.. أنا لم أخالف تعليماتك..
لم أفعل إلا ما تأمرني به يومياً.. ولا أدري ما الخطوة القادمة .

- هناك.. الخطوة القادمة هناك كما أمرتك.. في المكان المثير حيث
ستسطع أمامك شمس الحقيقة لشرب من مائها العذب الذي سوف
يروي ظمأك نحو المعرفة..

- أي معرفة يا سيدي؟ كل ما أريده فقط هو جمع البرديات المفقودة
ووضعها في المكان المنشود..

- هناك أيها الإلهمي سوف تبدأ رحلتك العالدة من مقبرة «أمي نعت».

- لقد بعثت يا سيدي لا يوجد أي كاهن بهذا الاسم.

- هم من معوا ذكراهم من الزمان تلهياً لكلمات الآلهة .

- سيدي.. إن كل ما تتفوه به يعجز عقلي المتواضع عن إدراكه .

- اذهب أيها الإلهمي.. هناك سوف تقرأ ما تجهز عينك عن قراءته.

خرج جاسر من الغرفة وهو لا يدري آكان يهدي كهاده أم أن تلك
توجيهات بنزميزان. والتي أملاها له وهو مجتمعا معه في تلك الصحرة
الصغيرة .

كان يتصيب عرفاً كهاده عندما يكون في حضرة ذلك الكائن. وفي تلك
الليلة صمم أن يكون غداً هو بداية رحلته إلى المكان المثير .

* * *

لم يصدق جاسر نفسه وهو يدلف إلى المقبرة المنسودة حيث عرف طريقها عن طريق ملف التحقيقات الذي سلمه إليه راشد.. وكانت تقع بجوار ثلاث نخلات متخذين شكل ما.. لم يكن بجوارها سوى عدة مساكن مهجورة، فلم يتجرأ أحد من أهل القرية على البناء أو المكوث في ذلك المكان الكئيب، وخاصة أن المكان يطل عليه بمسافة ليمنت بعيدة مقابر الصدقة.. حيث يدفن من لا يعرف أهله أو أقرباءه.. وقد استعملت هذه المقابر في وقت ما ثم أغلقت بعد هذا منذ فترة طويلة دون سبب كما فتحت دون سبب.. وخاصة أن تلك المقابر كان يمكنها الجن كما أخبره الحاج مراد عم هند.

كان المنزل مهجورًا تمامًا حتى من الصغير الذي يحرسه. والذي لم يتواجد كمادة الضفراء الذين يحرسون شيئًا ميمًا بالنسبة لهم.. فهو لا يعلم أي أسرار كانت تحتويها تلك المقبرة، فمن وجهة نظره هو يعرض فقط مجرد جدران، وهي ليست قابلة للمسرفة.

لذلك لم يجد جاسر أي صعوبة في التسلل إلى المقبرة بعد أن ترك سيارته بالقرب من المنزل وتسلل إليه.. كانت عقارب ساعته تشير إلى العادية عشرة من صباح يوم الاثنين..

دخل المنزل فوجد فتحة بأرضية الحجرة فزّل فيها بعد أن أغلق الباب الخارجي.. وتوجه إلى العائط مباشرة وألقا مصباحه الضوئي إلى الجدار.. الذي كان مليئًا بالرسومات الرائعة، ولكنه انتفض فجأة حينما وجد نفسه يقرأ ما هو مكتوب على العائط.. دون معرفته باللغة الهيروغليفية، ولكنه كان يقرأها كما كان يقرأ العربية مما زاد من رعيه..

رفع المصباح للأعلى ليقرأ ما هو مكتوب بدقة.. فلما رعت دقائق قلبه مع كل حرف يقرأه:

يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة..

إني أنتظرك..

يا من توجد خلف الجدران..

إني أنتظرك..

فلتأت عبر الزمان حيث لا يقف أمامك حائل..

لنقتص لتلك المقدمة ممن ينتهك أسرار المعبد المقدس..

إني أنتظرك..

شعر جاسر بدقات قلبه تتصارع وتتسارع، وتطفو في عقله آلاف الذكريات دون سبب أو تفسير.. وهو يقترب أكثر من العائط المجاور ليقرأ بقية اللغز:

لقد أتت عبر الزمان.. بجوارك للأبد..

يا من جئت لتسرق لن أسمع لك بتدبير المقبرة..

فأنا حامى أم تب وا سو المكرمين في سطور اللغز..

لقد حنت أحوم حولك لأحميك أيها الكاهن الأعظم..

لقد أتت أدافع عنك..

إن قوتى تضد ظهرك وقوتى ستكون وراءك للأبد..

كل يد تمسك تنقطع . كل أنف تشمك تنقطع.. كل عين تراك تنطفئ
فلتنهض يا صاحب الجلالة..

يا من يحيطك اللهب يا من تأتي من أنو.. لم أركب إلما..

يا ملتهم الظلال يا من أثبت من كرتيت.. لم أقتل ولم أركب ذئبا.

يا من عيبك من النار يا من أثبت من ساوت.. لم أسلب كاهنا أو ملكا مقدسا .

يا ملتهم الدماء يا من أثبت من حجرة الذهب.. لم أفعل العش..

يا من وضعت رأسك موضعه يا من أثبت من عرشك.. لم أسرق ثوابيت
الموتى المقربين..

وقتها لم يتمالك جاسر نفسه.. فغفر جالما على الأرض.. كان الظلام قد
بدأ يحيط بالمكان، رغم الضوء القوي الذي يشع من مصباحه
المشعون.. كانت الغرفة تدور بجاسر دون سبب مفهوم كان يشعر أنه
الآن في رأسه.. صداد قاتل ودوار يلم به.. فأصبح التنفس الآن أكثر
صعوبة.. بدا مرتعبا أن تكون نهايته هنا دون مساعدة.. كان العرق ما زال
يتصبب غزيرا وكأنه في بركة ماء.. امتدت يده إلى هاتفه المصمول وأخرجه
محاوла الاتصال بأي نجدة، ولكنه سقط من يده ليمسقط هو الآخر في
غيبوبة عميقة..

*

لم يدرك جاسر كم مر عليه من الوقت وهو في تلك الغيبوبة ولكنه حينما
فتح عينيه أدار بصره في المكان معاوла أن يتذكر أين هو ؟ وما الذي
ساقه إلى هذا المكان المقيض..

كانت الأحلام الغريبة لا زالت تطوف برأسه وهو لا يزال بتلك الغرفة
المظلمة أخذ يبعث بجوارره عن المصباح الكهربائي، ولكن لدھشته وجدھ
قد انطفأ لانتهاء شمعته.. مثد يده إلى هاتفه ولكنه فوجئ أيضا بأنه لا
يعمل..

استند إلى الحائط وتعمس طريقه صاعدا إلى الأعلى حتى وصل أخيرا إلى
الغرفة الخارجية.. وكان ضوء القمر يتسلل إليها في هدوء، وقتها تأكد
جاسر أنه قد مر عليه وقت طويل وهو في تلك الغيبوبة.. كان لا يزال
يشعر بلؤار وإرهاق شديد، وكان يشعر بالعطش الشديد..

نظر خارج المنزل ليرى هل التغيير المكلف بالعراصة جالما على ذلك
المقعد الغشحي بجوار الباب، ولكن كعادته لم يجده في مكانه فتسلل إلى
خارج المنزل.. وذهب إلى سيارته التي تركها على بُعد عشرات الأمتار.. راوده
ذلك الإحساس بأنه مراقب، فالتفت خلفه فجأة لكنه لم يجد أحدا..

كان يتساءل في أثناء سيره إلى السيارة.. كم مضى عليه في غيبوبته تلك؟
أي روح تنطيسه وتطوف به في أنعام المعموورة.. كان يشعر أن روحه
تطوف إلى أماكن عدة وترحل إلى أماكن بعيدة..

ما الذي يفسر قدرته على قراءة تلك اللغة المندثرة منذ آلاف السنين.
والتي لا يستطيع قراءتها سوى المختصين فقط..

دلف الى سيارته محاولا إدارتها. وقد قرر وقتها أن يعود إلى القاهرة
ويوجد ريارته لنشيخ إلهامي إلى وقت آخر. ولكن السيارة لم تدر كما هي
العادة عندما يكون في عجلة من أمره. حاول إدارة تلك السيارة العجوز
مرة ثانية ولكنه فوجئ بشخص يطرق على زجاج سيارته بعصي حشدية
غليظة عن زجاجها حتى كاد أن يكسرها.. فما كان من جاسر إلا أن فتح
الباب بفضب قائلًا في عصبية واضحة:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

نظر إليه الرجل في هدوء قائلًا:

- استاذ جاسر؟

نظر إليه جاسر في شكٍ مستغربًا كيف عرف الرجل اسمه. ولكنه تمالك
نفسه قائلًا:

- نعم. ماذا تريد؟

- لقد أتيت لك من طرف الشيخ إلهامي. فهل تتكرم وتأتي معي لمقابلة
الشيخ؟ فهو يريدك على وجه السرعة ويتفرك.

- سأزور الشيخ. ولكن ليس الآن قائلًا..

قاطعه الرجل بصرامة:

- مستحيل يا سيدي أنا مرابط بجوار سيارتك منذ عدة أيام.. والشيخ
يريدك في أسرع وقت..

أصاب الذهول جاسر من قول الرجل. هل بقي في تلك القيدوية عدة أيام
أخرى؟ ولكنه تمالك نفسه وسأل الرجل:

- عذراً. ولكن هل لك أن تخبرني أولاً في أي يوم نحن؟ فأنا دائم النسيان..

- اليوم هو الأربعاء يا سيدي؟

تمتم جاسر بهنق:

- الأربعاء..!! أي لعنة تلك التي أصابني يا رب..

- ماذا تقول يا سيدي؟

- لا عليك قل لي كيف عرفت أن تلك سيارتي؟ ومن امرك بالمكوث
بجانها؟

- الحاج مراد..

- الحاج مراد..!!

- لقد أمرني الحاج مراد بأن أظل بجوار سيارتك التي يعرفها جيدًا.
و بمجرد ظهورك، طلب مني أن أهلك بضرورة مجيئك معي لمقابلة الشيخ
إلهامي.

استدار جاسر ليعود لسيارته قائلًا:

- ربما في وقت لاحق. فأنا الآن متعب وأود الرجوع إلى القاهرة الليلة..

ودلف لسيارته وأغلق بابها من الداخل محاولاً إدارتها مرة أخرى. ولكنه
فوجئ بالرجل يتسم قائلًا:

- لن تنور يا سيدي..

- لماذا؟

- لآني أخذت البطارية..

استشاط جاسر غضبًا، وخرج من المشاورة صارخًا بعصبية:

- ماذا؟!

أجابته الرجل ببرود:

- فلتهدي من روعك يا سيدي، ولتصاحبني في هدوء لمقابلة الشيخ إلهامي، وسوف يصير كل شيء على ما يرام.

لوح جاسر يديه للرجل في غضب قائلاً:

- لن أذهب أبها الفخي، ولو اضطرت للذهاب إلى القاهرة سيزا على الأقدام، ولأن أرحل عني قبل أن أرتكب حماقة معك..

- إذا فلتعذرني يا سيدي عما سافعله ولكنك الأوامر..

قالها لرجل وهو يرفع عصاه الخشبية فجأة متاولاً جاسر ضربة هائلة على رأسه، جعل جاسر يقعد الوعي مرة أخرى.. قرفعه الرجل الضخم على كتفه وكأنه يحمل طفل صغير مسرعاً بالخطى نحو سيارة نصف نقل كانت تقف - في مقربة منهم ليضع جاسر فيها وينطلق في طريقه إلى الشيخ..

* * *

كانت الشمس تثير الغرفة الصغيرة والتي كان جاسر يرقد على سرير بسيط بها وكان بجواره رجل جلس ليحتمي كوب من القهوة الساخنة

وهو ينتظره ليستعيد وعيه، ولم يطل الأمر كثيراً إذ قام جاسر صارخاً دون أن ينتبه لمن يجلس بجواره:

- كيف تجرؤ وتمد يدك على أبها العامل؟ أنا ابن الكاهن الأعظم «تب رع» خادم المعبد المقدس؟ أنا من خضعت...

توقف فجأة حينما رأى ذلك الرجل وكأنه يحاول أن يستوعب ما حوله، فنظر إليه الرجل في قلق محاولاً تهدئته:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. ماذا بك يا أستاذ جاسر؟ أكنت تعلم؟ لقد أفزعتني عليك..

انتبه جاسر إلى المكان المحيط به وهو ينظر للرجل الجالس أمامه والذي لم يكن سوى الحاج مراد الذي ظل إلى جواره طوال ذلك الوقت حتى يكون أول من تقع عليه عيناه لمحاولة إفهامه أنهم كانوا مضطرين لإحضاره بهذه الطريقة لرغبة الشيخ إلهامي برؤيته.. والذي أكد لهم أن ذلك ربما يكون آخر ما يطلبه في الحياة، فكان عليهم جميعاً أن يطيعوه، وخاصة عندما أبلغهم أن سر زوال اللعنة عن قريتهم مرتبط بمقابلته مع جاسر.. حاول الحاج مراد كثيراً حتى تقبل جاسر اعتذاره عن سوء الفهم ووافق على مقابلة شيخ يستنصر..

أشار الحاج مراد إلى جاسر ليتبعه، فخرجوا من الغرفة ليفاجأ جاسر أنه داخل مقبرة كبيرة جداً تشعبت الطرق داخلها.. كان مراد يتقدمه حتى وصلا إلى مدخل كهف مغطى بقماش سميك مما يستعمل في الغمام وكان هناك رجل يجلس بجوار مدخل الكهف.. فما لبث أن همس إليه

الجدح مراد بنصع كلمت حتى سمح لهم الرجل النجاش بالدخول..
عندها فهم جاسر أن الشيخ إلهامي يقبع داخل هذا الكهف..

دلف جاسر إلى داخل الكهف والذي كان مجهزاً من الداخل بعدة بطاريات أنارته موجهاً ضوءها إلى سقف الكهف، بينما كان هناك صرير بهسوط تمدد عليه عجوز يبدو عليه الإعياء الشديد.. وقد جلس على الأرض صبي صغير لا يتعدى الثانية عشر من عمره، هبّ واقفاً بمجرد دخولهم.. واقترب من العجوز مرمئاً بغفة على يده قائلاً:

- جد.. لقد وصل الغريب يا جد..

فتح الرجل عينيه ليرى الشخصيتين. واتجه بنظره ناحية جاسر مثبتاً نظراته عليه. أما جاسر فبشعر في وقتها أن الرجل يمتلك نظرات غير طبيعية. وكان يذميران استول على روحه هو الآخر.. فكان يشعر بعد بث الرجل مباشرة في عقله دون أن يتكلم، مما جعله يرتعد أكثر من المكان الموجود به وهذا الجو المعيط..

تحدث إليه العجوز بوهن واضمح قائلاً:

- اقترب يا ولدي، فانا لا أستطيع الحديث بصوت عالٍ..

ثم التفت إلى الصبي قائلاً له:

- وأنت يا عمر.. أخرج مع الحاج مراد، ولا تدخل إلا عندما أمتدعك.
ولا تجعل أي شخص يقترب أو يدخل إلا بعد أن تستاذني..

أوماً الصبي برأسه قائلاً:

- أمرك يا جد..

ثم أشار الصبي للحاج مراد قائلاً:

- هيّا بنا ننتظر في الخارج يا عم مراد.

وخرج الصبي مع الحاج مراد تاركاً جاسر مع الشيخ إلهامي أخيراً وجهاً لوجه، والذي يأمره قائلاً:

- اسمعني جيداً يا ولدي.. أتمنى ألا يكون الوقت قد تأخر.. أعلم أنه بداخلك. أنا أشعر بك جيداً.. لقد لمحتة في عينيك منذ أن وطأت قدماك هذه الغرفة.

ارتبك جاسر من نظرات العجوز وحديثه فقال بتوتر:

- أنا لا أعلم عما تتكلم..

- يا بني لا تكابر.. لقد كنت مثلك تماماً منذ أكثر من خمسين عاماً
وأصبحت بفيداخ..

- فهداخ !!؟

- نعم هذا هو اسم ذاك الكائن الذي أصابني وقتها.. نفذت جميع أوامره حرفياً.. حتى تحل عني اللعنة المقدسة، إنها ذات اللعنة التي أصابتك..
فلا تكابر واسمع لما سأقوله جيداً، وعليك تنفيذة حرفياً فليس هناك وقت.. اقترب مني ولا تغف.

اقترب جاسر أكثر من العجوز وجلس على أريكة بسيطة بجوار سرير الشيخ إلهامي، والذي بدأ في السرد وكأنه يحكي قصة قديمة لا يعلمها أحد.

- منذ فترة كبيرة جدًا كنت أعمل في التقيب على الآثار. فبي مهني أنا عن جد.. ولن أحدثك عن الأفاعيل الشيطانية التي كنت أتبعها على يد جدي والذي أخذت العهد على يده في كيفية التقيب عن الآثار.. وأثناء حمزنا لأحد المقابر في الصحراء البعيدة.. كنا وقتها أربعة رجال. جدي الذي كان يقوم بإلقاء التعاويذ لصرف الرصد وأنا ومساعد لنا والقابع.

كان أصغرنا التابع فكان في العشرين من العمر. وكنت وقتها في أواخر الثلاثينات وكنا نبحث لحساب أحد الأشخاص في القرية والذي كان مهتمًا بالبحث عن الكلوز.

قاطعه جاسر قائلًا في لهفة:

- هل فعلًا أسطورة الرصد صحيحة يا شيخ إلهامي..

- أصبت إلهي يا ولدي ولا تقاطعني حتى أفرغ من كلامي وسوف تعرف كل شيء في حينه.

- عذرة يا شيخ إلهامي.. فلتفضل.

أخذ الشيخ نفثًا عميقًا ليكمل:

- وقفنا على كنز، فون في هذا المكان. ونزلنا للمقبرة وكان هناك تابوت والعديد من الصناديق المحتوية على كثير من الذهب. ولكن كان هناك صندوق أيقومي الشكل أخذه جدي. علاوة على مكافأتنا عن الكنز.. وقد أخذ الرجل الصناديق وترك أشياء بسيطة. لم يعر لها أي اهتمام في ذلك الوقت..

مجرد برديات وعده أطباق وأدوات لمومياء.. ثم أعلقنا المقبرة إلى الأبد. حمل مساعد جدي الصندوق، والذي كان يحتوي على خمس عشرة بردية. أما التابع لما فكان دائم الأسئلة عن ذلك الصندوق الذي فضله جدي على بقية الصناديق.. بالطبع كنا لم نهتم وقتها إلا بتصيبنا من الذهب فقط..

أخذ جدي الصندوق واجتمع هو ومساعد لوقت متأخر في تلك الليلة. أما أنا فتمت قرير العين وفي يدي بصبي الذي كان يتعدى العشرات من الجنهات وقتها.. وبعد أسبوع واحد صحتونا جميعًا على ظهور لعنة ما في القرية.. حرائق تقوم ليلاً وتطفئ دون أي سبب.. اشتعال النيران ببعض بيوت القرية. وبيتنا كان من أوائل البيوت التي نشبت بها النيران.. وامتدت إلى البيت المجاور لنا وهو بيت المساعد والذي قضت عليه هو وزوجته وأولاده..

من نحن فقد حرقنا النار المنزل بأكمله. وللغربة أنها لم تمس غرفة جدي وقتها. وهو لم يخرج من الغرفة رغم صراخ أهل القرية.. بعدها قال لي إنه لو كان قد خرج لالتهمته النيران فقد كان بحمايته لأنه يريد البرديات سليمة أكثر من روح جدي..

لم أع ما يقول وقتها حتى أخبرني بكل شيء فيما بعد. وبدأ بعض أهل القرية يشاهدون الجن في بعض المنازل في صور عديدة. على هيئة قبط أو كلب يقومان بأفعال غريبة. وأنا شخصيًا رأيت ما لن أقدر على سرده لك. ورأيت أيضًا نوعًا من المعار يصيب أهل القرية..

كانت مأساة وقتها، ولكني ربطتُ ما حدث من تلك الأحداث بما أخرجته من الكثر المدهون، كان يا ولدي شيئاً مرعباً ولكنها الحقيقة..

أصر جدي بعد ذلك على استكمال مشواره والذي اتفق هو ومساعدته على المضي به، ولكن القدر كان أرحم على المساعد من جدي..

نعم لا تتدهش يا ولدي.. القدر كان أرحم عليه رغم ميته البشعة فقد كان لجدي شأن آخر.

استدعاني جدي بعد ذلك ببوميس، فهو لم يعرف الرموز الفرعونية بهكم مساعدته الذي احترق في بيته.. ولقد كنت أعلمها واحفظها وأترجم ما كان يكتب على المقابر والتوابيت الفرعونية.. المهم أن جدي أخبرني بالسر الأعظم المدفون داخل هذا الصندوق الأيلوسي.. سر يستطيع معه الحصول على كنوز الأرض عن طريق الجن.. فالجن مسكرون لعراصة تلك البرديات..

وقد علم تلك الأسطورة من أبيه، فقد توارث الجميع أساطير موجودة وموارثة منذ مئات السنين عن صناديق مدفونة في مقابر ما تستطيع أن تجعل من يمتلكها ملك هذا الزمان.. مال لا يُقَدُّ قوة لا تقف أمامها قوة أخرى على سطح الأرض..

لم أصدقه في بداية الأمر.. ولكن جدي عرض عليّ البرديات.. كانت تتحدث عن لعنة ما تصيب كل من يمتلك تلك البرديات وتهدهه بأبشع الميقات، ولكن جدي أصر على الاستمرار..

«هو على الاستمرار حينها في ترجمة الكلمات التي حوتها تلك البرديات.. بعد أصابتي رعشة مفاجئة وذهبت في غيبوبة لا أدري ما سببها، ولكن عندما أفقت لم أكن وحدي بالفرفة.. لقد كان معي..»

لا أستطيع أن أصفه لك.. فأنت تعلم عشرينته.. هو أكيد من نفس الجنس.. نفس الرصد العارس للبرديات الملعونة.. لا أدري ما حدث بعدها ولكنه استقر في رأسي.. كان يأمرني بأن أخذ البرديات بأي شكل وأن أقوم بدفنها في المكان المثير الذي سوف يحدده لي.. بإشارات معينة.. وإن لم أفعل فم سوف تظل اللعنة تطاردنا للأبد..

وبالمعل.. زادت الحوادث في القرية بشكل مرعب، وكان جدي يحتفظ بالبرديات في مكان لا أعلمه، فلقد بحثت في كل مكان ولم أجدها.. كان جدي يحاول إقناعي بالتعاون معه في ترجمة الطقوس الموجودة في أول بردية وكان يقول أن اللعنة ستفاهم فقط حتى تتجاوز تلك المرحلة ثم نستطيع إجبار الجن على مساعدتنا.. بشرط أن أقوم بالترجمة..

كان لا يأمر للاستعانة بأي شخص غيري.. وكما كان يلج عليّ كان المخلوق يأمرني أن أحصل على تلك البرديات لأدفنها مرة أخرى حيث يأمرني.. ولكن أين؟ وكيف أصل إليها وهي في حوزة جدي ليل نهار هو يأمر فقط وأنا أطيع فقط.. أما المكان فهو لا يتحدث عنه.. وكأني يجب أن أعلم وحدي..

يومان فقط وأصيب جدي يشلل رباعي كنتيجة لإصابته بجلطة في المخ لم تفلح محاولات الطبيب لنجده.. ولا يدري أحد ما السبب في تلك الجلطة.. فهو لم يشك طوال أعوامه التسعين من أي مرض بل كان

يتقاهر بصحته.. وبالطبع كنت أنا من أقوم بخدمته.. استمر الأمر على ذلك المنوال حتى اكتشفت بالمصدفة أن جدي قام بإحماء البرديات في ذلك المدياع القديم العاطل عن العمل.. واكتشفت ذلك صدفة عندما كنت أقوم بنقله خارج القرية بسبب الزنارات المستمرة من أهل القرية.. عى الفور أخفيت البرديات عن الأعمى وتوصلت إلى الصندوق الفانغ وصممت على عودة ذلك الصندوق بجميع محتوياته إلى حيث يدلي ذلك المخلوق لفلتي تلك اللعنة إلى الأبد..

كان المخلوق معي يرشدني ليلًا إلى ذلك المكان الملعون.. لن أخبرك عن مدى رعي مما قمت بفعله وقتها.. ولكن كان عليّ إنفاذ القرية وإنفاذ جدي.. وبالفعل كانت البيوت هناك كثيرة جدًا في تلك البقعة، وذلك قبل إخلائها لأنها أصبحت في مجرى السيل.. وكان من المستحيل أن أكتشف البهت مرة أخرى بدون مساعدته..

كنت أشعر أني أسير وهو من يقتادني إلى المقبرة حتى وصلنا أخيرًا.. عندئذ دفنت الصندوق في المقبرة وأغلقتها إلى الأبد، وخرجت سريعًا، وقد تركت المخلوق هناك إلى الأبد أيضًا في تلك المقبرة كما كان الاتفاق بهنا على زوال اللعنة..

لكن جدي لم تزل لعنته.. ولم يزل مرضه، بل على العكس كان كل يوم أسوأ من اليوم الذي يسبقه.. والأدهى من ذلك أن جدي كان قد أخبر التابع بكل أسرار الصندوق، والذي أتى إليّ بعد فترة قائلا إنه يريد مساعدتي وأنه لا بد من امتلاكنا نحن هذا الصندوق.. وأنا في يدنا أن نملك كنوز الأرض..

كان جدي يقهره بتلك الأحلام والطموحات دون أن يخبره باللعنة التي بين السطور.. ذلك الكائن الغريب.. الذي ينتظر مئات السنين لينقض على من يهيمس بتلك اللعنة المقدسة..

وعينًا حاولت إقحامه خطورة ذلك الشيء دون جدوى.. وأخيرًا أخبرته نفي قد دفنت تلك البرديات إلى الأبد، وأني لن أسمح له أبدًا بإيقاظ تلك اللعنة مجددًا.. وتشاجرنا كثيرًا وطردته من خدمتنا، وصممت أن أهجر تلك المهنة الملعونة إلى الأبد..

أما جدي.. فكان لحيمة يذوب من المرض.. واستمر في مرضه طوال ثلاث سنوات كاملة أخدمه فيها.. ولا أخفيك سرًا أني كنت أتمنى له الموت لين هرب.. فقد كان يصرخ طوال الليل وأحيانًا يظل ممتبطًا عدة أيام يهيمس بشفاهه وكأنه يحدث أناسًا من عوالم أخرى.. وقد كانت ملامحه طوال تلك السنوات مرعبة.. حتى رحمه الله بعد طول عذاب وبعد ما لاقاه عقابًا على فعلته تلك.. ولن أخفي لك عما لاقيناه لدفعه وما وجدناه حتى داخل قبره، فليس ذلك مجال لتحدثنا..

قاطعه دخول الصبي فجأة إلى الداخل قائلاً:

-جدي.. عم مراد يريد أن يستأذنك للذهاب إلى صلاة الجمعة..

نظر إليه جاسر ذاهلاً:

-الجمعة!!!، أعتقد أن اليوم هو الأربعاء..

تجاهله العجوز وهو ينظر للصبي ويقول:

- أخبره أن يذهب يا عمر.. ولكن ليأت سرينا قبل صلاة العصر. وذكره
ألا ينسي أن يذهب لتلك المهمة التي أخبرته بها بالأمس.. نيه على ذلك يا
عمر. لا تنس يا ولدي
أوما الصبي برأسه قائلا:
- سيحدث يا جدي .

وما إن غادر الصبي حتى التفت الشيخ إلى جاسر قائلا:

- نعم يا ولدي اليوم هو الجمعة يبدو أن قوة الضربة جعلتك تفقد
وعيك منذ مساء الأربعاء حتى صباح اليوم .
- يبدو أني سأجن عما قريب يا شيخ الهامي. المهم ماذا حدث بعد ذلك؟
هل انتهت اللعنة بعد ذلك؟

- نعم يا ولدي انتهت من القرية ولم تعد. ومن وقتها وأنا لم أعمل بتلك
الهيئة، ولكني اتجهت إلى فك السحر بجميع أنواعه.. لقد تبث إلى الله عما
فعلته في حياتي السابقة.. وذهبت للبح مرتين وحفظت القرآن، وطوال
تلك الأعوام كنت أعد لأخوتي وأنا أظن أن الأمر انتهى.. حتى ذلك اليوم
المشلول..

فلمذ رحل التابع عن القرية انقطعت أخباره فترة كبيرة، ولكنه عاد
للظهور في القرية مرة أخرى بعد سنين عدة. وكان قد تعلم كيفية
استخراج الكنوز عن طريق بعض الجماعات المتخصصة بالسحر
الأسود والطقوس الشاذة. لقد ظهر مرة أخرى ليكمل بعثه عما ينبغي
أنه أعظم كنوز الأرض كما حدثه جدي، فقد كان يبحث عنه في كل مقبرة
يفتحها..

في بداية الأمر كان غير مرحب به في القرية. لكن مع استخراج بعض
الكنوز تقرب منه البعض وذاع صيته. وتقابلنا في عدة مناسبات كان
يطلب مني دائما أن أساعده بأي صورة. وخاصة أن كل من يفك الرموز
لعمومية أصبحوا معدودين. كما إني على دراية كاملة بكل رموز تلك
اللعنة. لكي رفضت رغم كل الإغراءات.

كانت تأتي أخباره من بعيد وكل فترة كنت أراه.. ومرت سنوات وسنوات
وسنوات.. حتى فوجئت به من عدة شهور يأتي إلي فرحا سعيدا قائلا إنه
وصع يده أخيرا على البرديات المقدسة.. ووضع أمامي ذلك الصندوق..
كان صورة طبق الأصل من الصندوق الملغون والذي أخفيته من عشرات
السنين وبداخله كانت توجد بردية والتي تشبه تلك التي قرأتها منذ
عشرات السنين .

- لا تقل لي إنه؟

- نعم يا ولدي هو ذاته التابع لما.. هو الشيخ حسن.. أتى إلي مهزولا ومعه
إحدى البرديات التي حصل عليها. وطلب مني أن أساعده مقابل أي شيء
أطلبه.. وقتها دار بيننا شجار عفيف بعد أن حاولت أن أخبره وأفهمه أن
ما فتحه سيجر الخراب مرة أخرى على القرية وعليه شخصيا. لكنه كان
كما الأصم لم يسمع كلمة مما أقول..

كان علي أن أطرده قوفا ولكن دون سبب احتفظت بالبردية على أمل أن
أقوم بإرجاعها مرة أخرى إلى تلك المقبرة التي وجدت بها.. بن وأرسلت في
أعقابه رجالا لمحاولة البحث عن ذلك الصندوق مرة أخرى، ولكنه
احتفى كمن ابتلعه الأرض. أخفيت البردية في هذا الكهف وصممت أن

أحميا أنا ورجائي حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.. وفشلت محاولاتي في البحث عنه وبدأت اللعنة في الظهور في القرية مرة أخرى..

وعلمت بعد ذلك عن طريق الحاج مراد بوفاة الشيخ حسن بطريقة بشعة هو وأحد الأشغاص. واعتقد أنه من كان يقوم له بالترجمة في أحد المنازل المهجورة لاستعمالها في تحقيق أهدافه وطموحاته التي ظل يعلم بها طوال كل هذه السنوات.. واختفت البرديات بموت الشيخ حسن.. لم نكن نعلم من أخذها، فقد يكون ابن أخيه والشخص الوسيط وهناك تلك البهثة..

قاطعه جاسر متسائلاً:

- تقصد بالوسيط مجدي.. اليس كذلك؟

- نعم.. نعم هو مجدي.. فقد فشلت جميع محاولتنا في البحث عن الحقيقة.. وما إن تأكدنا أن مجدي قد حصل على البرديات من أحمد وأنه سببهما حتى مات هو الآخر بنفس طريقة حسن.. واختفت البرديات إلى الأبد..

كنّا يا ولدي ندور في حلقة مفرغة حتى ظهرت أنت.. وقها علمت أن وراءك سرّاً، وإنك تسمى وراء البرديات، وطلبت وقها أن أراك في أقرب فرصة لأنني أشعر بدنوّ أجلي، وفشلي في رفع اللعنة عن القرية..

لقد أرسلت في طلبك لمجرد شغّي، ولمجرد محاولة من رجل يعتصر يريد معرفة الوسيلة التي ستغذي الإنقاذنا من اللعنة.. وعلمت أنك على وصول، وكنت أعلم أنه لو صدق حمي ستكون أول خطواتك إلى ذلك المكان الذي بدأت منه الأحداث.. فأخبرت الحاج مراد أن يجعل أحدهم

يجلس بالقرب من المقبرة ليل نهار، وإبلاغه عن أي غريب يقترب.. وصرفنا ذلك الصغير المقيم هناك حتى نفتح لك المجال للدخول.. وفعلاً أتيت إلها وتم إبلاغ الحاج مراد، لكنك لبثت كثيرًا في الداخل فأمرت مراد بعدم الدخول عليك والتدخل فيما لا يعنيه.. هو مصيرك وقدرك وعلينا فقط الانتظار حتى تخرج..

وخرجت وأحضرناك إلى هنا بهذه الطريقة فقط لأنني لا أضمن أن أظن شيئاً حتى تأتي يا ولدي.. وحينما رأيتك شعرت به داخل عقلك.. لقد شعرت به بتملكك ويجري في دماغك.. ولذلك أعطيتك سري.. صدقي أشفق عليك يا ولدي مما ما هو مقدر لك.. عليك فقط إطاعته والبحث عن الأربع برديات حتى تجتمع مرة أخرى تحت يديك.. وتعيدهم إلى المكان المميز الذي سوف يدلك عليه.

تنفس جاسر بعمق وهو يتراجع في مقعده قائلاً:

- يا لها من قصة غريبة يا شيخ إلهامي.. !!

نظر إليه الشيخ قائلاً:

الآن أخبرني بكل ما لديك يا ولدي لنقرر معاً ما الخطوة التالية..

بعد انتهاء صلاة الجمعة نظر الحاج مراد إلى ساعته وذهب في طريقه ممرع الغضل.. فقد كان لديه موعد آخر ثقيل على نفسه.. كان لا يريده أبداً.. ولكنه الشيخ إلهامي حكيم القرية.. تتلمذ الكثير على يديه.. فهو

اعتدل جامر بعد أن قصَّ على الشيخ إلهامي ما حدث قائلاً:

هذا كل ما حدث يا شيخ إلهامي.. وإلى ذلك الوقت لا أدري كيف سأحصل على البرديات..

أنت الآن لديك برديتان.. وأنا لدي واحدة.. وبذلك تبقى برديتان، وهذا شيء جيد.. وبذلك نكون قد اقترنا من إنهاء البعثة.

- ولكن ماذا عن القابوت؟

- هو يهيم البرديات أكثر من القابوت أو المومياء يا ولدي.

- ولكن أين الباقي؟

- كما أخبرتك مجدي قد مات وأخذ السر معه. هذا إن لم يكن لزوجته شأن آخر.. وإن كنت أعتقد أن لتلك المرأة سرًا لا تستطيع البوح به..

- سأقابلها مرة أخرى يا شيخ إلهامي.. وأدعو الله أن أصل معها إلى حلٍّ.

- فليكن الله يعونك يا ولدي.. ولأن اقتراب مبي ولتمد يدك أسفل تلك الوسادة، ستجد جريدة بها ظرف أصفر اللون كبير وبداخله ظرفان أحدهما أبيض يحتوي على أربع برديات قديمة، كنت معتقلاً بها من إحدى المقابر، وهي ليست ذات أهمية كما أعتقد، ولكن أنا على ثقة أنك ستحتاجها في وقت ما.. لا تسألني كيف عرفت ولكن فلتحفظ بها لأوانها..

أما الظرف الآخر فهو في كيس بلاستيك بداخله البردية الملعونة والتي أخذتها من الشيخ حسن، فلتأخذها ولتسير في طريقك، وأدعو الله وأنا على فراش الموت أن تنجح في إزالة اللعنة عن القرية.. كنت أود أن أير لك طريقك ولكنه مقدر لك يا ولدي طريق عليك أن تسير فيه وحدك ودليلك هو المخلوق.. ولا تزل كل شيء كما هو.

يعتبر الأب لكثير من أبناء القرية.. كان الكثير يحترمه ويكنّ له أقدس المشاعر.. لم يكن يتفهل كيف تكون بلدته بدون الشيخ إلهامي..

اقترب أكثر من ذلك الشيخ الضربور الذي يجلس في بيت بسيط يطل على المقابر ويجواره شاهان يجلسان في هدوء.. فبادره قائلاً:

- السلام عليكم يا شيخ زايد..

هاتف الشيخ الضربور:

- عليكم السلام.. من؟ الحاج مواد..

- نعم يا شيخ.. أريد أن.. أن..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. هل أن الأوان يا حاج.

- لا يا شيخ زايد، لكنه يصبر على فتح المقبرة اليوم وتهويتها وتجهيزها..

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

وأمر الشاوين بتجهيز الرمل ومفاتيح مقبرة الشيخ إلهامي..

تركهم مراد وهو يقرب من مقبرة ما وسط المدافن وهو يقرأ الفاتحة، ويدنو منها حتى جلس إلى جوارها.. وهو يشعر بأن الأيام القادمة سوف تجعل ما كان الجميع يخشاه..

ألغى التعية على الشيخ زايد مودعًا وتوجه مرة أخرى نحو الجبل لمقابلة الشيخ إلهامي بعد أن فرغ من تلك المهمة الثقيلة..

تهبط جاسر قائلاً:

- تلك مهمة ثقيلة.. أدمع الله أن أكون قادراً على تحملها .

أوما الشيخ برأسه في إرهاق:

- مستفد عليها يا ولدي، أنا على تمام الثقة.. ولكن على ثقة أن الجميع هنا وراءك.. لن يتركوك لحظة.. وسيكونون من خلفك دون أن تشعر بهم.. وإذا احتجت أيًا منهم فلتغير العاج مراد..

اقترب جاسر من سرير الشيخ الإلهامي ومدّ يده في بطم تحت مرقند الشيخ حتى وصل إلى جريدة جذبها بهدوء ثم فتحها ليجد الظرف الأصفر.

بعد أن أخذ جاسر الظرف نادى الشيخ على الصبي:

- يا عمرو..

دخل الصبي سريفاً إلى داخل الكهف واقترب من الجعد الذي أشار إليه قائلاً:

- فلنقم بتوصيل عمك جاسر إلى سيارته بعد أن جهزت..

ثم التفت إلى جاسر قائلاً في وهن:

- كنت أتمنى يا ولدي أن تظل معنا اليوم في ضيافتنا، ولكن هناك أشياء مستعجلة، ولا أريدك أن تكون هنا عند حدوثها.. اذهب يا ولدي اذهب، وليكن الله بعونك أينما كنت..

اقترب جاسر من الشيخ الإلهامي مصافحاً إياه في وداع.. وأخذ الظرف الذي فيه البرديات وخرج سريفاً وهو يسرع العلى خلف ذلك الصبي..

* * *

طوال الطريق وهو يقود سيارته إلى القاهرة كان جاسر يربط الأحداث بعضها ببعضها ببعض، منذ بداية دخول البعثة إلى المقبرة وكيفية حصول مجدي وأحمد على البرديات.. ومغامرته في الصعيد حتى وصل إلى البردية ..

الآن يتبقى لديه برديتان فقط ويتخلص من ذلك الكابوس الذي ظل يورقه طوال الأسابيع الماضية، ولكن السؤال.. أين التابوت والبرديتان المتبقيتان؟ هل حصل أحد علمهم؟

الشيء المؤكد أن مجدي لم يقم ببيعهم، بل حاول قراءة التعاويذ أو بدأ فعلًا في عرضهم للبيع، وبالتالي أصابته اللعنة القاتلة ومات.. ومات معه سر مكان البرديتين والتابوت..

وصل جاسر أخيراً إلى منزله ودلف مباشرة إلى الغرفة الفارغة بعد أن أخفى البردية الثالثة مع باقي البرديات بنفس الطريقة السابقة.. أما الظرف المحتوي على أربع برديات قديمة فأخفاها في ظهر الثلاثة..

ثم دلف أخيراً إلى شرفته.. ليرتاح قليلاً من عناء السفر .

لم تمر عدة ساعات حتى فوجئ جاسر بطرقات متتالية على باب الشقة تتبعها دقات متسارعة من الجرس..

فزج جاسر وقام مرتاعاً ليفتح باب الشقة.. فوجد عدة أشخاص تقدم أحدهم قائلاً في صوت خشن:

- أنت أستاذ جاسر؟

نظر إليهم جاسر بإرهاق ورد قائلاً:

- نعم...

- أنا المقدم محمد أمين من مديرية أمن القاهرة.. أرجو أن ترتدي ثياب وتفضل معنا إلى المديرية.. وهذا أمر التفتيش.

وأمر رجاله بالانتشار في أرجاء الشقة والبحث عن شيء ما.. لم ير جاسر لماذا دب الشك في قلبه عمًا إذا كان هؤلاء رجال شرطة فعلاً فطلب منه إبراز بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة به..

ابتسم الضابط وناولته إياها قائلاً:

- تفعل ما هي.. اطمأنت الآن؟

نظر إليه جاسر متمسلاً في ثوبه:

- غير؟ أنا لم أركب أي خطأ..

تقدم أحد العساكر إلى المقدم قائلاً:

- لا يوجد أي شيء يا سيدي.

- حسناً..

والفتت إلى جاسر قائلاً:

- وأنت سوف تعلم هناك كل شيء..

- لن أتحرك إلا بعد أن أعرف ما الذي يدور حولي..

- في هذه الحالة سأقبض عليك على الفور. دون حتى أن ترتدي ملابسك..

و'صدر أوامره إلى اثنين من العساكر بالقبض عليه وجذبه خارج
منه دنلاً في عصبية.

- أنت مهم بقتل شخص أجنبي بعد تهديبه.. إنجليزي الجلدية يدعى
ب. بوموم.. أتريد شيئاً آخر؟

ملق الضابط ورجاله وهم يصطحبون جاسر، غير مهالي بصرفحات
ماسر ونفيه أنه لا يعرف أبداً شخص بهذا الاسم..

* * *

منب راشد بجاسر في غضب:

لماذا لم تقبل بي يا جاسر عندما اقتادوك؟ لقد مرّ على احتجاجك
بوموم.. لماذا لم تقل لهم إنك تريد أن تصل إلي؟

قلت.. لقد طلبت منهم ذلك يا راشد.. ولكن لم ينصت إليّ أحد إلا في
الحجز عندما اتصلت بأدم، وهو الوحيد الذي أحفظ رقمه ليبلغك بما
حدث لي..

لا تفلق بالتأكيد إن في الأمر سوء تفاهم.. أمتأكد أنك لا تعلم أي
شخص يهودي الأصل يا جاسر.

هل تعرف يا راشد.. يهودي؟ وأقتله؟ وأعذبه؟ كيف؟

- كل ما علمته أنهم وجدوا كارتك الشخصي في ملابسه.. وهم لازالوا في
مرحلة التحريات..

- هم لم يوجهوا لي أي أسئلة إلا عن شخص يدعى إيزاك.. انتظر..
قلت.. وجدوا الكارت الشخصي الخاص بي لديه؟! شيء غريب فعلاً

- تذكر يا جامس هناك أي شخص أجني القنيت به في الأوبة الأخيرة؟

- شخص أجني؟ لقد قابلت أحدهم بالفعل في الأسبوع الماضي.

- من هو؟ ولماذا قابلته وأين؟

- لا أتذكر السبب، ولكني أتذكر أنني قد أعطيته الكارت الخاص بي.

- يا جامس إن موقفك سيء.. لقد تعرف بواب العمارة لديك على وجه
ذلك الشخص وقال إنه كان قد قابلك الأسبوع الماضي، وأنه كان ينتظر
أسفل العمارة.

- نعم.. نعم لقد تذكرت.. لماذا لم يقوموا بإبلاغي بهذا الشكل كتب
سأقول لهم على ما أعرفه بدلاً من احتجاري في ذلك المكان القدر مس
يومين وسؤالي عدة أسئلة بلهاء.. فهم لم يعرضوا علي صورته من
الأصل..

- ومن هو إذن؟ وما حكايته معك؟ ولماذا يحتفظ بالكارت الخاص بك؟

- كل ما في الموضوع أنني أبحث عن سيارة جديدة بدلاً من سيارتي الدائمة
الأعطال، ومنذ أسبوعين كنت أبحث عن نوع معين فاتصلت برقم كان في
الجريدة، ولكن لم يجيئني أحد وبعد يوم وجدت رقمًا آخر يتصل بي
مستفسراً فأجيبته عن سر اتصالني فقال إنه سيقابلني في غضون يومين
ومعه السيارة لكي أعاينها.. هذا كل ما في الموضوع.

- الشخص أجني يا جامس.. فكيف يمتلك سيارة؟

هذا فعلاً ما سألته عنه عندما قابلته. وقد عزفني على مصمه على أن
سمه هو توم على ما أتذكر. وعندما واجهته بعدم امتلاكه سيارة بعكم
لونه أحنيهاً. قال إنه يعمل وسيطاً لصاحب السيارة.

وعاينتها؟

نعم.. ولكنها لم تعجبني. وأراني صوراً لعدة سيارات أخرى في القابلت
الخاص به. واخترت سيارة بالفعل. وكان سيعرضها علي الجمعة
القادمة..

ولماذا إذن أعطيته الكارت الخاص بك؟

هو من طلب رقمي لأنه يومئاً يتلقى عشرات الطلبات الغير جدية.
فأعطيته الكارت الخاص بي..

وأين كنت طوال الأسبوع الماضي؟

- كنت في زيارة لبعض الأشخاص بالصعيد..

صعيد..!! لماذا؟

لماذا؟!.. تستطيع أن تتصل بهم أو اتصل.. بهم وسيشهدون أنني قد
مكنت طوال الفترة الماضية هناك.. بل إن سيارتي عطبت مرة أخرى
هناك..

- سيحدث.. سيحدث.. ولماذا لم تقل هذه المعلومات بمجرد وصولك؟

- وهل أنا الصيب؟ قلت لك لم يوافقني أحد لا باسمه أو صورته ولا أدري
لماذا أنا أيضاً هنا؟ لم يضرني أحد حتى وصلت أنت يا راشد..

- ألدبك رقم من كنت لديهم بالصعيد وعنوانهم؟

- لقد خرجت حافيًا بملايس النوم.. وتساألني عن رقم !! . لعنة الله على تلك الأساليب التي تتبعوها في القبض على الأفراد..

- لا عليك.. فلنهدأ.. سادخل الآن إلى رئيس المباحث وأخبري له كل شيء بالتفصيل .

* * *

كان جاسر طوال الطريق إلى منزله شارد الدهن وهو يجلس بحوار رايش الذي أقله بسيارته حتى منزله.. حتى إنه لم يستمع إلى حديثه المعتاد كل دائم التفكير في ما حدث لإيزاك؟ وكيف تم اكتشاف القتل؟ والتعذيب أسئلة كثيرة كانت تدور في ذهنه ولكن بلا إجابة..

نعم كانت أزمة تعرض لها عبر كل الأزمات التي مرت في حياته.. كانت تلك الأزمة بإمكانها أن تلقي به في غياهب السجون سنوات وسنوات طويلة وليس لديه أي أمل في إرجاع البرديات وقتها، أو حتى تخلصه من تلك اللعنة التي ستظل تلاحقه للأبد بحياته الثلاث برديات الملعونة..

كان عليه أن يغمر من تلك الورطة التي وضع فيها رغمًا عنه.. وكان الحل بسيط جدًا.. أن يصطنع تلك القصة ويقول إن إيزاك أو أيًا كان اسمه كان وسيطًا في تجارة السيارات بدلًا من الأثافي..

وما ساعده أكثر هي شهادة الحاج مراد الذي اندمش جاسر أنه في القاهرة، وبمجرد استدعائه عن طريق الهاتف حضر مسرعًا إلى المديرية للشهادة، والغريب هو شهادته التي أدلى بها حيث شهد أنه فعلاً كان في الصعيد، والأغرب ذلك السبب الذي أخبر به المحقق، فلقد قال إنه كان

في الصعيد ليتقدم إلى ابنة أخيه هند.. ولذلك مكث عندهم من الاثنين حتى مساء الجمعة..

وبذلك تم الإفراج عن جاسر بدون حتى توجيه أي اتهام.. فقط بومان في الحجز وخوضه تجربة من أسوأ ما مرّ به.. لكن يبقى سؤال هام.. من الذي...؟

فطع راشد حبل أفكاره وهو يقول له :

تفضل يا جاسر.. لقد قمت بفتح باب شفتك بطريقي.. ادخل ارتع الآن بعد ما عانيتك خلال تلك الأيام الصعبة، وسأمر عليك غداً للنقاش في بعض الموضوعات .

أجابه جاسر وهو لا يزال شاردًا:

· إن شاء الله يا راشد.. سأنتظرك، ألن تفضل بالدخول قليلًا؟

لا . أنت تحتاج إلى راحة.. ادخل وارتيح ولكن سوف يكون لنا كما قلت لك حديث مطول.. لأنني لم أقتنع بكلمة مما أخبرني إيداه يا جاسر.. هناك سر في الموضوع.. وسوف أخبرني به إن عاجلاً أو آجلاً .

التفت إليه جاسر وهو ما زال شاردًا :

· إن شاء الله.. اعذرني الآن فأنا متعب .

ودعه راشد وانصرف تاركًا جاسر الذي دخل سريعًا إلى الغرفة العالية ليطمن أن البرديات لا زالت في مكانها الذي خبأهم فيه .

* * *

في صباح اليوم التالي كان على جاسر أن يستأنف مهمته مرة أخرى.. كار يضع دمه خبطة بسيطة تعتمد على مواجهة فائزة زوجة مجدي ليستش منها هل تعلم فعلياً مكان البرديات والتابوت أم لا؟

كان يتذكر مقابلة أخيه وخطيبته معها.. كان يشعر أن تلك المرأة لديها م تخفيه.. ربما يكون مجدي قبل وقاته قد أخبرها عن مكان البرديات والتابوت.. كان الحل الأمثل هو التظاهر بأنه صديق مجدي أتى من الخارج وفوجئ بطير وفاة زوجها.. أو حتى كان من ضمن البعثة التي قامت بالتنقيب.. أو حتى سمسار آثار مثل ذلك الأجنبي البقيض.. وقتها سيرى رد فعلها وعن طريق ذلك سيحدد هل تعلم مكان البرديات أم لا؟

دلف إلى سيارته ولكنها لم تدر كعادتها.. نزل منها وحاول إدارتها بعد أن فتح غطاء المحرك دون جدوى..

نظر إلى ساعته وهو يفكر بمشواره الهام ويفكر.. فاقترب منه ناكمي حتى صار بهواره قائلاً:

..هل تحتاج أي خدمة يا سيدي؟

- شكراً لك.. إنها السيارة، لم تدر كعادتها..

- هل أستطيع أن ألق نظرة عليها؟ فربما يكون هناك كابل ما يقوم بتسريب كهرباء أو ما شابه ذلك؟

- حسناً.. تفضل، أخشى فقط أن أعطلك..

- لا يا سيدي.. ليس هناك أي عطل.. فقط اجلس خلف عجلة القيادة وبمجرد أن أعطبك منك إدارتها قم بتشغيلها..

منس جاسر خلف المقود.. أما السائق فحسباً حاول إدارتها عدة مرات.. لكن دون جدوى فسمح يديه قائلاً:

لن تدور يا سيدي.. ولو جربت عشرات المرات إن البطارية بها ربع تالف.. ماها ولن تدور.. يلزمك بطارية جديدة..

منس جاسر ساخطاً وهو يتزل من السيارة:

«لنعم على تلك السيارة، وعلى البطارية أيضاً..»

اكتلت في طريقك لحشواي ما.. قد أستطيع إيمالك

في الحقيقة.. نعم هل تستطيع إيصالي لزهراء مدني.. نصبر من فضلك؟

المكان بعيد والزحام شديد.. لكن قد أستطيع أخذ الطريق الدائري ثم من القاهرة الجديدة.. تفضل بالركوب يا سيدي سوف أقوم بتوصيلك..

جلس جاسر بهوار السائق لبدأ طريقه إلى فائزة ليحاول الحصول منها عما يغيده في البعث عن تلك البرديات.. ولكن بمجرد تحرك السيارة بدأ شيء ما يرق في رأسه وكأنه على أعقاب مصيبة أو مشكلة ما..

كان السائق يتكلم ويتكلم دون توقف.. شعر جاسر بالفلتان من طريقة السائق في الحديث.. نظر إلى المرأة التي بهواره.. شعر وكأن هناك سيارة "قان" زرقاء اللون تتبعه.. فتتوقف كلما توقف وتسير كلما سارت السيارة..

شعر جاسر وقتها أنه مراقب.. وربما من يراقبه هو من أعطبك سيارته ليقع في هذا الفخ الذي يسير إليه بأقدامه.. بل شعر أن بدزميران هو من كان ينهه الآن.. ولكن هل يستطيع أن يتقنه حال وقوع أي مكروه؟

كان ذهنه يفكر سريعاً في كيفية الخلاص من ذلك المأزق؟

أبكون ذلك السائق مشتركاً معهم في تلك المكيدة؟ بالتأكيد لا.. لأنهم لو كانوا يريدون إنذاه لأذوه على الفور بمجرد هبوطه من بيته بجوار السيارة أو حتى قتله دون أن يراهم أحد.. هم فقط يتبعونه..

كان يشعر أن من يتبعه هم من كان يحمل لديهم إيزاك.. فربما هم يشكّون أن له يدًا في الأمر.. وهو بمذاجته يؤكد لهم ذلك.. بسعيه إلى زوجة مجدي..

كان عقله يعمل بسرعة البرق، كيف سيتخلص من هذا المأزق بسرعة قبل أن يتوجه إلى منزل فائزة زوجة مجدي.

بل عليه الآن أن يضع في حسبانته أن السائق معهم.. وذلك بافتراض الأمس.

قطع أفكاره زين هاتفه، فأخرجه من جيبه السفلي ناظرًا إلى المتصل فوجده الحاج مراد.. لم يرد عليه على الرغم من اتصاله به مرة أخرى. أغلق جاسر الهاتف وأعادته إلى جيبه، كان لا يريد أي إزعاج حاليًا.. فقد كان متأكدًا أنه يتصل به ليطمئن عليه بعد خروجه من العجبر.. كان يريد شكره أيضًا، وكذلك الاطمئنان على الشيخ إلهامي، ولكن ليس الآن فليفرغ من مهمته قبل ذلك.

كانت السيارة قد دخلت إلى التجمع الأول حيث يتندر دخول السيارات بكثرة في هذا الطريق المؤدى إلى زهراء مدينة نصر بالقرب من الطريق الدائري كان يبعث في عقله عن أي سبب يتحجج به إلى السائق، وفجأة طرأت فكرة ما في رأسه فنظر للسائق وقال :

من فضلك هل ممكن أن تقف ولو دقيقة بجوار تلك الأشجار؟

شيء غريب يا سيدي.

ما هو الشيء الغريب؟

لقد كنت سأطلب منك ذات الطلب، لأنني أود أن أقضي حاجتي خيف هذه الأشجار الكثيفة..

حسنًا أنا أيضًا..

كس السائق السيارة بجوار الأشجار وهبط منها، واتجه ناحية جاسر فتعاقب الباب الذي بجواره قائلا:

الن تهبط يا سيدي؟

- نعم سأهبط.. ولكن بعد أن تنتهي أنت.. وأيضًا حتى لا تترك السيارة هنا وحدها في هذا المكان المتعزل، اذهب أنت وعد إلى بسرعة.

- فعلاً يا سيدي.. ولكن بعد إذنك هل لك أن تناولي علبة المناديل الورقية التي تحت كرسيك؟

انحنى جاسر برأسه إلى أسفل الكرسي باحثًا عن أي مناديل، ولكنه لم يشعر إلا بضربة مفاجئة على رأسه أفقدته الوعي..

نظر السائق يمينًا ويسارًا للتأكد من أن لا أحد يراقبه.. وحمد الله أن جاسر لم تترف رأسه حتى لا يضطر إلى غسل الكرسي مرة أخرى.. فأمسك رأس جاسر إلى الكرسي الجالس عليه ثم عاد مرة أخرى إلى المقود ليأخذ من جواره هاتفه المحمول.. ويتصل بذلك المجهول وهو يقول له بصوت مرتعش متوتر:

- أين أنت؟ لقد أفقدته الوعي.. إذا لم تأت في خلال دقائق وتأخذه من سيارتي سأتركه في عرض الطريق..

رد عليه ذلك المجهول قائلاً:

- أنا في طريق إليك، أصبحت ولا نتكلم كثيرًا.

وفي غضون دقائق كانت العربة "الفان" الزرقاء تتوقف بجوار التاكسي لهبط سائقها بجوار الباب الجانبي ليهنحه ويعمل جاسر بسرعة ليلقيه داخل سيارته قائلاً لسائق التاكسي:

- فلتذهب الآن، ولا تثنِ إبلاغ سلامي لـ..

قاطعه السائق وهو يستقل سيارته حائلاً:

- لن أبلغ أحداً شيئاً، وهذه آخر مرة أقوم بتلك الفعلة، فأنا لذي أولاد أريد تربيتهم وسأحدث مع صاحب السيارة في ذلك.. يكفي ما حدث المرة السابقة، فأنا لست مجرماً..

قالها وانطلق بالسيارة سريعاً ليذهب إلى حال سبيله تاركاً ذلك الرجل الغامض في اندهاشه بجوار باب سيارته الذي لا يزال مفتوحاً.. امتدت يد الغريب ليقبّد جاسر سريعاً خلف ظهره ويغلق الباب متجهًا بسرعة بسيارته إلى إحدى مناطق الفيلات المجهورة.

* * *

فتح جاسر عينيه بصعوبة بالغة.. محاولاً تذكر ما الذي أتى به إلى هذا المكان.. نظر حوله في أنحاء الغرفة التي كانت غير مكتملة البناء مما يوحي بالكآبة أكثر..

كان البلاط الإسمنتي لا زال على الأرضية وتحيط به جدران من الطوب الأحمر.. بينما كان شعاع الضوء ينسدل من فتحة في الجدار سكان أفدة لم تتركب بعد.. بينما كانت أكوام الرمل مكدسة في أحد أركان الغرفة..

حاول أن يفك قيده المثلث في عمود خرساني ولكنه لم يستطع.. كان يشعر تلك المرة بصداق قاتل كعادته إلا أنه كان مختلفاً.. تذكر كيف أتى بعبانه إلى ذلك المكان.. وكيف خدعه سائق التاكسي ليلقي به في هذا المسجن الذي لا يعلم ما سوف يحدث له فيه إلا الله وحده..

لا يدري لماذا تذكر كوابيس بدزميزان.. لماذا لا يكون فعلاً داخل أحد الكوابيس الملعونة.. وعلى الرغم من صعوبة الفكرة إلا أنها قد أراحتة ضميراً لمجرد اعتقاده أنه داخل كابوس.. كان فقط ينتظر الإشارة لينأكد ويعطمن، والغريب أنه بمجرد شعوره أنه داخل كابوس اختفى الصداق من رأسه، مما منحه شعوراً بالاطمئنان..

لفت نظره في تلك اللحظة صوت يأتي من أعلى على أقصى يمينه فنظر ناحيته فوجد سلماً حديدياً مثبثاً إلى جوار الجدار ينتهي من أعلى بباب خشبي، مما أكد له أنه في دور سفلي من منزل ما تحت البناء..

فتح الباب الخشبي ووجد خيال رجل في ضوء الشمس لكنه لم يتبين ملامحه جيداً..

بدأ الرجل في التزول على السلم الحديدي حتى اقترب من جاسر.. والذي كانت ملامحه تتكون لدى مهيلة جاسر الذي كان يفتح عينيه على مصراعها كلما اقترب منه ذلك الرجل الغامض.. والذي ظل يتقدم في خطواته حتى وقف أمام جاسر مياشرة.. وقفها كان جاسر في قمة الرعب

وقد تأكد فعلاً أنه داخل أحد الكوابيس الملعونة ليدرميران.. عندما نظر إلى وجه الرجل الذي أمامه..

كان الرجل لا يحمل أي ملامح بوجهه.. كان جلده تقريباً ذائب، وقد برزت عظام وجهه على نحو غير مألوف، ومال وجهه معها للزرقة الغير طبيعته مع لون أبيض لعظام الوجه التي كانت واصحة جداً مع بروز مخيف لمقلتيه جعلته أشبه ما يكون بهكل عظمي متحرك..

مد ذلك المجهول يده ليقبض على رقبة جاسر بيد فولاذية لا تتناسب تماماً مع شكل العظام الهشة، والتي ظن جاسر معها أنه ضعيف جداً، وقد هتف فيه بغضب:

- أخيراً أنت هنا بين يدي.. اسمعني جيداً.. ساكون سعيداً أن أراك تتعذب وأشاهد أمعاءك وهي تخرج من جسدك الذي سأقوم بتسويةه أمامك.. سأستمتع برؤية الدماء التي ستخرج من كل جزء من جسدك.. انفجر جاسر ضاحكاً وهو يقول:

- هيا إذن ماذا تنتظرون؟ لقد سلمت الأعبيك مي، وأنا الآن أصبحت لا أصدق كلمة ما تقول.. اقتلي كما تريد فأنا أعرف خاتمتي كالعادة.

نظر إليه ذلك المجهول بشكٍ وهو يقول:

- ماذا؟ كيف وانتك الجراءة لتتحدث معي بهذه الطريقة؟ أنت لا تخشى القتل؟ حسناً أنا لن أقتلك.. لأنني أحتاج أن أعلم الكثير من التفاصيل منك.. ولكن ما رأيك إن جعلتك تقنوق الموت؟ أن تشعر بالدماء تميل منك دون أن أقبض ورك؟ أن تشعر بجزء من جسدك وتراه أمامك وتندم على أنك لم تتعاون معي من بداية الأمر.. أن أضع هذا الجزء

مامك حتى ياكله الدود وأنت عاجز حتى أن تصل إليه.. بالتأكيد هو شعور مقبص.. ماذا لو...؟

هنا هو يتناول أداة من التي تستخدم في نزع المسامير من الخشب كانت مفاة على الأرض بجوار الرمل، ووقف خلف جاسر.. وانتزع أصبعه الأصفر بانراً إياه في سرعة بواسطة تلك الأداة.. وسط صراخ جاسر من شدة الألم..

أخذ ذلك الرجل الغريب يضعك وهو يلتقط إصبع جاسر ليضعه أمامه على برميل مقلوب على الأرض والدماء ترف من مكان الإصبع المبتور.. قائلًا له في سخرية:

- اصرح وابك كما تريد فلن يسمعك أحد.. وزيادة في الاحتياط سأغلق فمك بلاصق حتى تنفص بصعوبة أيها الشجاع..

وبالفعل أخرج من جيبه لاصقاً طبيياً واضعاً إياه على فم جاسر الذي كان كان يترق بفرارة من مكان إصبعه المبتور، والغريب يكمل:

- والان عفاً لك على مجرد تفوهك بذلك الهراء، سأتركك هنا يومين حتى تتعلم كيف تغطا طبي في المرة القادمة.. وصدقني في المرة القادمة ستكون يدك هي المبتورة..

وخرج وهو يضعك في سخرية من جاسر دون حتى أن يغيره بما يريد منه على وجه التعدييد..

أما جاسر فعاول أن يصحو من النوم دون جدوى بل أخذ يدق بأقدامه على الأرض حتى يصحو دون فائدة.. كان الألم هذه المرة أفظع آلاف

المرات من أي كابوس كان يراه.. كان يقاوم الغيبوية التي بدأت تقترب منه بعد أن فقد الكثير من الدماء..

بدأ يشعر أنه على أرض الواقع ويشعر بعجزه في قيوده.. كان ينظر إلى إصبعه المبتور وهو ملقى بإهمال على سطح اليرميل.. كان يتمنى أن يفك قيده ويحاول الخروج سريعاً إلى المستشفى لمحاولة إسعافه.. فقد سمع عن أحدهم الذي فقد إصبعيه ولكن تم إصالحه مرة أخرى إلى كف يده..

ولكن كل أحلامه بدأت في التغير عندما وجد أن هناك فأراً بحجم القط الصغير يلتصم رائحة الدماء التي نزلت منه، بل واقترب دوى خوف من أقدمه محاولاً الصعود إلى ظهر جاسر ولكن جاسر تحرك وركل الفأر بقدمه حتى اصطدم باليرميل.. ولكن لدهشة جاسر فإن الفأر لم يتحرك بل فعل ما هو أكثر من ذلك، وكأنه يثار لكرامته فصعد يلتصم على سطح اليرميل حتى وجد الإصبع المبتور وسط صراخ جاسر ومحاولة إبعاده بكل أي شيء، تصل إليه قدمه لإلقائها على اليرميل..

ولكن الفأر لم يتحرك قيد أنملة بعد أن وجد تلك الوجبة الشهية التي لم تخطر بباله منذ في قضم أجزاء بسيطة وسط هستريا جاسر، الذي بدأ متعصباً على إرضيعه حاصبة والفأر يأخذ بعيداً عن نظر جاسر وسط بكائه وصراخه..

كان الموقف أصعب مما يحتمل.. أحس بغدر يسري في جسده من تأثير كمية الدم التي فقدوها.. والصداع الذي بدأ يذب في رأسه مجدداً مع تلك الصعوبة التي وجدها في التنفص..

كان آخر ما سمعه هي أصوات جليبه في الأعلى أعقبه صوت كسر في الباب الخشبي..

وذهب جاسر في غيبوبة أخرى..

أفاق جاسر ليجد نفسه ممدداً على سرير، كانت الدنيا ظلاماً من حوله حرك نفسه يميناً ويساراً فتعرك بحرية.. نفس الصعداء أنه خرج من 'الكابوس' كهأدنه..

كان يشعر بالمر بسيط في يده اليسرى مكان إصبعه المقطوع في الكابوس ولدهشته نظر إليه فوجده ملتقاً بقطع من الشاش الطبي.. فزع أكثر عندما اعتادت عينيه الظلام فقد كان الضوء يأتي من الخارج ملقها بظلاله على الجدار المقابل.. وجد نفسه في غرفة بسيطة، وبها سرير ومنضدة صغيرة تراصت عليها بقية طعام وعدة شاي وقهوة بجوار موقد صغير..

حاول أن يقف على رجله فاستند على حافة السرير، عندها عاوده الصداع فوضع يده على رأسه متأوفاً.. حرك رأسه يميناً ويساراً.. تناول كف يده اليسرى والتي بدأ الألم يصرخ فيها مجدداً.. وتلمس إصبع يده في زعر قاتل.. فوجده بالفعل ميقوفاً أسفل الشاش..

نظر في ساعته التي كانت تشير إلى المسابعة مساءً.. كان كل همه حالياً أن يجد طريقاً للخروج من هذا المكان.. لا يدري من حل وثاقه كل مايتذكره أنه كان هناك شيء ما يدور في الأعلى أعقبه كسر في الباب الخشبي المؤدي إلى الغرفة السفلية..

تحرك في هدوء نحو باب الغرفة، لكنه قبل أن يخرج شعر بحركة في الركن المظلم من الغرفة مما أثار فرع جاسر أكثر فتناول سكينًا كاس على المنضدة، ولكنه سمع صوتًا يقول:

- استيقظت أخيرًا يا أستاذ جاسر؟

كان يعلم هذا الصوت جيدًا.. لكنه لا يتذكر من هو..

- لا تخف أنا الحاج مراد.

- حاج مراد.. اضلني فأنا لا أرى جيدًا منذ فقداني للوعي مرتين اليوم أخيرًا وجدت وجهًا أتي به.. ماذا حدث أخبرني بالله عليك . وكيف وصلت إلى هنا..؟

ربت الحاج مراد على كتف جاسر برفق قائلاً له:

- فلتجلس أولاً وتهدأ فقد نزفت كمية كبيرة من الدماء، وعليك أن تهدأ حتى لا يصيبك الإغماء مجدداً، إلى أن نستطيع نقلك إلى أقرب مستشفى..

جلس جاسر على طرف السرير الذي كان يرقد عليه وقد جلس قبالة الحاج مراد، إلا أن جاسر استدرك قائلاً:

- أخبرني أولاً.. كيف توصلتم إلي؟ ومن قيدي؟ ومن هذا الرجل المشؤم؟ لقد كنت أشعر أنني داخل كابوس ولكن بمجرد رؤية يدي أفقت على واقع لا يقل رعباً عنه.

- هون عليك الموضوع إننا لم نتركك منذ أن أخذت البردية من الشيخ إلهامي عليه رحمه الله.

رؤ جاسر يتأثر:

ماذا؟.. هل توفي الشيخ إلهامي؟

نعم.. بعد أذان عصر ذلك اليوم.. وقمنا بدفنه قبيل المغرب.. سبحان الله، الرجل كان يشعر بدنو أجله..

بعد أن فرغنا من دفنه كان علينا أن نعمل بوصيته من ضرورة حمايتك وحماية ما تحتفظ به من برديات.. لا أعلم ما المقصود ولا أعلم كيف ستكون أنت سيبًا في رحيل اللعنة عن قريتنا.. نحن نساعدك فقط لنهبطاً لأوامره..

- عليه رحمة الله، وماذا حدث بعد ذلك؟

- نزلت أنا إلى القاهرة ومعى عدد من الرجال. وكان علينا مراقبتك دون أن نشعر، ولكننا فوجئنا بالشرطة تقوم بهمسكك دون أن تعلم حتى السبب، فكان علينا حماية الشقة من أي متطفل، وبالفعل حرسنا الشقة. وظلت أعياننا عليك، حتى من داخل العجيز ولا تسأل كيف، حتى تم استدعائي، وكان علي أن أساعدك، وهنا طرأت على ذهني فكرة أنك كنت لدينا لتقوم بخطبة هند حتى يكون السبب مقنعاً.. وخرجت من العجيز..

وبعد ذلك كنت صباح اليوم في طريقك إلى مكان ما، ووجدنا أن هناك من يهبط بسيارتك.. وقتها كنا نلتصق من بعيد في سيارتنا وحاولنا تحذيرك عندما وجدنا ذلك المصافق يقترب منك ولكننا وجدناك قد ركبت معه.. ولذلك نتبعناك من بعيد وفي حالة الخطر كنا سنستدخل، ولكن كان يلزمنا تحذيرك فقمتم بالاتصال بك ولكن لم نجيب على الهاتف،

وذلك عندما وجدنا سيرة زرقاء اللون تتبعك من بعيد.. فشعرتنا بالقلق واقتربنا منكم كثيراً، ولكن سائق التاكسي احتفى من أمامنا فجأة.. وكان علينا أن نتبع حدسنا ونتابع العربة الزرقاء ونعتمد الله على ذلك.. كانت قد أنطأت حتى دخلت في طريق جانبي وتبعناها من بعيد حتى وجدته يتوقف بجوار التاكسي ولم نستطع معرفة ما يحدث داخله حتى وجدنا سائق السيارة الزرقاء يرفعه إلى داخل سيارته..

كان أمامنا حلان إما أن نلتصك من يمين يديه أو نتابعك من بعيد حتى يصل إلى مكان ما وولفتنا نعرف ما يدور داخل هذا المكان..

- ولماذا لم تتدخلوا على الفور بمجرد اقتيادي لذلك المكان؟

- لقد أغلق الرجل كافة مداخل الصيلا.. هي الرعم من أنه لم يكنم بنائنا بعد إلا أن الملعوب كان يحيط لعب المداخل بسلك كهربائي فكان لابد من فصل التيار الكهربائي أولاً.. ولم تأخر عليك إلا فترة بسيطة كن نحاول خلالها الدخول واقتحام المكان..

وبعدها دخل أحدنا من فتحة بسيطة بعد إزاله الكهرباء.. وفتح لنا هيدو، فسمعنا صوت ذلك الرجل وهو يفتح الباب المؤدي إلى أسفل حتى فوجئ بوجود أمامه.. وحاول الهرب لكن صبرة على رأسه من الرمن شعيب جعلته يفقد وعيه إلى الآن..

- رمن شعيب؟!!

وفي نفس اللحظة دخل ذلك الرجل الضخم الذي قابله جاسر أمام المقبرة وقد تذكر ضهرته القاتلة على رأسه.. والرجل يهتف قائلاً:

- حاج مراد.. حاج مراد.. لقد أفاق الجني..

هتف جاسر مستكراً.

- جني؟!!

أجابه الرمن شعيب بتوتر:

- نعم إن هينته وطبيعته لا تدل على أنه بشري نهائياً ي أستاذ جاسر..

رد عليه الحاج مراد بهدوء:

- يا رمن شعيب.. أظن أنه لو كان جيئاً أكنت تستطيع ربطه بتنت الطريقة؟ أو ضربه بعصاك؟

اهتمم جاسر قائلاً:

- والله ب حاج مراد أعتمد أنه لو كان زعيم الألبسة داته قد داق طعم صبرة من عصا الشيخ شعيب لكان قد فقد الذاكرة وليس الوعي..

ضحك الحاج مراد وحول الرمن شعيب أن يفهم ما يقصده جاسر الذي طلب منهم أن يتركوه مع ذلك الرجل الغريب فقط لعدم من هو ومن ورائه؟ فوافق الحاج مراد مدياً على بقية رجاله ليصعدوا للأعلى ليستكملوا إصلاح الكهرباء، أما جاسر فقد تناول سكيناً صغيراً وهو ينظر بحسرة إلى يده المدممة.. مما جعل مراد يمسكه من كتفه قائلاً:

- لا يا أستاذ جاسر إلا الدم.. لن أسمع لك بقتله؟

ضحك جاسر بسخرية قائلاً:

- قتل؟! ومن قال لك إني سأقتله؟ سأعلم من وراءه؟ وما الذي دفعه لتعديبي؟ وما كان يريد تعديداً مني؟ فلتتركني معه ولا يهبط أحداً من

رجالك حتى أنادي عليكم إن كنتم تريدون رحيل اللعنة فليس من شأنكم أن تملوا عليّ تصرفاتي.. فإله وحده يعلم ما بداخلي..

تركه ليهبط إلى الدور السفلي وعشرات الأفكار الشيطانية تراوده..

كان هناك ضوء شاحب يأتي من مصباح زيتي ليضيء شعلته في الغرفة ويلقي ظلًا من الأشكال السوداء التي تبدو كأنها شياطين الجحيم تتراقص على الجدران. وكأنها تشعر أنه في غضون دقائق سوف ترى ما لا تصدقه من شهوة الانتقام..

اقتراب من الرجل المقيد في هدوء واقتراب أكثر من وجهه معاولًا تحيّل ملامحه أو حتى معرفة ما إذا كان ذلك القابع أمامه بشرًا أم جننًا أم من يكون؟ لكنه لم يتمالك نفسه عندما لمح شبح ابتسامة على وجه الغريب فنالوه بقبضة يده في أنفه تمامًا مما جعله يترقّب منها بفزارة.. وجاسر يراقبه قائلاً:

- أنت تازف.. هذا شيء جيد.. ولأن هل تسمع لي أن أغلق فمك الكريه حتى لا تزعج أصدقاءك في جهنم. وخاصة أنك ستستمتع الموت ولكنك لن تجده .

وقبل أن يتفوه الغريب بملت شفة تناول جاسر قطعة من جوال ملقى على الأرض وقطعها حتى أصبحت في حجم كف اليد ودسها في فم الرجل وتناول ذات الجزء من اللاصق الذي كان على فمه صباح اليوم ليضعه على فم ذلك الرجل قائلاً:

- سيحان الله.. أملاً بك يا سيدي المشوه.. أهلاً بك في عالمي الخاص أنا لا أريدك أن تتكلم.. بل لن أسمع منك شيئاً.. أتذكر كلماتك وموعظتك التي ألقيتها عليّ صباح اليوم أيها المسخ؟ فلتنم كل شيء ولنبدأ من الصفر.. هل تسمعي؟ نعم أنت هنا لمجرد أن أتملى عليك، سأجعلك تتعفن من مكانك دون أن تموت.. أنعلم أيها المسخ.. سأحضر لك محاليل طبية.. سأداويك كلما نزفت.. سأمرضيك كلما تعبت.. سأكون طبيبك الخاص حتى لو استمررتنا على هذا العذاب سنوات.. سأكون لكلاً الكابوس الذي لن تتغلبه.. سأحول لك هذه الغرفة لجهنم.. وفي الصباح سأداويك وسأقوم بغياطة كل الجروح ولكن دون أي مخدر.. أسمعني؟ فلتنم رأسك أيها المشوه..

ولكنه لم يلق إيجاباً فما كان من جاسر إلا أن ناوله بركلة قوية بقدمه في بطنه مما جعل الغريب يتلوى من قوة الضربة.. فأردف جاسر قائلاً:

- عندما أسألك فلتنم رأسك.. لن أكرر أي كلمة مرة أخرى..

وأخرج المسكين من جيبه الداخلي واقتراب منه وهو يضع حافة السكين على وجحة الغريب قائلاً:

- والان عزيزي المسخ.. ما الجزء من جسدك الذي لن تحتاجه؟ سأشير لك على الجزء الذي سأنتزعه، وأنت قل رأيك بإيماءة من رأسك؟ أرايت ديمقراطية أكثر من ذلك؟

وأخذ جاسر يصير يعرف المسكين الحاد على جسد الغريب وهو يتلوى من الألم والرعب كلما شرّز حافة السكين في جسده.. وجاسر يهيم بطنه:

- لا.. ليس أنت الذي شيء.. أريد فقط أن أراك تتلوى من الألم..

قالتا جاسر ثم إلتفتت حوته بنحو سي شيء، وهو يتساءل:

- أين هي؟

كان جاسر يبعث عن تلك الأداة التي نثر بها إصبعه حتى وجدها تحت أقدام الغرب فتناولها في مساعدة كعصر وجد دميته الضالعة منه وهو يقول:

- والآن دعني أفكر.. أي إصبع لا تريد..

ومر بجوار الغرب واقفا خلفه والغرب يصرخ من الرعب ويطلق صرخات مكتومة من فمه المفلق باللاصق وهو ينفض على أصابعه حتى لا يتمكن جاسر من الإمساك بأحدهم.. وجاسر يتعمد يستمر..

- أنت تفش.. أنا لم أفعل بك هكذا.. إذن فلست أريد.. حسنا.. أريد تلك الأذن..

وبالفعل رفع جاسر تلك الأداة ثم وضعها على شحمه أذن الغرب ممسكا إياها في قوة ويده الأخرى قد ثبتت رأسه إلى العمود الخرساني ثم بدأ الصغط رويدا رويدا، والغرب يلتفض بكل جسده دون جدوى، وجاسر يضغط أكثر حتى بدأت الدماء تنزف من أذنه، وقبل أن ييتهاز تركها مدلاة تنزف بشدة وهو ينظر للغرب بهشاش قائلا:

- يمجيبي شكلك هكذا أيها المسخ.. والآن يصبرني شيء.. أود تجربته عليك.. لماذا تتدفق تلك الأفكار القاتلة الآن!!!

والآن أسمع لي أن أخلع لك سروالك.. لا تقلق سأطلع على مساقبك فقط؟

وبالفعل غرر طرف المسكين الحاد المديب في فخذ الغرب ثم عمل فتحة بسيطة في السروال وجعل المسكين يفتحه حتى أخرجه.. وفي الناحية الأخرى فعل نفس الشيء حتى كشف فخذه..

كان الرجل في حالة يرثى لها من الرعب من توقع ما قد يفعله به جاسر. فأخذ يتمتم بكلمات مهمة محاولا إقحام جاسر أنه يريد أن يتكلم، ولكن جاسر لم يرد الآن سماع أي شيء، لذلك استطرد قائلا:

- والآن أيها المسخ يبدو أنه ليس هنا أي قطعة من اللحم في جسدك فلنجرب طريقة أخرى.. ما رأيك لو قممت بسلطك حيا!!!

بدأ الرجل في التملص مرات ومرات ولكنه صرخ كعادته صرخات مكتومة عندما اقترب جاسر من فخذه وقام بعمل فتحة بعرض عدة سنتيمترات وبدأ في محاولة نزع جزء من الجلد وسط صراخ الرجل..

كان جاسر نفسه مندهشا من كمية القسوة التي طرأت عليه ولكنه استمر حتى انتزع قطعة جلدية صغيرة وأمسكها بتلك الأداة وبدأ في جذبها للخارج.. وعندما بدأ الرجل في التزيف توقفت جاسر ورفع اللاصق عن فمه فشهق الرجل في شدة وأخذ يصرخ من الألم، فوضع جاسر يده على فمه محذرا:

- هذه عينة فقط مما سوف تراه إن كنت تريد أن تتكلم فتكلم وسأرى إن كنت تكذب أو تقول أشياء ذات أهمية.. ربما وقتها قد أعفو عنك أيها المسخ فلنبدأ بمسؤول عادي.. من أنت؟

هتف الرجل في ألم متوسلاً:

- بالله عليك... أنا لست حمل أي ألم فليكني ما أنا فيه.. سأخبرك كل الحقيقة وأقسم لك ولكن اتركني لحال سبيلي.

أجابه جاسر في برود:

- هذا ما أقدره.. إن وجدت منك صدقاً.. لقد سألتك من أنت وما الذي دفعتك لفعل ذلك معي؟

- أنا مجدي معاذ..

نظر إليه جاسر باسئال كار قائلًا:

- ماذا؟! من؟! مجدي معاذ؟! أنت تعرف.. مجدي معاذ قبل نتيجة تلك اللعنة وقد تعرفت زوجته على جفته ودفن و...

بتر جاسر كلامه فجأة وكأنما قد تذكر شيئاً ما وما لبث أن اكمل.

- انتظر.. زوجته فقط هي من تعرفت عليه.. نعم.. نعم.. كيف كان الجميع بهذا الغباء.. كنت أنت من تتحرك في الغفاء.. بعد أن أوهمت الجميع بأنك ميت لتتحرك بحرية وتكمل ما بدأت.. ممتاز أحبيك على تلك الخطأ، ولكن أريد منك إيضاحات كثيرة.. من صاحب تلك الجثة إذن؟ لا.. لا.. فلتخبرني القصة منذ البداية.

نظر إليه الرجل متوسلاً:

- سأخبرك ولكن هل لك أن تعال وثاق؟

نظر إليه جاسر بقسوة قائلًا:

لا.. سننكم وسأقرر في النهاية إن كنت سأفك قيدك أم سأقتلك؟

وما الرجل برأسه مستسلماً في ألم وهو يقول:

- حسناً يا سيدي.. في البداية كنا اثنين أصدقاء.. أنا وأحمد في الجيش، وما لبثنا أن قضينا مدتنا وذهب كل منا إلى حال سبيله.. كل منا حاول...

قاطعه جاسر متأثراً:

- فلتختصر.. إنك لن تقص علي تاريخ حياتك، أريد فقط من أول تعرفك على البعثة ونشكم للمقبرة.

- لم أنبش مقابر بل كانت كل مهمتي أن أقوم بالاتصال بأحمد لترتيب فتح مقبرة في مكان قريب من بلدته، وعليه أن يحضر شيئاً مناسباً لك ما يسمى الرصد، وفعلنا تم الاتصال به وترتيب كل تلك الأمور مع قريب له في تلك البلدة، وتم الاتفاق على كافة التفاصيل ثم قابلت أحمد مع الخواجة واتفقا أمامي على كل شيء، وأخذ منه عربوناً عشرة آلاف جنيه..

كانت تلك مهمتي فقط، أما عملي الأصلي هو محاولة التصرف في الذهب أو الآثار الفرعونية نفسها، والخواجة كان لا يعنيه ذلك فكان كل ما يهمه فقط هو التابوت، أذكر أنه قال لي ذات مرة إنه كان يبحث عن مقبرة كاهن فرعوني منذ فترة كبيرة جداً، وكان يستطيع أن يحفر بنفسه لولا تلك الطقوس الملعونة..

وتم الاتفاق على ميعاد فتح المقبرة، وفعلنا تم استخراج الكثر، ولكن ما حدث أن الخواجة كان يضمم الخيانة للجميع، وأنا أقسم لك إنني ما كنت أعلم ذلك، ولكن أحمد شعر بتلك الخيانة وهرب هو وقريبه..

وفي ذلك اليوم طلب مني الخواجة الاحتفاظ بالتابوت في مكان بالقرب من هنا فقامت باستئجار مكان ما ووضعت التابوت فيه.
أما هو فأخذ كافة الصناديق الموجودة وأعطاني مبلغاً من المال لحراسة التابوت.. وقال إنه سيرسل مندوباً عنه سيستلمه معطياً لي بقية حتي..
ثم قابلت أحمد بعد ذلك، وأقسمت له إنني لا أعلم أي شيء عن المذبحة التي تسبب فيها الخواجة، وبعد أن تأكد أحمد أنني لا أكذب في ذلك، أخبرني أن قريبه كان يبحث هو الآخر عن صندوق ما.. وحصل عليه بالفعل في المقبرة.. فقامت بالاتصال بالخواجة لأحصل على بقية حقي من تلك العملية وأسلمه التابوت، وخاصة أنني بدأت أشعر أن هناك شيئاً غامضاً يحوم حول التابوت.. شيء لا أستطيع وصفه..

فقد كانت الغرفة التي وُضِعَ بها التابوت مظلمة دائماً حتي في ضوء النهار، وكان هناك من يجثم على التابوت.. مما أصابني بالرعب، وقتها فكرت أن أصعب شخصاً يعيش في تلك الغرفة لحماية التابوت من السرقة.. وكان هذا الشخص نابلاً.. وكان خبيراً في التصرف في الكنوز المدفونة بيدها لأشخاص معينة تستطيع تهريبها خارج البلاد وكنت ألق به.. فالتصقت بالخواجة وأخبرته ما حدث، فقال لي إنه على وصول وعلي أن أنتظر..

طال الوقت ولكنني فوجئت بأحمد يطلب مقابلتي في أمر هام جداً وكان هذا الأمر الهام هو وفاة قريبه فجأة دون سبب.. وحصول أحمد على صندوق يحتوي على أربع برديات.. كانوا في حوذة قريبه الشيخ حسن، ويبدو أنه كان في طريقه لقراءتها مع أحد المختصين، فاصابته لعدة قاتلة كما أخبرني أحمد الذي فكر أن يعرق تلك البرديات لأنه كان مرعوباً، وخاصة أنها كانت بهوثة..

- وكيف حصل عليها من الأساس؟

تأوه الرجل في ألم وهو يجيب جاسر :

قال لي إن حسن قد أخفى الصندوق والبرديات عندما دخل للمقبرة بعد فتحها، وأنه اكتشف بالبرديات كثيرًا لا يعد ولا يحصى، كان يبحث عنه منذ سنوات عديدة، وعليه أن يلاقيه يوم معين، وحدد له المهلة ليرى تلك المفاجأة، وعندما تأخر في الوقت ذهب ليجد جثة حسن وشخصاً آخر كان معه..

قام أحمد بإبلاغ الشرطة بعد أن أخفى الصندوق المحتوي على البرديات، وقام بالاتصال بي ليعرف ما يفعله بتلك البرديات الملعونة وإن كنت أستطيع الحصول له على مشترٍ لهم، وإن لم أجد فسوف يعرقها لكي تطلب منه الانتظار فقط..

وقتها كان الخواجة في زيارة للقاهرة وقابلته وعلمت منه سر تلك البرديات الملعونة. والتي يبحث عنها منذ سنوات وسنوات، وأنه على أتم استعداد لدفع أي مبالغ مقابل الحصول على هذا الصندوق فأخبرته بأنها في حوذة أحمد ولكنه يطلب مبلغاً كبيراً.. وطلبت منه نصف مليون جنيه ثمناً لتلك البرديات بالإضافة إلى نسبتي عن كشف المقبرة.. ففوجئت به وقد وافق على الفور، وأخرج دفتر شيكاته وكتب لي شيكاً بمائة ألف جنيه عربون، لكي تطلب منه أن يكتب شيكاً آخر بخمسين ألف باسم أحمد فوافق أيضاً.. مما أثار الشك داخلي أكثر حول أهمية هذه البرديات..

فأخبرته أن يترك لي هذا الموضوع لأحله. ولكنه اتصل بي بعد عدة أيام. ولم أقل له بالطبع عن مكان أحمد أو عنوانه أو أي شيء بخصوصه.. أخبرته فقط أنه سيتمسلم من الصندوق وبه البرديات كاملة

وبخصوص التابوت قال لي إنه في خلال عدة أيام سينقل التابوت خارج القاهرة وأن الشيكات تستحق بعد أسبوعين. وأني أستطيع أن أحتمد بالبرديات لحين وضع مال في حسابه بعد فترة من الوقت فقمم بالاتصال بأحمد عارضاً عليه شراء البرديات بمائة ألف جنيه فوافق طبعاً. بن وأتى إلي ليلاً وأعطاني برديتين فقط. وقال لي إنه سيعطيني البرديتين المتبقيتين مع الصندوق بعد أن يحصل على بقية المبلغ نقداً وأخذ الشيك وأنصرف تاركاً معي البرديات في المنزل. وبعد يومين أرسل الخواجة أحد مساعديه واسمه توم..

فقاطعها جاسر مستفسراً:

- توم؟ هل كان رجلاً ضخماً و..

فقاطعها مجددي هذه المرة وهو يئن من شدة الألم:

- لم يكن اسمه توم بل (إيزاك) وهو يهودي، ولكنني لم أكن أعلم إلا مؤخراً. المهم أنه استلم مني بالفعل التابوت بعد أن رفض إعطائي كامل المبلغ، وأعطاني خمسين ألف جنيه أخرى كسمموني فقط ولاحتفاظي بالتابوت طوال هذه الفترة. وقال إن الحصاب الأخير مع الخواجة.. على الرغم من أنني كنت منتظراً عربوناً لأنني بحاجة للمال. ولأدفع إيجار المكان الذي وضعناه به التابوت.. والشيك ذاته سيتمحق بعد أسبوعين..

ورحل التابوت الملعون لتعمل علي لعنة البرديات التي لم أكن لأتصورها.. بل لن أخبرك عن الشؤم الذي حل علي المنزل.. لن أخبرك عما رأيته بنفسي خلال الليالي القاتمة.. كوابيس ونار أحترق بها وحدي دون أن يكون لها أثر.. فقررت أن أنقل البرديات لتكون في مكان آخر بعيد عنا..

لذلك استأجرت هذا المخزن وأتيت بإبراهيم مرة أخرى ليقوم بجوارهم سوال الوقت.. واتصلت كثيراً بالخواجة فعلمت أنه في الخارج. وحينئذ حدث إلي هاتماً كان يلج علي أن أستلم البرديات فمما الشك وقمها داخلي وأخبرته أنني لم أحصل على البرديات بعد.. وبدأت في الاستفسار عن بعوت بعد أن أخبرني باقتضاب بقصته في إحدى المرات.. وبحثت عن قصة تلك البرديات الملعونة. كنت أريد أن أعرف ما الذي يدفع أحدهم للمغامرة بحياته للحصول عليها كما حدث مع الشيخ حسن؟ إلى أن علمت من أحد الأثريين أن تلك البرديات تساوي ثروة هائلة..

أما البرديات فكانت أتركها هنا في غرفة مغلقة وفي خارجها يحمل ذلك التابع لول نهار..

لا أعلم ماذا حدث.. ولكن كان علي أن أقرر إما الاستمرار في انتظار فئات الخواجة أو التصرف كما اعتدت أن أنصرف في الآثار المكتشفة فأنا أيضاً في زباني. ولكن الأحداث مع أحمد تسارعت على نحو معوم.. ففي آخر مرة كان يهاقني أخبرني أنه ذهب إلى البنك ولم يجد أي رصيد للشيك. وكان يشعر أنني خدعته. فأقسمت له أنني مثله تماماً لم أحصل على بقية حتى. فعدلتني عن أشياء غريبة تحدث له.. شيء أسود يمر بجوارهم.. شيء يأتي إليهم داخل كوابيس تكاد أن تقضي عليه.. يصعقون من نومه ليلاً على شيء يعثم على صدره يمنعه من التنفس دون أن يراه..

كان يحدث لي مثل هذه الأشياء تماماً لكنني لم أخبره. أما هو فكان متأكداً أن لذلك علاقة بتلك البرديات الملعونة. فهددني إن لم آت له بالمال في أقرب فرصة سيعرق البرديات التي لديه بنفسه.. حاولت مراراً أن أهاتف الخواجة أو حتى ذلك اليهودي دون فائدة..

كنت أشعر أنني كنت ضحية لعملية نصب.. حاولت الاتصال بأحمد لتحدثه دون جدوى، حتى علمت أن أحمد قد جن تمامًا، وأنه قد أصبح بزنلاً في إحدى المصحات العقلية. وقتها كان يجب أن أقرر ما سأفعله في البرديات التي عندي..

- وماذا فعلت أنت في بردياتك؟

- لقد حاولت فك طلاسم تلك البرديات بعد أن علمت أنها نساوي ثروة طائلة، ولكنني لم أفلق، بالرغم من محاولتي أنا وإبراهيم الذي كان يحرم البرديات، وبالطبع لم أخبره عن أهمية تلك البرديات.

كل ذلك حدث في ليلة واحدة. حياتي تغيرت تمامًا في ليلة واحدة وقتها تأكدت أن بالبرديات لعنة لن نستطيع الفكك منها..

- ماذا حدث؟

- تركت البرديات بعد أن عجزنا عن الاستمرار.. ولما كان الوقت قد تأخر فقد قررت أن أقضي ليلتي هنا معه.. وتركته في هذه الغرفة.. وصعدت لأنام في الدور العلوي، ولكنني لم أستطع النوم، وسمعت إبراهيم وكأنه يتحدث مع شخص ما.. فقممت فرغًا خوفًا من أن يكون أحدهم قد اقتحم المكان..

حاولت أن أفتح الباب لكنني لم أستطع.. كان هناك من يقف خلفه وإبراهيم بالدخول يتضرع ويبكي ويصرخ.. تناولت عتلة حديدية وكسرت الباب وبمجرد أن كسرتة دلفت ممرًا إلى الحجرة. لكن بمجرد دخولي الحجرة كان كل شيء من حولي عديم.

هيل أنك دخلت غرفة لا يوجد بها أي شيء؟ ولا حتى جدران أمامك.. مجرد طلام أسود من حولك، والمرعب أنه ليس ظلامًا داميًا بل أنت ترى دميك ويديك وما بجوارك لكن أنت في العدم.. ستكون إلى مالا نهاية.. ستكون مربع.. حتى صوت إبراهيم المتوسل لم يهد له وجود..

وجدت مصمي كأني في مكان أسود.. تدوس أقدامي على شيء أسود لا عرف كبه. جلد أو شعر أسود كثيف.. لا أدري.. كانت العتلة لا زالت في يدي.. وكنت أرتعد من قمة رأسي وحتى أخمص قدمي..

كنت أظن أنني أحلم.. فجأة وحدته.. شيء ما بدون وجه أو ملامح أو جسد كان هائمًا في سماء المكان الذي كنت به.. وكنت أنظر إليه من خلال تلك العينين الحمراء اللتين بدتا وكأنهما نبتتا من الفراغ..

تسمرت في مكاني ووجدته يعمس داخل عقلي.. لا أتذكر كلماته.. لا لم تكن مجرد كلمات، بل كانت أدعية أو تعاويذ فرعونية من تلك التي كنت أراها على تلك الجدران.. والغريب أنه كان يغاطيني بلغة ليست معروفة أبدًا ولكنني كنت أفهمها.. ووقتها رسخت تلك الجملة التي أخبرني بها في رأسي..

(لتكون لمن خلفك عتلة.. لتكون لمن خلفك عتلة..)

ومد شيئًا أسود اللون غير محدد الملامح لا أعرف إن كانت يده أو شيء ما لمسي.. وقتها سرت رعشة قاتلة في عقلي وجسمي.. ووجدت نفسي فجأة كأني أمام قراعة يحاسبوني على أخطائي، ومهم من كان يعد لي أدوات التحنيط إلى جواربي.. لقد كان كابوسًا لا أتذكره ولا أريد أن أتذكره.. كل

ما أتذكره أبي رأيهم أمامي كما أراك تمانًا.. واقتربوا مني وأمسكوا أحدهم.. قلم أشعر بشيء وكأني ذهبت في غياهب الموت..

بعد عدة ساعات أوحى أيام لا أدري. ولكن قُيّرت لي النجاة لأفريق على كارثة.. فقد وجدت إبراهيم ميتًا بشكل في غاية البشاعة وكأنه ميت منذ سنين.. كان جلده على العظم فقط بشكل مربع.. أما أنا.. فما أنا أمامك.. تدق كلمته في أذني لأكون لمن خلفي عظة حتى الآن.. تعولت إلى مسخ.. تعولت إلى الميت الحي.. جسد معنط ولكن الروح لثَّالت في الداخل.. كيف؟ لا أعلم ولكنها تلك اللعنة..

وقتها كنت ساجن.. أغشي عليّ من الصدمة وأفقت وأغشي عليّ لم أفقت.. وبعد أن جلست أفكر مليًا فيما حدث لي. وماذا أفعل خاصة بعد أن أصابني تلك اللعنة؟ وكيف أخرج من الكارثة فوزًا بأقل ضرر وأكثر مكسب.. كان عليّ أن أبدا في عرض البرديات على كافة المهتمين بهذا الموضوع.. وأن أحصل على المال بأي شكل ممكن وأهرب خارج البلاد.. والأهم من ذلك أن أهرب من تتبع الطواجة واليهودي واحتفظ بالمخسبين ألف جنيه، مع محاولة عرض البرديات التي معي للبيع. ومحاولة معرفة مكان البرديات التي مع أحمد..

كان عليّ أن أضع العظة بسرعة خوفًا من تعرض المكان كله للمسقة، أو وصول الطواجة وإيذاك بطريقة ما إلى هذا المكان..

أصبحت لا أبقى بأحد وكان عليّ أن أبدا في تنفيذ أولى خطوات العظة وهي إعلان موتي.. اتصلت بزوجي وشرحت لها أنني تعرضت لعادت حتى أخفف عليها الصدمة تدريجيًا عند رؤيتي.. وطلبت منها تنفيذ ما

سأحبرها به. وجاءت إلى هنا وكادت تجن مما رأيته. ولكن يعد أن شرحت لها أن كل ذلك سيكون جزء المسرحية التي سوف تقوم بها سونيا. وسخرج منها بمبلغ لا يقل عن نصف مليون جنيه ونهرب لنعيش خارج البلاد وافقت على الفور..

كان علينا أن ننتظر حلول الظلام حتى ننقل جثة إبراهيم إلى منزلنا. وقد بقناها فجراً وبالبطخ كانت الجثة مشوهة تمامًا. لذلك كان من الصعب التعرف عليها إلا من أحد الأقرباء، ومبارت الخطوة كما وصفتها.

وفي صباح اليوم التالي انصبت روجتي بالشرطة في حالة هلع ورعب لتخبرهم أنه عند رجوعها من المنزل بعد عودتها من الإسكندرية وجدتني على هذه الحالة. وتعرفت عليّ وبالفعل صدقت الشرطة هذا الكلام وخصوصًا أنهم وجدوا صعوبة كبيرة في تشريح الجثة ومعرفة سبب الوفاة بسبب الحالة التي وجدت عليها..

عقد جاسر حاجبيه وهو يسماله يهدوء :

- وماذا بخصوص البرديات؟

- كان عليّ أن أنقلها إلى المنزل بعيدًا عن الأعين من جهة. وحتى لا تصيبي لعنة أخرى حال تركها في هذا المكان.. لأنني لو تركتها هنا كان عليّ أن أحرسها بنفسي.. على الرغم من أنني أعتقد أنه لن يصيبي أسوأ مما أنا فيه..

- ونقلتها للمنزل فعلاً؟

- هم وصفت في حقيقه وأخفيت العقبيه خلف خزانه الملاهي وحبري
روحتي ان تلك برديت عادية من عهد ملك قديم ويوجد عدة زبائن لها
وعليها ألا تفتح الحقيقه أبدًا؟ مهما حدث إلا بقاء على أوامر متي..

واخفيت عن الأنظار في هذا المكان البعيد.. وأعطيت روحتي رقم هاتي
الجديد.. تخلصت من كل ما كان يربطني بالماضي.. وبدأت هي في الانصال
بكل من أعرفه من مدامسة لتعرض ما لديها من برديات.. وطال الوقت
وكننت أراقب الجميع من بعيد لأتأكد من تصديقهم لقصة موتي.. وفعلا
بلغ الجميع الطعم..

اعتدل جاسر في مقعده على ذلك اليرميل القديم المواجه لجدي وهو
يقول:

- وبدأت تحرك الأحداث من بعيد وزوجتك تبغك بكل شيء؟

- نعم ولقد أخبرتني بذلك الزيارة التي قام بها أخوك وأبلغتني بزيارتك
المستمرة لأحمد في المستشفى.. وهو ما جعلني أشك في كل تصرفاتك..
فأخبرتني أن تتصل بإيزاك والذي لم تره أبدًا لتخبره بأن هناك من
يعملون في الأمر..

كنت أريد صرف أنظارهم عنا وفعلا نجعنا في ذلك.. ولكن شكى وقلقي
زادا حينما علمت بزيارتك لمطربة أحمد وأهلها.. كان في الأمر شيء ما
يقلقي.. ولكن لم أصب الأمر كثيرًا في رأسي وتفرغت لما هو أهم..

- البرديات؟؟

- نعم.. لقد بدأت أتصل بالجميع عن طريق زوجتي ووصلت أخيرًا إلى
مسمار يدعى "ماتسون"، وافق على البيع واتصل بزوجتي وكننت معها

واتفقنا على المعبر باعتباري مسمار آخر.. وطلبت مبلغًا كبيرًا وافق
عليه على الفور واتفقنا على ميعاد محدد.. وانتظرت أنا خارج المنزل وفي
الوقت ذاته أراقب الموقف من بعيد وأرى قن القادم.. وهن كان بمفرده
أم لا.. واتفقت يا زوجتي أن تعطي له العقبيه بمجرد إعطائها المال..
ولكن بشرط أن أمانتها أولاً فإن لم أمانتها لا تتم الصفقة أبدًا..

نظر إليه جاسر قائلًا في استنكار:

- وهل وانتك الجرة أن تترك زوجتك بمفردها؟ كان من الممكن أن يقتلها
ويستول على البرديات والمال..

- لقد وصلت لمرحلة أنني أصبحت لا أثق بأحد.. هل إذا أصبحت أنت
بذلك الوجه.. أكننت تخاف على أحد؟ أكننت تضعي بنفسك من أجل
أحد؟ لقد اعتبرتها طعمًا هي الأخرى.. وكننت أحرك الأحداث من بعيد..

- وبعد ذلك هل استلم البرديات؟

- لا لقد كانت خدعة..

- خدعة..!!

- نعم.. كانت خدعة من الخواجة وخادمة الكلب اليهودي.. وذلك
للحصول على البرديات بلا أي مقابل.. فلقد انتظرت خارج المنزل في
سيارتي.. فوجدته يصعد بمفرده حتى دون أي حقيقه.. كنت على وشك أن
أصعد وأقتله في الأعلى عندما عرفتته.. ولكني انتظرت حتى هبط.. وقد
فهمت زوجتي أنني أرفض إعطائه العقبيه حين لم أتصل بها فتعججت
كما أخبرتني بأنها ليست معها.. وستعقد وقتًا آخر..

المهم أنني تليعته حتى وصل إلى المكان الموجود به واستمرت في مراقبته بعد ذلك، حتى حان ميعاده في ذلك اليوم الذي حددته زوجتي لتسليمه البرديات، حيث أعددت ما خططت له حين هبط وركب تلك السيارة التي أعرف سائقها وأتى به تمامًا كما أتى بك.. حتى وصل إلى هذا العمود المقيد به..

- إذن فهو أنت.. أنت من قمت بقتله.. لماذا؟

- نعم.. ولكي لم أقتله مباشرة.. بل قتلته بعد أن أذقته عذابًا لم يتحملة بشر.. مات من التعذيب.. كانت شياطين الجحيم تستولي على عقلي كلما مسكت أداة لأعذبه بها.. تمامًا كما استولت عليك دون سبب..

نزعته منه ما كنت أريد أن أعلمه.. عرفت منه أنه أخبر جميع السماسرة حتى إذا حدث وظهر أي شخص يريد بيع برديات قديمة فعلهم [إخبار مائتوون بمساعدة الآخر في مصر. وشربت أنا الطعم تلك المرة حتى وصلوا إلى منزلي ومكان البرديات.. وأنهم كانوا يخططون لاقتصاص منزلي وأجبار زوجتي على الاعتراف بـ مكان البرديات في حالة إذا لم تقم بتسليمه البرديات في الميعاد المتفق عليه..

ومنه عرفت أيضًا أنه قابلتك لشكك أن باقي البرديات لديك، وأنتك من تساوهم على البرديات المتبقية.. فكان لا بد أن أجبرك أنت الآخر على الاعتراف..

فأحضرتك إلى هنا بنفس الطريقة. وكان عليّ أن أقيدك هنا وأعرف منك هل توصلت أنت إلى ما عجزت أنا على الوصول إليه؟ وقد كان.. وقيدتك حتى أتى هؤلاء وقاموا بإنفاذك..

وزوجتك والبرديات؟

كان عليّ أن أنقل الاثنين إلى مكان آمن.. مكان لن يصل إليه أحد..

- وبالطبع لن تخبرني أين هم؟

- لن أخبرك.. حتى لو قطعت جسدي أجزاء صغيرة قلن أنكم.. فهي ضمانتي الوحيدة للخروج من هنا بسلام..

- حسنًا يا مجدي.. حسنًا..

نظر مجدي إلى جاسر متوسلاً وهو يئن من شدة الألم قائلاً:

- هل لي بشرية ماء من فضلك..

اقترب منه جاسر مرة أخرى وأيضاً الشريط اللاصق على فمه بعد أن ناوله جرعة من الماء كما طلب.. وبدأ يفكر في الخطوة القادمة..

صعد جاسر إلى الأعلى حيث الحاج مراد ورفاقه. وطلب منهم أن يهودوا مرة أخرى إلى البلدة، وأنه سوف يلحق بهم بمجرد الانتهاء من الحصول على البرديات، وعلى الرغم من اعتراض الحاج مراد إلا أن جاسر طمأنه أنه الآن في أفضل حال وعليه فقط أن يستمع إليه ويرحل إلى البلدة في أقرب فرصة..

وبعد أن خرج الجميع تناول جاسر القطن والمطهرات التي أحضرها له رجال الحاج مراد، وبدأ في تطهير الجرح لنفسه حتى يذهب إلى أقرب مستشفى..

كان في عقله الباطن يفكر كيف سيدفع مجدي إلى الحديث.. فهو لاشك سوف يرفض القفوه بأي كلمة عن مكان تواجد زوجته والبرديات.. كان

أنا عبد المقصود الصابط المويدي في مستشفى القاهرة الجديدة..
من أنت مدام فايضة زوجة السيد مجدي ؟

أنا لا أعلم عما تتحدث..

حسناً أنا متأسف.. السلام عليكم يبدو أن الرقم خطأ..

انتظرو.. من أعطاك هذا الهاتف لتكلمني؟

يا سيدتي لقد دخل السيد مجدي المستشفى مرّ بعادت بسيط أصابه..
ولكنه قبل خروجه اشتبه الأطباء في إصابته بالجذام..

ماذا جذام؟

سيدتي بما أن الأمر لا يعنك فاعذريني سنرقله إلى الحميات غداً بعد
أن أنهى المعضر الذي بيدي.

انتظرو.. أنا زوجته. اعذريني فقد كنت أشعر أن في الأمر مصايقة ما..

هل أنت متأكدة هذه المرة أنك فعلاً زوجته؟

نعم.. نعم، بالله عليك ماذا حدث.. أمو مصاب أم ماذا؟

اهدئي يا سيدتي.. ما حدث أن الأطباء اشتبهوا في إصابته بالجذام وتم
تحويله إلى الحجر الصحي هنا بالمستشفى. وغداً سيُرقل إلى الحميات في
عنبر مخصوص، ولكن المريض أخذ يصرخ نافعاً إصابته بهذا المرض،
مدعياً أنه يمارس حياته بشكل طبيعي. وأخبرنا عن اسمك وعنوانك
وأعطانا هاتفه للاتصال بك للتأكد.. ولكن أخبرنا عنواناً في زهراء مدينة
نصر لم نمثلد عليه، وكان علينا أن نخبرك عن ترحيله غداً..

جاسر يفكر في ابتكار وسائل جديدة لتعذيبه على الرغم من أنه من
داخله كان يشمئز مما فعله بمجدي. لكنها تلك اللعنة التي أصابته هو
أيضاً والتي تجبره على الإتيان بأشياء لم يحلم أبداً أن يراها. فصلاً عن أن
يمارسها.. وبداخله كانت تتصارع أفكار شياطين الجحيم كما قال له
مجدي لتفرغ أسوأ أفكارها الملغونة على بني البشر..

أخذ يبحث في الأدوات المتاحة.. كان هناك منشار حديدي.. كان يناسب
تلك الفكرة التي طرأت على ذهنه من بشر أقدامه.. ولكن إن يترها فمن
الممكن ألا يتكلم أبداً أو يموت من الصدمة أو حتى التزيف.. لأناس
بتجربة السليخ مرة أخرى.. لكن إن استمر بها، ورفض الحديث حتى ولو
سبح بقية جنده فماذا سيعمل؟ هل هناك تجربة أخرى تكون أكثر ألماً من
نزع الجلد؟

أحد يدور في أنحاء الغرفة العلوية حتى وقع نظره على هاتف مجدي.. مدّ
يده بثقلانية وبدأ يبحث في قائمة الهاتف.. وجد أسماء.. الخواجة.
إيزابيث.. توم.. ماتسون.. فايضة.. السائق.. أكل سوري..

عد مرة أخرى إلى اسم فايضة وتذكر أنها زوجة مجدي.. طرأت له فكرة
لمعت في ذهنه فجأة.. جلس مرة أخرى إلى المنضدة الخشبية مراجعاً ما
سيفعله عما قيل.

كانت الساعة تشير إلى ما قبل العاشرة ليلاً عندما أمسك الهاتف مرة
أخرى.. واتصل وانتظر قبل أن يجيب الطرف الآخر..

- السلام عليكم.. حضرتك أستاذة فايضة.

- عليكم السلام من معي؟ وكيف تتصل من هذا الرقم؟

- لماذا؟ لقد أكدت لك أني زوجته، وهو طبيعى، ولم يتعرض للجزام أبداً.

- ولكن يا سيدتي لمعت أنا من سيقرك، فاللجنة الطبية هي من ستقرر غداً، وسيحول إلى الحميات.. وأنت اعترفتي فلم أؤكد بعد أنك زوجته، بل لقد أنكروني في أول الأمر..

- أليس لك يا سيدى ما زوجته.. ومستعدة لأنى الآن ومعى وثيقة الزواج وكل الإثباتات أن ما أصابه هو مجرد حادث وليس حذاماً.. ولكن هل لي أن أحادثه الآن؟

- مسبحين لأنى كما قلت لك هو في عزل طبي الآن، وكل أضيانه بالطبع معزولة هي الأخرى وهو من طلب منى أن أخبرك بذلك لأننى وتخرجيه كل ما تريده منك هو إثبات تحقيق شخصية لك، وصورة من عقد الزواج، وأي تحاليل طبية لديك، هل لك أن تحضرها الآن؟

- في العدا أفصل إذا سمعت فأننا لن أستطيع أن أصل إليك الآن على الرغم أنى بالقرب من التجمع الأول في القاهرة الجديدة..

- حسناً.. سأخرج في وردية مسائية الآن، ويمكن أن أجعل أحد الأمناء يمر عليك ويأخذ كافة الأوراق لأصمته على مسئوليتي، فلو انتظر الأمر للصباح سيكون قد أنهيت وديتي، ولا أخفي عليك رميالي في العمل أكثر دقة، ولن يمر عليه هذا الموضوع بسهولة وسيقرر ترحيله إل مستشفى الحميات بعد إنهاء المعضر، لأنه لا يحب أي نوع من المجاملات، فإذا أحببت أن أساعدك لوجه الله فخيريني الآن.

- شكراً يا سيدي أنا في غاية الشكر لك..

- سأمر عليك في حلال دقائق، عليك فقط أن تجهزي الأوراق..

حسناً يا سيدي إليك العنوان..

من الموضوع بسهولة حذاماً، فمن هو نفسه من الطريقة التي حصص بها على العنوان الجديد الذي تقيم به..

خرج جاسر من مخبئه بعد أن اطمأن على قيود سجينه.. وقام بتصويره عدة صور قام بحفظها على هاتفه تمهيداً لتهديد بزوجها حال رفضها الحديث معه.. وعندما حرج إلى الشارع تذكر أنه بدون مسيرة قد حرة أخرى وظل يبحث عن ممانع سيارة مجدي حتى حدها واستبقها، وهنا بدأت شياطين الجحيم تطارده مرة ثانية من كم الألم الذى يشعر به.

سأل أولاً عن مكان وجود أقرب مستشفى وتوجه إليه لتصميد جرح أصبعه، والذي ادعى أنه بتر بسبب حادث في العمل بعد إلحاح الطبيب على معرفة السبب.. فقام الطبيب بخياطة الجرح بعدة عزز مما أثار جنون جاسر من الألم الذي يشعر به، ورن كالم يردد الآن الرجوع إلى ذلك المخبأ الذي حفظ مكانه ليخرج إليه في مجدي..

انطلق بعدها ليتوقف بالسيارة أمام العنوان الذي أعطته إياه زوجة مجدي بعد أن ظل يسأل عن العنوان المقصود حتى اهتدى إليه أخيراً.. كانت عمارة عبارة عن خمسة أدوار بها عدة نوافذ مفتوحة ومضاءة، مما يدل على وجود بعض السكان الذين لا زالوا مستيقظين في هذا الوقت المتأخر حيث قاربت الساعة على الثانية عشرة ليلاً في هذا المكان المنعزل..

كانت فاييرة تمسك في الحديد الأخر. دار حول السيارة وفتح حقيبتها وأخذ يبحث عن شيء ما فوجد عصا مطاطية كانت تبدو كجصني الأمر المركزي

وبدأ يحدتي برسه. اخذ قميصه وفتحت من باب العمارة وضعه دور صوب.. وحمد الله أن الوقت كان قد تأخر حتى لا يلاحظه أحد. حذر.. بحث حتى الطابق الأخير وكانت هناك شختان مدام ومعهما ولكنه لم يعرف أيهما تمسك داخل المرأة كان باب إحدى الشقق مغلقاً بهاب حديدي آخر. وأشد ما يعضاه أن تكون تلك الشقة..

أمسك بهاتف محدي مرة أخرى ووصل بها محيراً ابداً أنه على باب الشقة وتحققت مغالوفه بالعمل..

لقد سمع الزلاخ الداخلي للشقة ذات الباب الحديدي يُفتح وتطل من وراءه 'أه' في لعقد الثالث من العمر تنظر إليه في ربه كان جاسر مخفياً يديه خلف ظهره.. فبادرها قائلاً:

- السلام عليكم.. أسادة فاييرة هل لي في الأوراق إذا تمضيت لأنني في عجلة من أمري..

- حضرتك الصبايط الذي تحدثت إلي من المستشفى؟ هل لي أن أرى بطاقتك؟

ارتبك جاسر ولكنه تظاهر بالتماسك قائلاً في ثقة:

- نعم سيدي. ممكن حضرتك تعطيتني..

قاطعه دوي بغير سيارة في الأسفل مصادمة فأنهر تلك الفرصة واكمل حديثه سريعاً قائلاً:

- بسرعة بالله عليك لأن هناك حادثاً لا قريب ونريد الذهاب لموقع الحادث وهم يستعملونني بالأسفل..

- حاضر فلتملني دقيقة فقط..

وغابت دفائق في الداخل فأخرج العصا لمطاطية من ملبسه ووضعها بجوار الباب الخارجي. وتوقع أن تفتح الباب الحديدي لتناول الأوراق. ولكنها عادت ومدت يدها بالأوراق من فتحة بسيطة في الباب الحديدي..

كان جاسر على وشك الجنون مما فعلته وجد: مجدي.. فقد كان كل ما يريد هو فتح الباب الحديدي ولو استغرقت قليلة.. ففكر وقفها في حيلة أخرى قائلاً:

- تمام هذا ما أريده تعديداً.. هذه صورة البطالة وهذه صورة وثيقة الزواج وهذه بضع شهادات مرضية ثلاث أ العالة المرضية ليست جدام.. عظيم جداً شكراً يا سيدي سانه برف الآن وعليك استلامه غداً من المستشفى..

استوقفته قائلة:

- أنتظر لقد أخبرني أنه سيخرج..

- نعم. ولكن لابد من حضورك مبكراً.. بدأ 'استلامه على مسئوليتك.. غداً إن شاء الله. ولكن لو تأخرت.. ستكون هناك إجراءات معقدة و..

قاطعه قائلة:

- أليس من الممكن أن يخرج اليوم حتى تنفادي تلك الإجراءات المعقدة في الغد عند وجود زميلك..

نظر إليها مفكراً وقال:

- لا أدري.. ولكن لدي حلاً آخر. هل قومين بالتوقيع على تعهد باستلامك زوجك على مسئوليتك الشخصية؟

- نعم سأحضر ورقة وقلم لتعطيني ذلك التعهد..

ودخلت المرأة ثم عادت مرة أخرى بورقة وقلم ووقفت استعداداً ليمليها جاسر الإقرار، وقتها كاد جاسر أن يفقد عقله من شدة حرص المرأة، وتمنى لو كسر الباب الحديدي وهشم رأسها، ولكنه أوقف قائلاً:

- هل تعطيني القلم دقيقة من فضلك.

ومدت يدها بالقلم ولكن الفتحة كانت أقل من المسموح بها لإخراج القلم ووقتها اضطرت أن تفتح الباب الحديدي، فاقترب جاسر في هدوء من الباب ومد يده ببطء حتى تناول العصا المطاطية دون أن تشعر..

أما هي فقد فتحت مزلاج الباب الحديدي ومدت يدها ببطء.. وكان هذا تماثلاً ما كان يريد جاسر.. فقد أخذ القلم منها وتظاهر بالنظر إلى الأوراق وفجأة وفي لمح البصر كان قد دفع الباب الحديدي بالعيز الذي يسمح له أن يقفز داخل هو الشقة واضعاً يده على فم المرأة التي شلت من المفاجأة.. وحاولت التملص منه.. ولكنه أغلق الباب بقدمه وهو لا زال كاثماً صوت المرأة وهو يضغط على رأسها بكل قوة قائلاً:

- لن أمسك بمسوء، عليك فقط بالهدوء، وإلا سأضطرب إلى التخلص منك، سأرفع يدي الآن ولن تخرجي أي صوت.. اتفقنا؟

ولكنه بمجرد أن رفع يده جرت المرأة في الشقة صابخة، فما كان من جاسر إلا أن تناول العصا المطاطية التي كانت قد وقعت منه أثناء الاقتحام وتاولها على رأسها ضربة أفقدتها الوعي..

اقترب منها سريعاً خوفاً من أن يكون قد قتلها، واطمان حينما وجدها تنفسم.. فحمد الله على أنها لم تمت ولم يمسحها أحد من الجيران..

دار في أنحاء الشقة سريعاً، ولكنه لم يجد أي شيء يقبدها به.. إنته فكرة أن يخرج سريعاً إلى الشرفة ليجد أي حبال غسيل، وبالفعل.. تأكد أن ليس هناك أحد في الشرفات المجاورة براه.. فدخل إلى المطبخ وتناول سكين وقام بقطع الحبال حتى يقيد المرأة.. وما إن انتهى من القطع حتى ألقي بالمسكين إلى الشارع حتى لا يكون هناك أي أثر لبصماته.. ثم عاد سريعاً إلى الداخل وحمل المرأة بصعوبة حتى أجلسها على الكرسي، وقام بتقييدها جيداً وقام بتقييد فمها بإيشارب كان في الجوار.. حتى إذا هانت لا تمتدحي الجيران بصراخها..

كان عليه أن يبحث جيداً في أرجاء الشقة قبل أن تفيق ويعرب عليها تجربة السخ في الأخرى.. كان الأمر يثير في نفسه نشوة ما، لكن كان عليه أن يبحث أولاً..

دلف إلى غرفة النوم واتجه بتلقائية إلى خزانة الملابس ونظر خلفه.. ولدهشته الشديدة ورعبه وجد أن هناك حقيبة ما.. أكانت بذلك الغيباء حتى تخفي الحقيقة في ذات المكان الذي أخفته فيه في الشقة القديمة؟

وضع الحقيبة على السرير وجلس بجوارها.. وامتدت يده لتفتيحها ولكنها كانت مغلقة بأرقام سرية.

دبت النشوة مرة أخرى في أوصاله، وقام بتعظيم القفل وفتح الحقيبة. وذهل مما رآه.. فقد كانتا اليردبتين الناقصتين تمامًا..

وأخيرًا اكتمل العقد..

شعر وكأن هناك طبولًا تدق في رأسه وضجعات شيطانية.. شعر براحة غريبة جدًا منذ دخول بدزميزان حياته لأول مرة.. كان عليه أن يتحرك سريعًا وأن يجمع شمل الفتات وينهي هذه اللعنة فورًا.. نسي كل شيء كان عليه فقط التحرك ويسرعة.

خرج إلى الصالة مرة أخرى حيث كانت المرأة لا تزال في غيبوبة.. شعر بالندم على فعلته ولكن كان عليه أن يفعل ذلك، فإن لم يفعلها فلم يكن قد دخل أبدًا.

شكر المرأة على غيبتها في إخفاء اليردبتات.. واقترب منها وفك قيدها سريعًا.. وتناول عصاه المطاطية وتأكد أنه لم يلمس أي شيء بأصابعه.. ثم نزل سريعًا ليستقل سيارة مجدي..

* * *

كان جاسر يدير السيارة لينطلق حينما أفاقَت المرأة ودوى صراخها يشق مكون النيل ليصل إلى مسامعه وهو ينطلق بالسيارة.. وقد تناول هاتفه ليتصل براشد.. وقد شعر بنشوة غريبة:

- راشد.. لدي لك صفقة العمر.. كل شيء قد حللته لك.. قابلني صباحًا عند آدم.. سأنتظرك في تمام الثانية عشر..

- عن أي موضوع تتحدث يا جاسر؟ فلتعبرني الآن..

- ليس الآن.. سأخبركم جميعًا بكل شيء.. أنت وأدم ومي.. فلتعبر الجميع بضرورة انتظارى غدا.. أقهمت.. لا تتأخر وإلا ستموئك قضية الموسم..

رد عليه راشد بصيرة:

- أنا لا أفهمك..

- ليس مهمًا.. عليك فقط أن تأتي.. لأسلم لك اليردبتات الملعونة.. ولأسلم لك قاتل اليهودي..

- أي يهودي.. وأية بردبات؟

- فلتنق يا راشد.. أقصد إيزاك ذلك اليهودي.. واليردبتات المسروقة من مقبرة مبدوم..

- بالتأكيد أنت تهذي.. كيف ذلك والشرطة نفسها لم تستدل عليه بعد؟

تجاهل جاسر قول جاسر وهو يردف قائلا:

- فلتكتب أولًا هذا العنوان.. ولتلقوا القبض على مجدي معاذ قاتل إيزاك..

- من؟ مجدي معاذ؟

- نعم.. أكتب هذا العنوان، وستجد رجلًا مقيد فلتقبضوا عليه حتى أوافيك غدا.. وسأخبرك بكل شيء.. وسأعطيك ما لم تكن تعلم به

ولتدين لي إلى الأبد بترقيتك الجديدة.. لا تمنع.. غداً في الثانية عشرة.
ولتغير الجميع..

كانت عشرات الأفكار تدور برأسه ولكنه كان يشعر بسعادة لا توصف
لحصوله على كافة البرديات الآن.. الآن سوف ترحل اللعنة عن القرية..
الآن سوف يستريح الشيخ الهامي في مرقده الأبدى.. والأهم من ذلك أن
بدزميزان سوف يرحل عن رأسه وإلى الأبد..

اقرب من منزله.. وهبط من السيارة معتضناً العقبة الجلدية
الصغيرة.. كان الوقت يقترب من الثانية صباحاً.. كان الجو مظلماً
لانقطاع الكهرباء عن المنطقة، تماماً كما كان أول يوم عاد فيه بالبرديات
من الخارج..

فتح شقيقه وعلى الرغم من الظلام الكاحل فيها إلا أنه ولدهشته كان
يشعر أنه يرى جيداً، وكأن عينيه قد أصبحت مثل عيون القط التي تدير
في الظلام..

كان يشعر بدقات قلبه تتسارع.. وهمسات بدزميزان تملأ رأسه.. دخل إلى
غرفة مكتبه سريعاً بحثاً عن قلم أحمر سميك الغط كان لديه.. وما
لبث أن وجد.. دخل غرفة بدزميزان.. اقترب من الشاشة المعلقة على
الحائط.. أنزلها وقام بفتح ظهرها ليخرج باقي البرديات.. جمع البرديات
الخمسة ووضعها في حلقة دائرية على الأرض وقام بكتابة رموز فرعونية
على الأرض وعلى الجدران..

بدأ في كتابة رموز لا يسري كيف هي ولا كيف تتحرك يدها لتخط تلك
الرموز كل ما يعرفه أنه دلال يكتب ويكتب ويكتب حتى امتلأت جدران
الغرفة بخطوط الكتابة الهيروغليفية..

قاربت الساعة على الخامسة فجراً حين انتهى من كل ما يكتبه.. جلس
بوصع القرفصاء على الأرض.. ضاغطاً بيديه بقوة عليها.. وبدأ في
التضخخ..

يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة..

إني أنتظرت..

يا من أشعر وجودك كطيف داخل عقلي..

إني أنتظرت..

يا من توجد خلف الجدران..

فلتأت عبر الزمان..

لتقتص لعنائك مني..

إن خداتك يوماً..

أو ألقيت مرقده تلك الكهنة..

يا من يحوا ذكراهم فداء للآلهة.. فلتتجدوا للأبد..

يا (أم تب وأ سو)

مولاي امني تحت.. لتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي تب رع.. لتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي واخموس.. لتتجبل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي سوتي.. لتتجبل في سماء الفردوس الأعلى..

أنا عبدك «خاي».. فلتضف اسمي في سماء المجد..

اهتزت الغرفة بجاسر والذي لم يشعر بأي شيء من حديثه.. كان كأنه آلة تحولت فقط لتقول طلاس فرعونية دون أن يدري، فكان لا يسيطر على عقله أولساته أو يديه..

شعر بوجود بدزميران في سماء الغرفة.. بتلك الهيئة السوداء الغير معددة الملامح.. وتلك العين النارية التي تكاد تحرق من يتطلع إليها.. لم يرتعد ولم تزداد دقات قلبه بل تكلم:

- مولاي بدزميران.. لقد أثبت لك بمطلبك.. لقد حققت لك ما كنت تريدته مني.. لقد جمعت لك كل ما فُقد من المقبرة.. كان هذا اتفاقنا وعليك أن تلتزم ما أخبرتني به.. فلترحل اللعنة عن كل من أصابته.. فلتزول اللعنة عن القرية.. عن مجدي.. عن أحمد.. وعتي.. سأظل وفياً لك.. سأقوم بعمل كل ما تطلبه مني لرجوع البرديات المقدسة لعضد سر تعوت الأعظم.. والتابوت سأتولى مسئوليته.. سأتعهد إلى مساعد الأجنبي المتنبئ على قيد الحياة.. سيعود هو الآخر يا مولاي.. سيعود هو الآخر..

ظل جاسر يتكلم ويتكلم ويردد كلام بدزميران في رأسه حتى انتهى من حديثهما الأخير..

اقترب النادل في صمت من المكان الذي اجتمع فيه جاسر مع آدم وكانت منى تجلس أمامهما بجوار راشد.. كان الجميع وكأن على رؤوسهم الطير من حديث جاسر الذي ظل يتكلم لأكثر من ساعتين وهم يقاطعونه في كل كلمة قالها..

كان الجميع لا يصدقون حرفاً مما يقوله لهم .. بل ظن الجميع أنه قد أصابه من من الجنون.. ولكن بعد أن أظهر لهم البرديات.. وبعد أن أخبرهم بكل حديثه مع مجدي وفايزة وإيزاك وأحمد وهند.. حتى مع الشيخ إلهامي.. لم يصدق الجميع أنه خاض تلك التجربة بمفرده..

لم يخبرهم بالطبع عن بدزميران لمسيب ما في رأسه.. ربما لو أخبرهم لكان مصيره في المصعقة العقلية.. ولكنه أثار الصمت حول هذا الموضوع تماماً.. كان حديثه فقط عن تلك البرديات وسرها واختفائها..

أشار إليه راشد قائلاً:

- لا أدري ماذا أقول لك يا جاسر ولكن.. سيفتح بالطبع تحقيق الهوم مع مجدي وسيتم مقارنة بصماته مع البصمة التي وجدناها على حزام القاتل إيزاك.. وسيتم مراجعة كافة أوراق التحقيق بخصوص تلك المقبرة..

التفت إليه جاسر قائلاً:

- بخصوص البرديات هذه هي.. فلتأخذها في تلك الحقيبة، أما بخصوص التابوت والمومياء.. فعلي أن أماتف ذلك المدعو ماتسون مساعد «ديفيد» في القاهرة، وسأحصل لك على عنوانه بالتأكيد إن وافق على التعاون معنا، وإن كنت لا أظنه سيوافق وسيخبر سيده، ووقتها عليكم

التفت إليه آدم قائلاً:

- سيتضايق ماجد جدًا عندما يعود ويعرف، لأنه لن يصدق ما قلته ولو حتى حلفت له بأغلظ الأيمان .

اعتدل جاسر في مقعده قائلاً في هدوء:

- لا يهم يا آدم.. لا يهم، ما يهمني الآن أن تلك اللعنة قد انتهت طلالاً البرديات وصلت إلى يد لن تستخدمهم بالسوء..

قام راشد من مجلسه ممسكاً بالعقبة الجلدية الصغيرة والتي تقيع البرديات داخلها قائلاً:

- سأضطر لتزككم الآن لأن عليّ أن أذهب إلى مديرية الأمن لتسليم تلك البرديات، ومعاونة حضور التحقيقات مع مجدي وسوف أحاول تأجيل استدعائك بحجة مرضك كنتيجة لحدث إصبعك.. أشكرك جدًا يا جاسر..

- المفوي يا صديقي العزيز..

قالها جاسر وهو يهض هو الآخر بدوره وهو يكمل:

- وأنا أيضًا يا صديقي، اعذراني فانا متعب وسأعود إلى المنزل مغلاً جميع هواتني حتى أفيق.. ميهادنا بعد ثلاثة أيام إن شاء الله .

نظر إليه آدم قائلاً في إشفاق:

- ألا تحتاج لشيء يا جاسر؟

- شكراً يا صديقي..

إحضار أمر الضبط والإحصار لإرجاع تلك المومياء لذلك الكاهن المجهول.. وعليك فمط أن ترسل أي فرد من الشرطة لاستلام سيارة مجدي أيضًا، وبالتأكيد سيكون هناك آثار دماء إيزاك..

أوما راشد برأسه قائلاً:

- عظيم جدًا يا جاسر.. أحبرني متى تستطيع أن تنحصر إلى المديرية لأخذ أقوالك.. ساكون معك في كل خطوة .

أوما جاسر برأسه وهو يقول:

- أعطني فقط يومين للراحة، فلا بد أن أرتاح قليلاً مما حدث لي في الأيام السابقة، ولا تلمن أتي فقدت إصبعي نتيجة هذه العادة .

ردت عليه متى وهي تنظر إليه في حق:

- أه ميت يا جاسر.. لقد كنت من أخبرك من البداية بأمر تلك الجثة الغريبة وكذلك تلك المفامرة، ولكنك خضتها وحدك، دون حتى أن تشركنا لنقف معك في أي خطوة..

ابتسم جاسر قائلاً:

- التمس لي العذر يا متى.. لقد كنت أخشى عليك.. الموضوع كان كبيرًا جدًا علينا.. لعنة وقتل وأناس مهووسة بتلك البرديات الملعونة، وأخشى أن يعود ماجد من السفر ويحدث وقد أصابك مكروه ما يسببي .

- ولكن هناك يا جاسر أشياء أخرى غير مفهومة..

- سأشرح لك كل شيء مرة أخرى يا متى.. في وقت آخر أكون حين أرتاح وأتعاقي قليلاً..

ثم أردف قائلاً:

اسمعا في الآن فأنا متعب وأود أن أعود لأرتاح..

ودّع جامس الجميع ودلف إلى سيارته.. كان عليه أن يعود إلى منزله مازاً على المستشفى لتغيير الضمادات على الجرح، لبدأ ليلاً في تنميد ما اتفق عليه مع بدزيمير أن في الليلة العمايقة..

ولآخر مرة..

* * *

نهاية الكينونة بداية الفناء..

ونهاية الفناء بداية الكينونة..

كل ما على الأرض يفنى، فبدون الفناء لا خلق جديد..

يأتي الجديد من القديم..

فكل مولد لجسد حي مثل نحو الثبات من الحبة يتبعه فناء..

من الضلل يأتي البعث..

حسب دورات ملائكة السماء.. وقوة الطبيعة.. والتي تأتي كينونتها من

كينونة آتون..

الزمن مدمر للإنسان،

أما الكون فهو هجلة دوارة إلى الأبد..

تلك الأشكال الأرسية التي تروح وتأتي هي حيالات..

فكيف يتأتى لشيء أن يكون حقيقياً وهو لا يفتأ عن التغير المستمر؟..

تحوّت..

جلس الجد العجوز وهو ينظر بلامبالاة على هرم مبدوم الذي يدوح في الأفق البعيد والتفّ حوله أحفاده الذين لم يتجاوزوا العقد الثاني من العمر وهو لا يزال يعدّهم عن سر الكتاب:

- بعد مرور شهر كامل على تلك الواقعة واستقرار النسختين.. النسخة التي كانت في مقبرة الأمير «نفر كا بناح» وتلك النسخة الأخرى والتي انتهى الكهنة الأربعة من نسخها في الزمن المحدد ووصولهم سالمين إلى منف.. كان الكاهن «نقرو» لا يزال يتلو صلواته داخل المعبد المقدس وقد فت في عضده وأحزنه كثيرًا وفاة كبير مساعديه «أمى نخت».. على الرغم من أن وفاته كانت طبيعية فقد كان الكاهن العجوز يعاني من مرض عصاب في القلب كان صعبًا معه شفاؤه.

لم يكن بكاؤه لمجرد أنه فقد من سار معه على نهج التعاليم المقدسة وخدمة آلهة المعبد الجنازي لأكثر من أربعين عامًا أمضوها سويًا.. ولكن ما دفعه للبكاء هو القرار الأخير الذي اتخذه بنفسه بصفته كبير الكهنة برقع أسماء كبار مساعديه من أسماء الكهنة المقدسة وعدم سرد أسمائهم في سجلات الكهنة المقدسين، وإخفاء كل أثر لهم في الحياة الدنيوية..

وقد وافق الجميع عن طيب خاطر على إخفاء آثارهم، وذلك خدمة لتعاليم تعويث المقدسة، لأن ما حدث خلال الشهر المنصرم كان يدفعهم إلى ذلك..

فقد بدأت الأحداث في منتهى الهدوء عندما وصل الكتاب إلى يد الأمير، ووصلت النسخ منه إلى المعبد الجنازي، وبدأ كل منهم في متابعة التعاليم ودراستها والتعلم منها. ولكنهم اكتشفوا كائنات أخرى مكلفة بحراسة

الكتاب المقدس، ومهم من ظهر للكهان «نفرو» الذي حدثه بكل احترام واتفقا على ضرورة إخفاء تلك التعاليم للأبد بأي صورة كانت..

بينما الأمير كان لا يزال يهذي في تعاليم الكتاب مطلقا العنان لخياله الغصبي، فهو لم يفعل أي شيء بتلك التعاليم أو بمعنى أدق لم يستطع فعلها الاستفادة منها كما كان مصورا له.. رغم قراءته كافة التعاويذ المعجزة المقدسة، ولكنه فشل في تنفيذ أيٍّ منها، كان هناك من يمنعه من الاستمرار في استخدام تلك الكلمات.. تلك الكلمات التي خرجت من فم الآلهة، وقام تعويذ المعظم بسردها للأجيال القادمة.

قاطع الجذ أحد أحفاد "أنا":

- ولكن يا جدي لماذا احتفظ الكهنة باللمعة ولم يضعوها ضمن أسرار المعبد كما تم الاتفاق من قبل؟

- يا بني لقد وجد الكهان «نفرو» أن الأمر أكبر بل وأخطر بكثير مما كان متوقفا، وأن ما فتحه داخل المقبرة كان شيئا لابد من إخفائه إلى أبد الأبدن خوفاً من أن تعتمد إليه يد قد تستخدم تلك التعاويذ في غير موضعها.. أو حتى استخدامها بطريقة خاطئة.. وعند مناظرته لذلك الكائن وجد أن الأمر ليس هيئاً كما تصور.. وكما كان الأمير يظن أنه يستطيع نصرة الحق والخير.. كان لا يعلم أن كل ذلك مبرزان.. وأن إلها الأعظم هو من يدير تلك المقادير، ولئن يكون لبشري مهما كان نسبته أو سلالته حتى ولو كان من نسل الآلهة أن يتدخل في عمل القدر، ولذلك كان على الكهان «نفرو» أن يتفلس من الكتاب بطريقة واحدة، هو أن يدفن الكتاب الملوخ مع من نسغه كما أخبره الكائن، وذلك حتى لا تصيبه أي من اللعنات في رحلته الأبدية ومنعاً لأي سوء قد يحدث بعد

ذلك.. فيدفع مع الكاهن «أمي نخت» الجزء الذي تم كتيبه وهكذا، وشاءت الأقدار أن يكون «أمي نخت» هو أول من مات من الكهنة، وبالتالي كان على الكاهن «نفرو» أن يدفع في مقبرته الجحيم، المقدس الذي قام بكاسه وكان عليه مهمة أكثر إبلافاً، ألا وهي دفن الكاهن في مكان معهود في مقبرة مجهولة وليس مقبرة مقدسة كعادته كبار الكهنة، وذلك حتى لا تمتد إلى المقبرة أي من الأيدي الأثمة، وتم محو اسم الكاهن «أمي نخت» من كافة السجلات التي تحوى أسماء كهنة المعبد الفرعونية في كافة أنحاء البلاد. وبعد ذلك تم عمل مراسم بسيطة بعد أن تولى مساعدو الكاهن وبعض من ياتمنهم من صغار الكهنة عنى تعداد حميد «أمي نخت» وتم عمل مقبرة في مكان ما هناك بحوار هذا الهرم - وباقي الكهنة؟

- كما حدث مع «أمي نخت» حدث معهم تماماً، وفي نفس المكان بالقرب من الهرم في مكان ما.. وكان الكهنة الأربعة في اتجاهات الشرق والشمال والغرب والجنوب، وكل مقبرة لا تبعد كثيراً عن مقبرة الكاهن الآخر، ولا أحد يعرف السر في ذلك إلا كبار الكهنة «نفرو»، الذي لم يخبره أحد طوال حياته.

- يا جدي ألا تعلم بالفعل؟

ضحك الجذ وابت على كتف الشاب الصغير:

- يا لك من حبيث.. الخريطة دائماً في رأسي وستظل هنا ولن يعلم أي شخص أماكن دفن كبار الكهنة حتى آخر يوم من حياتي..

- ولكن يا حدي إذا كانت تلك هي تعليمات الكائن للكهنة «نفرو» بضرورة إخفاء النسخة المكتوبة بهذه الطريقة.. فلماذا لم يخبره بإخفاء النسخة الأصلية أيضًا؟

- عندما أخبر الكائن الكاهن «نفرو» بأن عليه فقط أن يتولى مسئولية الجزء المنسوخ وأن عليه إخفاءه بهذه الطريقة. أما الكتاب الأصلي والبرديات فأخبره أنه هو من سيتولى مسئوليتها..

- كيف يا حدي؟

- كان ذلك بين ذلك الكائن وبين الأمير «خا أم واس» ولا أحد يدري على وجه التحديد ما الذي حدث. ولكن الذي رايته أن الأمير أصبح في خلال أسابيع قليلة من أمهر وأفضل من حكم منقب. فقد استطاع أن يوحّد جميع القصائد التي كانت قد بدأت في الخروج عليه. واستطاع أن يتّجه إلى جلم الآثار. وأصبح من أفضل مرممين الآثار في العهد المرعوي. ولم يستطيع أحد أن يصبح في مثل مهارته واستطاع أيضًا أن تكون لديه بعض القدرات السحرية الخارقة.. بمعنى أدق لقد تحول في خلال عام إلى شخصي آخر مفعم بالهوية ولكن بقيت قدرات الكتاب السحرية التي كان يعلم بها معدودة إلى حد كبير جدًا..

كلك في ذلك الوقت تفاءلنا بمستقبل مصر على يديه إلا أنه في صباح أحد الأيام قرر اجتماعًا للكهنة في البلاط الملكي. أتذكر ذلك وكأن هذا الحديث جرى منذ يوم فقط..

سرح الجند بفطره وهو يتحدث متذكرًا ذلك الاجتماع

اعتدل الأمير «خا أم واس» أثناء اجتماعه الذي دعا إليه الكهنة متحدثًا إليهم:

لقد جمعتمكم اليوم يا كهنة معبد أتون المقدس وإلهنا الأعظم لأن غدًا هو اليوم المئتم لمئة كاملة منذ أن أصبحت تعاليم تعوت المقدسة بين يدينا. وأنتم ترون أن الحياة قد تغيرت إلى الأفضل. ولكن تبقى قدرة أتون فوق قدراتنا جميعًا. لذلك فقد جمعتمكم جميعًا للنقاش حول أمر الكتاب. وخاصة ما استجد في ذلك، وأريد أن أرى ما لديكم من آراء.

ردّ الوزير «حور»:

- نحن معك يا مولاي الأمير ولك منا النصيح والإرشاد.

- لقد رأيت بالأمن كابوسًا في منتهى الغرابة ولذلك جمعت كبار كهنة المعبد وأتمنى أن أجد عندكم حلًا وفق ما قررته في ذلك الموضوع.

تحدث الكاهن «نفرو» قائلًا في اهتمام:

- فلتقص علينا الكابوس يا مولاي الأمير فإن كان إشارة من الآلهة سوف نفعل ما تمليه علينا.

- بالأمس يا «نفرو» وبعد أن أويت إلى فراشي متعبًا لم أع وقتها هل حدث ذلك أثناء نومي أم كنت مستيقظًا. لكن ما حدث يجعلني أؤكد أنني كنت أحلم.. إذ كيف مرت من كل الحرس حتى وصلت إلى مغدعي..

قال الوزير «حور» منددها:

- تقول مرت يا مولاي؟ أي أنني تلك التي تجرأت حتى تصل إلى مخدع مولاي الأمير؟ وكيف مرت على كل هؤلاء الحراس؟ لا بد أن في الأمر خدعة ما؟

ردّ الكاهن نفرو:

- مبلأ يا مولاي الوزير فلندع الأمير «خا أم وا من» يخبرنا بما رآه ليلة أمس.

- نعم هي أنثي ولكنها ليست كأي أنثي.. كانت ممشوقة القوام كإله الجمال، زرقاء العينين شعرها بلون الليل الكاحل وجسدها في بياض القمر.. لم أشعر بها إلا وهي على مخدعي وظلت تهمس في أذني بكلام لم أسمع مثله قط.. وأنا كالأسير بعديتها.. كانت تطلب مني أشياء في منتهى الغرابة ولكني أطعها في كل شيء..

كانت تسير وسرت وراءها حتى خرجت من غرفتي عن طريق مرداب في الغرفة نفسها أنا لمست على دراية به.. وخرجت من المرداب على البهو الخارجي ومردت على غرف الحرام ولم يشعر بي أي شخص.. وسارت وسرت وراءها وأنا كالسحور حتى وجدت نفسي في غرفة «أوزير» ولدي الوحيد وولي عهدي وهاكم مصر من بعدي.. لم أشعر إلا وأنا في يدي خنجر أعطته لي.. وبكل سهولة ذهبت أوزير.. كانت تصبئك وأنا مغيب تمامًا.. ثم أخبرتني حتى وصلت معها إلى غرفة زوجتي وأبدي وكما فعلت في «أوزير» فعلت بهما.. ذهبتما بكل جرأة ودون ذرة تردد.. كنت أتلذذ بالقتل لأرضها.. ولكن عندما وجدت مشهد الدماء تغطي ملايمي ذهبت في غيبوبة عميقة لم أفق منها إلا على أيدي ايداس خادمي.. فقامت مفروغا أبعت كالجنون في الغرفة حتى وجدت ذلك الباب السري الموجود بغرفتي..

والآن بماذا تفسر ذلك أيها الكاهن نفرو؟ ما تفسير ذلك يا كهنة المعبد المقدس؟ أفي الأمر إشارة ما من الآلهة؟ أغضب عليّ رع المعظم؟.. لم ارتكب أي خطأ باحتفاظي بذلك الكتاب المقدس.. أشيروا عليّ ماذا أفعل؟

رد الكاهن «نفرو»:

- يا إلهنا الأعظم.. أي إشارة أسوأ من ذلك يا مولاي؟ تلك إشارة أن رع قد أرسل لك تحذير لاحتماظك بتلك التعاليم والتي يجب أن تُدقّس يا مولاي..

- لقد أصبت في قولك أيها الكاهن «نفرو».. أنا أيضًا شعرت أن ذلك تحذيرًا من الآلهة حتى لا ألقي مصير الأمير «نفر كا بتاح» مع اختلافنا في القصد من الاحتفاظ بالكتاب المقدس.. إن تعاليم الكتاب أصبحت في رأسي تمامًا.. والآن يجب أن يذهب الكتاب إلى حيث كان.. هأن لمست أملك القدرة لأتحدى رعية الآلهة.. ولا أستطيع أن أرى زوجتي وبناتي وأبي الوحيد قتل بيدي هاتين.. لقد ذهبت مرارة فقد سي «أوزير» من قبل.. لذلك قررت ألاي:

أولاً: سوف أقوم بنقل بعض نصوص الكتاب في المقدمة لتصبح تعاليم بقتدي على أنارها حُكَم مصر ومن يأتي من بعدي وليحتفظ المعبد بتلك التعاليم المقدمة..

ثانيًا: سوف نقوم بنقل كل ما أخذناه من مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. ولينقل الكتاب تمامًا في الصندوق كما أخذناه..

بدا الارتياح على وجه الكاهن «نفرو» وهو يقول:

- نعم الرأي يا مولاي الأمير.. هو كذلك لقد كنت لأشير عليك بنفس الرأي.. ولكن هذه الإشارة أنت إليك أنت وحدك لتفعل الصواب.. وهذا هو عين الصواب يا مولاي..

- إذن فلنكن على أهبة الاستعداد أنت ومن تختاره لتلك المهمة المقدمة.. وسوف أرسل معكم خمس فرق حربية بكامل عتادها على أن تبقى هناك

إلى الأبد فرقة لحراسة مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» والآن سأذهب في رحلة لمقبرة فرعون الأعظم.. إن والذي يبدو أنه قد عاودته آلام العظام وقد أرسل إلي كثيرًا، وعليّ أن أذهب لملاقاته..

- فلنبلغه نحياتنا يا مولاي وإن كنا نتمنى أن نأتي معك لملاقاته..

- أنت تعلم يا «نفرو» أن لديك مهمة في غاية الخطورة، فلننجزها ونلحق بي هناك سابقي فترة من الوقت مع أبي.

نظر الجد إلى أحفاده وهو يكمل :

- وذهب «نفرو» يا أولادي من القصر واستعد الجميع للرحلة المقدسة لإرجاع كتاب تعوت ولكن بعدها بليلة وقبل رحيل الموكب، استدعى الأمير الكاهن «نفرو» على إفراد وهمس إليه شيء غريب جدًا.

- ما هو يا جدي؟

- أخبره أن روح الأمير «نفر كا بتاح» أتت إليه هذه الليلة ترجاه أن يأمر بالبحث عن جثتي زوجته وابنه في مكان غرقهم بالقرب بل وأرضه إلى المكان بالضبط..

- وماذا حدث بعد ذلك يا جدي؟

- بالفعل اهتم الأمير نفسه بذات العلم، وبدلاً من أن يذهب إلى أبيه فرعون المعظم رمسيس الثاني قاد الحملة بنفسه مع أمير جيوشه للذهاب إلى قبر «نفر كا بتاح»، وعرج على مكان القصر القديم بجوار النيل وظل يبعث في المكان الذي أرشده عليه «نفر كا بتاح» لمدة سبع لبال كاملة حتى عثر أخيراً على بقايا القارب الذي غرقت فيه زوجة الأمير وابنه وظل البحث حتى وجدتهما مدفونتين في قاع النيل وبالطبع كانا رفاتا، ولكن الأمير «خا أم واس» أمر كبار كهنته بتكريم ما تبقى من جثتي

الزوجة والابن وإعطائهما جميع المراسم الملكية للدفن.. وبالفعل أخيراً دفنت رفات الزوجة والابن إلى جوار جثة الأمير «نفر كا بتاح»، وأيضاً وضع الكتاب المقدس في نفس الصندوق في دات المقبرة ثم أغلقه وأغلق باب المقبرة في وسط الجبل بحجارة شديدة البأس، قاموا بنقلها إلى باب المقبرة حتى يتم إغلاقها للأبد..

- وهكذا انتهت أسطورة الكتاب المقدس يا جدي بين النسخة الأصلية وبين النسخة المكتوبة بخط كبار الكهنة؟

- نعم يا ولدي لم يتبق سوى بضع وريقات نقلها الأمير «خا أم واس» وهي تعتبر مجرد أحلام وردت لتعوت أو تنبؤات للمستقبل البعيد..

- وأين كنت أنت يا جدي وسط تلك الأحداث؟

- كنت أتابع ما أراه فقط وكنت أسمع من والدي.. ولا تلمسني أني كنت متنبؤاً في البلاط الملكي بعد ما قاله الكاهن «كاجمني» عني، فمس وقتها والكل لا يرتاح أبداً لذلك الصبي «خاي».. فيما عدا صديقي العربر أوزير..

- نعم يا جدي.. تسميت ذلك الاسم.. لم تسمعه أبداً في البلاط الملكي..

- إن لذلك قصة أخرى يا أبنائي ولكن أنذكرون ذلك الشعور الذي انتابني وأنا أتحدث مع «أوزير» ذات مرة، حينما شعرت أنه لن يكون أبداً حاكم مصر ولا حتى والده الأمير «خا أم واس» سيحكم مصر.

- وقد حدث ذلك بالفعل يا جدي؟

- نعم يا ولدي وأنا نفمي لا أدري ما تلك الحالة المرضية التي كانت قد أصابني في صباي وجعلتني أشعر بأحداث قادمة كانت أغلبها صحيحة ونادراً ما تخطئ إلا في شيء واحد فقط.

- ما هو يا جدي؟

- سأخبركم إياه في حينه يا ولدي.

- إذن ماذا حدث للأمير «خا أم واس» وولده؟

- بعد رحلة الدفن التي قام بها الأمير ذهبت ووالدي للقاء الملك رمسيس الثاني مع وفد من كبار الكهنة. ومن وقتها أعجبت بمولاي الفرعون وطلبت من والدي أن أظل دائمًا في خدمته وخدمة المعبد هناك.. ووافق والدي بعد أن توسط الكاهن «نفرو» لدى كبار كهنة المعبد هناك حتى أنال بقية تعليمي. وبالفعل مكثت هناك حتى كبرت في السن .. عشت أحداثًا كثيرة.. عشت انتصارات كثيرة.. وأوقات شدة..

ثم أثنائي نبا وفاة الأمير «خا أم واس» بدون سبب وأنا في المعبد .. كلنا جزعنا من ذلك الخبر.. ابن مولاي الفرعون وولي عهده وقررة عينه مات.. كانت أول مرة أرى دموع الفرعون المعظم.. وقعمت بعد ذلك بوفاة مولاي الفرعون المعظم رمسيس الثاني..

كنت أراه إلها قوئًا.. على يديه رأيت العدل يسود البلاد.. على يديه رأيت مصر في أزهى عصورها.. على يديه انتشرت المهابد الفرعونية لعبادة الإله الواحد.. على يديه انتشرت الحضارة الفرعونية وأصبحت في أوج عظمتها.. وهذا يهود بي إلى الهاتف الذي كان يلح علي بأن مولاي رمسيس كان ظالمًا وكان يضطهد الأقليات الدينية في عهده وأنه قام بما يسمى...

تولف الجد عن الكلام فجأة ليمسك برأسه في ألم قائلاً:

- آه يا ولدي.. لا داعي لهذا الحديث فبيدو أن هناك شيئًا ما كلما ذكرت هذا الموضوع يصيبني بقشعريرة مفاجئة وألم في رأسي.. كل ما أقوله لكم إنه ربما سباني عليكم زمان ما تهتمون الفرعون الأعظم بما ليس فيه.. فلا تصدقوه.. وأغبروا أبناءكم بذلك.

- وماذا حدث للأمير ولي العهد؟

- لا أعلم. ولكن علمت من أبي أن الأمير «خا أم واس» وُجد ميتًا في غرفته بدون أي شك في موته. وكان الأمير يعاني من حطب ما في الأونة الأخيرة كما أخبرنا الكاهن «نفرو» .. وبالفعل تم عمل المراسم الملكية لدفن الأمير..

- ومات الأمير «خا أم واس» وانتهت أسطورة الكتاب المقدس؟

- نعم.. وقتها أصيب الفرعون الأعظم باكتئاب شديد ولبث في بيته لوقت طويل وأرسل في استدعاء الأمير الصغير «أوزير» ليكون في رعايته. ولكن الأمير الصغير أيضًا قد اختفى إلى الأبد..

- اختفى؟

- نعم لم يثر له على أي أثر إلى الآن.. ولا أحد يدري أكان حيًا أم ميتًا.. وبعد سنين عدة.. مات الملك المعظم.. وانتقل إلى أبائه في جنات الآخرة. وتولى حكم مصر الأمير «مرنبتاح» وكان متقدمًا في السن عندما تولى الحكم فكان في حوالي الستين أو السبعين من عمره.. فقام بعدة حملات عسكرية في بداية حكمه لفرض الأمن في أنحاء البلاد. وبالفعل أصبحت مصر في ذلك الوقت من أقوى البلاد. وقام بعدة غزوات خارج البلاد لثأمين مصر من غزوات شعوب البحر وتعالقات القبائل..

- ومات «مرنبتاح»..

ابتسم الجد قائلاً:

- نعم مات يا ولدي. وما نحن في حكم مولانا الملك سيئي. وأنا لا زلت شاهداً على كل تلك الأحداث..

- إن قصة رمسيس الثاني وأولاده وأحفاده في متقى القراية يا جدي..

- نعم يا ولدي العصر كله كان غريبًا في النهضة الرهيبة التي شهدتها البلاد على يد رمسيس وولديه..

- جدي ثم تذكر لنا الكهنة الثلاثة المتبقين، أين ذهبوا ومنهم جدنا الكاهن تب رع.. لقد درست كل أسماء كهنة المعبد ولم أجد لنا أي أصول هناك.

- يا ولدي ذلك اختيارهم.. طريقهم إلى الآخرة كان مجهولًا وذلك فداء لتعاليم الآلهة. لقد مات الجميع.. مات الكاهن سوتي أولهم مقتولًا على يد بعض قطاع الطرق الذين دخلوا بيته ليستولوا على ما خُفَّ جملته وغلا ثمنه. وتم دفنه سرًا قريبًا من هرم مهديم.. وبعدها يشهور مات أبي «تب رع» في المعبد المقدس وهو يتلو صلواته بسبب قلبه المتعب دائمًا.. وتم دفنه وأنا قمت إلى مقبرته ودفنت بها كل ذكرياتي أنا أيضًا.. ولحق بهما بعد عدة سنوات الكاهن «واخموس» الذي مات نتيجة لإصابته بمرض في معدته.. وكل هؤلاء يا أولادي تم دفن سرهم معهم.. وتم محو أسمائهم من السجلات المقدسة؛ حتى لا يتبعهم أحد وتظل أماكن مقابرهم مجهولًا للأبد.. كسر أصبح لا يعلمه إلا أنا فقط بعد وفاة الكاهن «نفرو»..

وفي عهد الملك رمسيس الثاني وفي أواخر أيام الكاهن «نفرو» كنت أنا من أقوم برعايته. وقد علمني أشياء كثيرة جدًا كنت أجهلها وأنا لا زلت أذكره بكل خير إلى هذه اللحظة.

- يا جدي لماذا تغيرنا بهذه الأشياء؟ لقد مرَّ وقت طويل جدًا على تلك الأحداث ولم نترك تعددنا أبدًا عن ماضيك؟

- يا ولدي العزيز.. إنها النهاية.. أشعر بدنو الأجل قريبًا. وكان لزامًا عليَّ أن أخبركم عن أصولكم وأخبركم أن أسرار الكتاب المقدس هنا في قلبي وفي

رأسي.. وأني أشهد الآلهة أنني لم أكن قسعي قط وخدمت المعبد المقدس على أفضل وجه. وأصبحت مفخرة لأجدادي. وأتمنى أن أكون قد أحفظهم بذلك الشرف.

- يا جدي لا تعددنا بمثل هذه الأشياء، إننا نراهم أن عمرك سيطول عنا.. ابتسم دائمًا كما عهدناك ولا تتحدث هكذا.

- يا ولدي إنه العمر. كل ما أريده أن تتذكروا تلك الكلمات دائمًا وأن تفخروا بي.. وتصلوا من أجلي..

بعد هذا الحديث بأربعة أيام كان العجوز «خاي» يمر على كافة أنحاء المعبد بعد أن تلا صلواته اليومية يداخل المعبد الجنائزي، وكأنه يودعها الوداع الأخير. وقد دلف إلى غرفة كبير الكهنة لينظر إليها ويتذكر كبار كهنة المعبد الأربعة الذين ضيعوا بتاريخهم مقابل الاحتفاظ بسر الكتاب المقدس.. وتذكر «نفرو» وتعاليمه..

وأثناء مروره على حديقة منزله كان أولاد أحفاده لا زالوا يلعبون في الحديقة تمامًا كما كان يلعب منذ عشرات السنين مع أوزير.. «أوزير» الذي لا يعلم أحد أين اختفى.. رفع ناظره إلى غرفته القديمة وابتسم.. ثم تناول تلك الحقيبة الصغيرة التي كانت في ركن ما في الحديقة ودون أن يشعر به أحد أخذها وفي ذهنه ذلك الغضب الهام..

وفي مكان ما.. حيث كانت أقدامه تحفظ هذا المكان تعديدًا.. كان يسير مسرعًا في اتجاه شروق الشمس محدثًا نفسه وكأنه يسير إلى حياته الأبدية الخالدة:

الغرفة من الداخل.. وبمجرد أن أضاعت الغرفة فتلات سُرَّ المعجوز قائلًا:

- "أي العزيز.. لقد اقتدتك".

ووضع حقيقته على أرضية المقبرة، واقترب بكل هدوء من تابوت الكاهن "قرب رع" وبدأ يتلو صلواته في خشوع مقدس..

- يا أي إن الموت أمامي اليوم.. كالمرض الذي أشرف على شفاء.. أو كالذهاب إلى حديقة بعد المرض..

يا أي إن الموت أمامي اليوم.. كرائحة زهرة السوسن أو كجلوس الإنسان على شاطئ المسكر..

يا أي إن الموت أمامي اليوم.. مثل مجرى الماء العذب وكسماء صافية ومثل عودة الرجل الغريب إلى بيته..

يا أي إن الموت أمامي اليوم.. كممثل رجل يتوق إلى رؤية منزله وأباهه جميعًا بعد أن أمضى سنينًا عدة في الأسر..

أشهدك يا مولاي أنني لم أكن القسم المقدس.. وأني ضيعت بتأريفي في خدمة المعبد المقدس وسر إليها تحوت..

وظل يتلو ويتلو حتى فرغ من جميع صلواته.. ثم اقترب من جدار المقبرة التي كانت غير منقوشة في أغلب جدرانها.. فلم تكن هناك أي نقوش إلا نقوش اللعنات المقدمة التي تمتنع الأرواح الشريرة لتطول كل من تسول له نفسه تدبيس تلك المقبرة الطاهرة..

اقترب "غاي" من أحد الجدران ووضع المصباح الزجاجي وبدأ في النقش لمائة طويلة جدًا، حتى هو لا يتذكر هل انتهى من نقشه البسيط خلال

- يا إلهي الأعظم.. لقد أقبلت الشيخوخة وبدأ خرفها.. وسرت الألام في الأعصاب وتبدى الهرم وكأنه شيء جديد. وذهبت القوة وحل محلها الصعف والهزال. وصبت المم وتوقف عن الكلام. وغارت العينان. وأصبحت الأذان صماء. وأمسى القلب كثير المسيان.. لا يذكر ما حدث بالأمس. وغدت العظام تقاسي من تقدم السن. وتوقف الأنف وأصبح ساكنًا لا يتنفس.. وصار الجلوس والوقوف كلاهما شاقًا، وتحول العيون إلى شيء ولم يبقَ لأي شيء..

توقف أمام منزل قديم ونظر حوله، وعندما لم يجد أي شخص يتبعه فتح الباب ودلف إلى إحدى الغرف، ومنها ظل يتمتع الجدران حتى وصل إلى باب سري فتحة وأغلقه بمزلاج كبير حلقه.. وبدأ في السير في الممر والذي كان لا يزيد عن ثلاثين سنتيمتر اصطر المعجوز أن يقطعه في صعوبة وهو يستند إلى جدار السرداب وهو يمسك حقيقته الثقيلة حتى وصل إلى غرفة مربعة الأركان..

أزاح السجاد الموجود بأرضية الغرفة فظهر تحتها فتحة صغيرة تكفي شخصًا ضخمًا جدًا للمر.. وبالفعل نزل منها ثم أغلق الكوة والتي كانت من خشب الأبوس. وكان قد رفعه بصعوبة شديدة حتى يغلق الكوة التي نزل منها.. كان الضوء لا يزال يتسرب من مكان ما ولكنه كان يتحسس خطواته وهو يمسير الهويبي على درجات السلم الحجرية حتى وصل إلى باب فتح مزلاجه وفتحه..

كان الظلام دامسًا في الداخل، ولكنه أغلق الباب خلفه ثم أخذ يتحسس موضع المزلاج حتى أغلق المزلاج بشدة. وكأنه سيمكث للأبد.. ثم أخرج حقيقته ليخرج منها نوعًا من الكهرمان السائد موصوع في زجاجة لتضيء

ساعات أم خلال أيام.. وكان يقتات على بضعة لقيمات صغيرة في حقيقته وجرعات بسيطة من المياه كانت معه..

وما إن انتهى من النقش حتى وقف أمامه متفاحراً.. بتلك الكلمات الغالدة التي نقشها يديه على الجدار.. كانت كلمات بسيطة ليس لها أي دخل بالمقبرة أو بصاحبها.. ولكنه كان سعيداً أن عبّر أخيراً عن فكرة ظلت تدور برأسه طوال سنوات عمره..

أمسك سكينه وذهب مرة أخرى إلى تابوت أبيه وكان هناك نقشٌ على التابوت..

(يا من صوّت ذكراك فداء للآلهة.. فلتتجد للأبد يا (أم تب وأسو)

وكطفل ينهو بلعبة صبيانية أمسك سكينه وحفر حروف بجوار الكلمة لتصبح (أم تب وأسو خ)

ابتسم بعد هذه الفعلة ورقد إلى جوار التابوت ليحتضنه قائلاً بهممن:

- أبي.. أخيراً أستطيع أن أرتاح إلى الأبد.. إلى جوارك..

وأغمض عينيه في سلام وهو يتذكر لهوه في حديقة القصر ذلك اليوم البعيد بجوار كل من أحبه في يوم من الأيام..

* * *

كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساءً عندما كان جاسر على مشارف هرم ميدوم..

وهنا حيث بدأت أول خطوات المغامرة والتي قادته إلى أعماق المجهول.. وجعلته يدخل عوالم لا قبل له بها.. ويقابل أشغاصاً وشياطين وجنًا لم يكن يعلم في يوم من الأيام برؤيتهم حتى في أحلامه.. تجربة سيظل يتذكرها طوال حياته، خاصة وأنه سيحمل تذكراً أبدياً في يده..

استمر في قيادته حتى وصل أخيراً لذلك المكان المجهول الذي تقع فيه تلك المقابر.. كان عليه أن يتذكر تعداداً تعليمات بنزيموان الأخيرة وينقلها بكل دقة إن أراد أن تؤول اللعنة..

كان على بعد مسيرة خمسة كيلو مترات خارج القرية حيث تقع تلك المقابر المجهولة والتي يدفن فيها عابرو السبيل ومن ليس لديه أي مكان لدفنه والتي أقامها بعض أهل القرية..

وجيلاً بعد جيل بدأ الدفن يقل هناك مع توارث أهل القرية حكايات وأساطير عن المرأة المسعورة التي دفنت حية بهذه المدافن، والحيوانات التي يمسها الجن والتي تسكن دائماً في هذا المكان مما جعل أهل القرية يتعمدون تماثلاً من حق المرور بجوار هذا المكان.. وعلى الرغم من ذلك فعليه تنفيذ التعليمات حرفياً..

كان جسده ينتفض كلما اقترب من تلك المقابر الملعونة.. فاقترب منها وغاص أكثر في كرمسه عندما توقف بسيارته أمامها.. كانت الليلة مقمرة مما أضاف على المشهد رعب ربما أكثر من الظلام الحالِك.. ومن خلفه كانت تتصاعد أضواء خافته تأتي على مرمى البصر من بيوت القرية..

شعر بكآبة رهيبة عندما لمح على البُعد مئذنة مسجد مظلمة.. وعلى يساره كان الطريق السريع لا يزال ينهب ببعض السيارات المارقة والتي تصيء كشافاتها في تلك البقعة المقطوعة من الزمن الحالي..

كان المشهد كله أشبه بمشهد داخل فيلم رعب.. حيث تنقطع الأصوات وينعزل البطل عن العالم.. كان بمفرده داخل المشهد.. ولكنه كان يشعر أن هناك شيئًا ما جائئًا على مقبرة قريبة وزاد من رعبه عندما تمطأ ونزل من على المقبرة التي كان يتغدها مرقداً..

لنعم في سره تلك اللحظة وتلك الإشارة.. فقد كانت الإشارة هي وجود كلب دائم لحراسة تلك المقبرة..

كانت المقابر متراصة بجوار بعضها البعض، ولكن هذه المقبرة كانت مسطحة أكثر وترتفع عن سطح أرض قرابة المترين.. وليس بجوارها أي مقابر متراصة بل يمينها ويسارها فقط.. نزل الكلب الضخم عن المقبرة.. واقترب من السيارة مما جعل جاسر يتمتم بما يحفظه من آيات في تلك اللحظة..

كان الكلب ضخمًا بطريقة غير طبيعية.. أسود اللون تمامًا لا نكاد ترى ملامحه إلا من تلك العمود النارية التي كادت أن تعرق جاسر بسيارته.. اقترب أكثر فأكثر.. ثم أخذ يستنشق الهواء رافعًا رأسه إلى الأعلى ثم عوى بهواء مخيف يصم الأذان.. مما جعل جاسر يشعر أن قلبه يكاد يتوقف من فرط الخوف.. ثم جلس الكلب بجوار باب السيارة وهو ينظر لجاسر.. تلك النظرة التي لم يفهمها.. ولم يفهم ما يطلبه منه؟

كانت تعليمات بزميران الأخيرة له ألا يخشى شيئًا طالما هو سيدفن السر الأبدى.. فكل ما يفعله كان لحماية أسرار تحوت الإلهية والحفاظ على سر المعبد المقدس، عليه فقط أن يكذب عينيه ويستمر.. فليعتبر نفسه داخل تلك الكوابيس المعونة التي أدمتها رعبًا عنه في الفترة الأخيرة..

انظر وانظر حتى جاءت الساعة الثانية عشر.. كانت تلك الساعة المحددة له.. كيف لا يعلم، ولكنه أقسم أمس على تنفيذ الأوامر مهما بلغت قصورها ليتخلص من تلك البعثة التي أصابته للأبد

أخذ نفسًا عميقًا وفتح الباب بهدوء منتظرًا أن يسوي الكلب أو يقوم بأي حركة مفاجئة كان متوقعها، لكن لدمشقه قام الكلب من أمام الباب ليغطو بضع خطوات إلى مقبرة أخرى ليجلس فوقها وهو ينظر إليه ويهمهم بأصوات غير مفهومة كأنه يحفه على التقدم..

التصق جاسر بظهره إلى السيارة واستدار صوب حقيبتها، والكلب ينظر إليه في هدوء حتى لف حولها وفتح الحقيبة.. وأخرج حقيبة قماشية بداخلها الصندوق الأبنوسي فتعها ليطمان للمرة الخامسة على محسنيات تلك الحقيبة..

تناول مصباحًا كبيرًا كان إلى جوارها.. أخفى الحقيبة القماش مرة أخرى في داخل السيارة وتناول عتلة حديدية.. ثم أغلق سيارته جيدًا.. وسار في حذر حتى اقترب من باب المقبرة، ووضع العتلة ما بين القفل المتهترى من الزمن وبين العتبة الحديدية..

وما هي إلا دفعة واحدة حتى كسر القفل.. فوضِع العتلة الحديدية بجوار باب المقبرة الذي كان عبارة عن فتحة حديدية مربعة تقريبًا أربعين سنتيمتر وكان يتسع فقط ليدخل بقدمه الواحدة ثلثي الأخرى..

لمح الكلب يتعذر عنه مرة أخرى مشجعًا له على الاستمرار..

لم يدرك كيف أصبح داخل هذا المكان.. دل لا يدري كيف قويت قدماده ليقتف وسط الحجاب.. لم تكن تلك شعاعاً منه.. بل هذا ما أجزى عليه.. وما فرضه عليه ذلك المسخ المسمى بدزميران..

تقدم خطوة بعد خطوة، وبصعوبة بالغة فتحت الباب الحديدي مُصدراً ذلك الصوت المعدني البارد.. وفهما تردد في الدخول إلى ظلام القبر.. ثم يكن هناك سواه في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. وهذا الكلب الذي يجلس قريباً منه على حافة مقبرة أخرى.. ينظر إليه بعينين ناريتين.. عينا لا ينتمي صاحبهما إلى الكائنات الأرضية.. مما زاد أكثر من دقائق قلبه وشعره معه بقشعريرة ورعدة في يديه بصورة مستمرة..

كان أعزل إلا من ذلك المصباح الكهربائي وتلك العتلة الحديدية التي هو متأكد أنها لن تمنع ولن تفني من جوع في الداخل.. نظر إلى سيارته ورسم أن هائف لديه قرر الذهاب إليها ومغادرة المكان إلا أن قدميه أصرتا على الدخول لتفتيح ما اتفق عليه بالأصم القريب.. كان مجبراً.. فما وصلت إليه حالته في الأسابيع الأخيرة جعلته كان على وشك القتل وليس إكمال المهمة..

مد قدمه أولاً مضيقاً المصباح الكهربائي بداخل المقبرة.. كان بالطبع بالداخل ظلام دامس لمقبرة لم يدخلها أحد قرابة الخمسين عامًا..

دخل في الظلام.. كان الجو كثيفاً مطلقاً رطباً.. تفوح رائحة الموت في كل مكان.. وأكفان بيضاء لجثث لم تتحلل في شتى أنحاء القبر..

كان يجول بمصباحه الكهربائي ويرى أشياء كان لا بد أن يكذب عليها.. مها ما هو جالس مستنداً برأسه إلى الحائط الداخلي أو تتعرق الجدار ربما إلى الخارج لعدم وضوح هيئة الرأس.. أكلت الإنسي أو جني لا يدري ومنها ما هي جالسة تستند بطيهرها إلى جدار القبر تمسك شحرها.. ومنها من تمسك بكفن لجثة طفل وثبيكي إلى جواره وللأسف كانت تلك الإشارة..

تقدم إليهما زاحفاً على يديه وقدميه في رعب قبل وعندما وصل وجد الجثتين إلى جوار بعضهما البعض.. امتدت يده ليجمل جثة الطفل لبيحث تحته.. وبكل الرعب وضعه بعيداً وهو لا زال يرتجف.. ولكن شيطان المسخ في رأسه يأمره أن يتأكد أن تلك الجثة للطفل المطلوب..

خطر حوله كانت هناك أكفان لأطفال صغيرة لا يدري من دفنها أو متى أو لماذا لم تتحلل؟ لكن المكان الذي وضع عمداً فيه كان لا ينتمي إلى القوانين الأرضية المتعارف عليها، فكان عليه أن يمشى عليه فقط ويقنع نفسه أنه بداخل كابوس..

كان عليه أن يتأكد أن الجثة للطفل فقد قرر أن يفتح الكفن.. كان يتصبب عرقاً من قمة رأسه وحتى إخمص قدميه..

لم يكن يشعر بنفسه وهو يحل الكفن الأبيض المتهرى.. وقتها بدأ في سماع همسات في أذنيه لصراخ يأتي من بعيد وهمهمات تنطق بأسمه بلغة ليست بشرية.. ولفحات من الهواء الساخن تصدم وجهه وكان

شياطين الجحيم تراقب ما يفعله وتنفث عضها في وجهه. كان يشعر أن الأموات جميعًا جلوسًا ينظرون إليه في تلك البقعة الملعونة..

وأخيرًا فتحه.. ووجه ضوء مصباحه إلى الجسد.. لم يشعر بنفسه إلا وهو يصرخ ويذحف متقهقرًا بظهره إلى حافة القبر، وللأسف لم يكن ناحية باب الخروج.. بل كان في الجهة المقابلة.. لم تكن جثة طفل على الإطلاق، بل، جثة لشئ مشوه.. لم يكن لديه أيدي أو حتى أرجل ووجهه يدل على أنه ليس آدميًا.. لماذا أقنع نفسه أنه داخل مقبرة آدميه منذ البداية؟

نعم فقد كانت نسعة من المسخ كانت ممثلة بذاك الشعر الأسود.. يكاد يقسم أنها بدأت في التحرك نحوه زاحفة على بطنها عندما أقامها من هول الصدمة.. ووقتها رأى أن الأموات قد بدأوا في تقليدها.. وتعالى الهمسات والضججات..

تأكد وقتها أنها فعلاً مقبرة لتلك المسوخ.. حاول أن يزحف خارجًا.. لكن وصل إلى مسامعه عواء الكلب الذي دخل وأطل برأسه داخل المقبرة وكأنه يتنسم لتفتحي تلك النظرة النارية الغريبة من عينيه لتتحول ملاصقة إلى شيء أشبه بالإنسان المشوه.. وأصدر ذلك الهواء مرة أخرى وذهب..

وفي هذه اللحظة سمع صوت إغلاق الباب الحديدي من الخارج.. أصبح القبر في ظلام دامس.. اختفى ضوء مصباحه الكهربائي.. بل لم يجده بجواره من فرط رعبه وهو يزحف.. أخذ يبحث في هيمستريا عنه.. أخذت يداه تبحثان في تراب القبر يمينًا ويسارًا دون جدوى. وقتها أقسم إن هناك أيادي وأقدام حية تحاول أن تمسك به..

تتحرك الجثث..

تتعالى الضججات..

يعلو تراب يخفقه..

ثم..

أمسكت أيدي طفلة بقدمه بمنتهى القسوة.. زحف على يديه وقدميه سريعًا إلى الجدار المقابل.. وقبل أن يغيب عن الوعي.. تعثرت يداه بالعلقة المعدنية المطلوبة..

* * *

شعر جاسر أن هناك أنفاسًا ساخنة تلمح وجهه.. فتح عينيه في بطنه حتى تعتاد ذلك الظلام الدامس.. وجد أنه لا يزال في تلك المقبرة الملعونة وبجواره المصباح الكهربائي.. لم يتذكر جيدًا سبب إغمائه لكنه مد يديه وأشعل المصباح الذي أثار المقبرة ثانية..

نظر أمامه فوجد ذلك الكلب الضخم بجواره ينظر إليه بتلك العيون النارية.. أخذ يلوم نفسه، أي غباء جعله يستقر في تلك الزفزانة مع هذا الحيوان والذي هوجى أنه يقترب بهدوء منه.. أخذ جاسر يتعمس بيديه بحثًا عن تلك العتلة الحديدية مما أثار زمجرة غاضبة خرجت من الكلب الذي اقترب أكثر فأكثر واضعًا رأسه أمام رأس جاسر مباشرة وهو ينظر في عينيه.. وبدأت الأفكار في رأس جاسر تتداعى..

- هيداخ.. انت فيداح؟ نعم.. نعم أنا أعرفك.. أنت من كنت مع الشيخ إلهامي.. كيف ذلك؟

تركه الكلب خارجاً. وقتها كان على جاسر أن يمني هذا الموقف وينهي ما جاء لإتمامه.. بحث عن تلك الحلقة المعدنية التي كانت يده قد أمسكت بها قبل إغمائه. حتى وجدها ووضع أمامها المصباح..

خرج جاسر من المقبرة متجهاً إلى سيارته داعياً الله أن تدور مباشرة.. فتح العقبية ليمسك قطعة حبل غليظة تمتد قرابة العشرين متراً.. قام بربط طرف الحبل أسفل سيارته في خطاف معدل للمسحب ثم عاد مرة أخرى بطرف الحبل إلى الداخل.. اقترب من الحلقة المعدنية وربط بها الطرف الثاني جيداً.. حتى يتم سحب تلك الكتلة الخرسانية المثبت بها الحلقة المعدنية..

خرج إلى سيارته محاولاً إدراتها من أول مرة ثم بدأ يتحرك بها قليلاً كانت ترفض التحرك في البداية.. ولكنها تحركت رويداً حتى سارت حوالي متر.. فسمع جاسر من خلفه صوت ما كأنه كسر صخري.. هبط سريعاً من السيارة أخذاً في يده تلك العقبية القماش.. والتي تعوى ذلك الهندوقي الأبنوسي..

حل جاسر طرف الحبل ودخل به مرة أخرى إلى الداخل.. وقتها رأى فجوة في أرضية القبر تنمعه ليهوطه على سلم حجري لعجوة يقع أسفل القبر..

تناول مصباحه في هدوء والعقبية القماش وبدأ يهبط في هدوء إلى الأسفل حتى هبط قرابة العشرين متراً لتها فتحة أخرى بباب خشبي يبدو أنه هالك من الزمن.. دفعه يدهو فتطالرت أجزاء من الباب الخشبي معدلة كمية هائلة من الأتربة..

أخذ يعمل بشدة ولكنه ما إن وقع نور مصباحه على العجوة من الداخل حتى فغر فاه فجأة بسبب النور الصاطع من الداخل نتيجة لانعكاس ضوء مصباحه الكهربائي..

كانت مقبرة فرعونية من أحسن ما يكون.. تابوت فرعوني كبير في المنتصف ويجواره كان هناك العديد من الصناديق الأبنوسية وعلى الجدران تراصت تلك النقوش الهيروغليفية التي تصيب اللعنة كل من سيقت مقام ذلك الكاهن المقدس.. دار جاسر مشدوفاً إلى روعة ألوان النقوش الموجودة وكذلك الآثار الخالدة الموجودة بجوار التابوت، والمعزوم عليه أن يمد يده إليها تبعاً لذلك القسم المقدس مع بدرميزان..

اقترب من التابوت ووجد ذلك النقش مكتوب عليه:

(يا من محوت ذكرك فداء للآلهة.. فلتتمتع للأبد يا (أم تب واسوخ).
دار حول التابوت من الناحية الأخرى ليكشف بقية الجدران لكنه توقف مذهولاً مما رآه مرسوماً على جانب من الجدار.. اقترب منه أكثر وبدأ في القراءة:

((أعلم أنك ستأتي.. في يوم ما ستأتي.. لتدفن أسرار الآلهة.. لقد كنت أشعر بك في حياتي وكنت تأتي عبر الأرومان في عقلي.. وعلمتني ما كنت أحمله.. كل ما أرحوه منك أن تحافظ على مرقدا وسرنا المقدس.. للأبد..

أخيك.. أنت.. «خاي»)))

وقف جاسر مشدوهاً.. كيف.. كانت تلك الأحلام والرؤى الفرعونية حقيقة إذن؟ كانت أوقات غيبوبته المستمرة تنتقله عبر الأزمان إلى ذلك الماضي الفرعوني؟ تذكر كلمة بدزميزران له في البداية:

((تكفي أنني سأطوي لك زمانك.. تكفي أنني سأعطيك ثروة من ماء النيل الطاهر.. سأجعلك تهر ثوابتك.. سأجعل كل أشياك المملومة.. مجهولة سأجعل كل النبيات ثابتة لك.. تكفي ما ستراه بعينيك.. سأطوي لك صفحة الزمان لتمر أمامك وكأنها لحظة بين عينيك.. ستري ما تعجز عن تصديقه.. لتتكلم بلسان أبناء الآلهة.. تكفي سأطمس على عقلك حتى لا تبوح بسر الكهنة المقدس...)).

كل شيء مؤبدهال الآن.. كل شيء.. تفسير كلام بدزميزران.. حاول أن يكمل تفسير ما كان يشغله لكنه تذكر أن عليه إكمال ما بدأه قبل بزوغ الشمس..

عاد مرة أخرى إلى التابوت واضعاً عليه الحقيبة القماش ليخرج الصندوق الأبلوسي.. لكنه لم يجد عظمياً بجوار التابوت.. لم يشعر جاسر بنفسه إلا وهو يهبط إلى جوار الهيكل المكون وهو يحتضن جانب من التابوت.. نظر إليه ملياً لمدة دقيقتين وهو يشعر بغصة في حلقه..

مدّ يده إلى يد الهيكل.. لمسها برقة وكأنه يربت على يديه ومالت وقتها دمعة من عيني جاسر حتى دون سبب.. حتى هو اندمش من هذا التأثير..نظر في ساعته.. كان متبقي على شروق الشمس قرابة الساعة ولذلك كان عليه أن ينهي فوراً ما بدأه.. فتح الحقيبة التي معه ليخرج

ذلك الصندوق ثم فتحه ليرى محتوياته للمرة السادسة منذ أن ركب سيارته متوجهاً إلى هذه المقبرة..

ولم يدرك سر الخوف المستمر.. كان كل ما يخشاه أن يكون قد أخطأ وقام بإبدال البرديات الأصلية مع تلك البرديات التي سلمها لراشد على أنها البرديات التي كان الجميع يبحث عنها..

وقتها علم فائدة تلك البرديات الأربعة، والتي حصل عليها من الشيخ إلهامي لسبب حتى هو لا يعلمه لكنها الأقدار..

وعن طريق تلك البرديات المجهولة خدع راشد والجميع وأوهمهم أنها المسبب في حدوث كل تلك المفامرة، أما البرديات الأصلية فكان عليه أن يخفيها ويضعها في تلك المقبرة لكاهن آخر ويفلق المقبرة إلى الأبد..

أغلق جاسر الصندوق ووضعها بجوار صندوق آخر..فتحه فوجده يحتوي على برديات مشابهة لنفس البرديات التي معه.. وإن كان عددها أكثر بكثير..

تأكد أن كل شيء على ما يرام.. كان يريد أن يظل هنا لأكبر وقت ممكن لكن كان عليه أن يتحرك سريعاً..

اقترب ناحية باب الخروج المهالك.. التي نظرة أخيرة على ذلك الجسد المسقى في عطف بالغ: ثم خرج صاعداً على السلالم الحجرية حتى وصل إلى تلك الفتحة الحجرية..

كان عليه الآن مهمة أكثر صعوبة، وهي محاولة إغلاق تلك الفتحات، وبعثاً حاول مرات ومرات حتى نجح أخيراً في إغلاقها ولكنها تسببت في فتح الجرح مرة أخرى.. ولكنه لم يكتثر مقابل ما فعله..

نظر حوله داخل المقبرة لم يجد أي أكفان بيضاء أو أي شارة تدل على وجود أي جثة من قبل.. لم يندهش.. بل كان عليه أن يستمر وفعلًا قام بكسر تلك الحلقة الحديدية، وردد بعض التراب على حواف الصخرة فأصبح من المستحيل الكشف عنها..

خرج من المقبرة سريعًا باحثًا عن ذلك القفل الجديد الذي اشتراه من الفاهرة قبل مجيئه، ثم ألقى المقبرة.. للأبد..

بحث جاسر عن الكلب لم يجده.. فاطمان أكثر أنه تم زوال اللعنة.. ركب سيارته متجهًا إلى المقابر العادية، فقد كان عليه أن يلقي التحية على شخصي ولق جواره دون أن يعرفه كثيرًا.. ولكنه شعر أن عليه أن يطمئنه أنه لن يذو وصيته الأخيرة..

ركن سيارته وترجل منها حتى اقترب من بعض الفلاحين ليسألهم عن المقبرة المشوذة فأشاروا إليه على بُعد وهم يتمجبون من هيلته المزوية والتراب الذي يغطيه.. سار في خشوع حتى وصل إليها ثم أخرج مصحف من بين طيات ثيابه، وبدأ يقرأ سورة يس للشيوخ الهامي..

* * *

في داخل أحد مخازن التابعة لمديرية الأمن، والتي يتم حفظ الأدلة الجنائية بها.. ولقد ذلك العسكري مشدومًا وهو يكلم زميله هاتفياً قائلاً:

- لا أعلم يا حسين، ولكن منذ وصول تلك الحقيقة إلى المديرية ويوجد شيء غريب يدور.. الكهرباء بدأت تقطع كثيرًا.. وكلما خرجت من المخزن وعدت مرة أخرى أجد كل الأدلة الموجودة أعلى الأرفف وقد وقعت على الأرضية، ولا أعلم المسبب.. سوف أضع المذئع بأبات القران هنا ليلاً ونهارًا.. على الأقل في وديتي..

ظل العسكري المناوب يتكلم ويتكلم ويهيم قليلاً ويضحك وتناسى الموضوع..

لكنه لم يشعر أبدًا بذلك المخلوق الغامض الذي ينظر إليه بعينين بيضاوين، والجالس أعلى الرف الموجود به حقيبة البرديات..

تمت جسر الله

عمر ٥٠ مرقوق

٢٠١٤/٩/٢٣

* * *

الكتب والمراجع

- معجم الحضارة المصرية القديمة.. جورج بوزنر - سبرج
سونرون - جان يويوت
- السحر والماورائيات في مصر القديمة.. كريستان جاك
- الحياة أيام الفراعنة.. ت. ج. جيمز
- الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء.. محرم كمال
- هرم الأسرار.. الآن ف الفورد
- مقالات فرعونية.. الكاتبة صفاء مجد
- مصر القديمة الجزء الثاني.. سليم حسن
- موسى وهارون.. ا/د رشدي البدراوي
- كتاب الموتى الفرعوني (عن برديه انى).. برث أم هرو
- الخلود في التراث الثقافي.. د سيد عويس
- مثلث العظيمة - نبوءات هيرمس.. (الحكيم تعوت)

ومذ شيئاً أسود اللون غير محدد الملامح
لا أعرف إن كانت يده أو شيئاً ما لمسني..
وقتها سرت رعدة قاتلة في عقلي
وجسدي، ووجدت نفسي فجأة كأني
أمام فراغ يحاسبوني على أخطائي،
وملهم من كان يعدّ لي أدوات التحنيط
إلى جوارتي.. لقد كان كابوشا لا أتذكره ولا
أريد أن أتذكره.. كل ما أتذكره أنني رأيتهم
أمامي كما أراك تماماً.. واقتربوا مني
وأمسكني أحدهم.. فلم أشعر بشيء
وكأني ذهبت في غياهب الموت..

ISBN 9789776436947



9 789776 436947

